

جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

موسوعة الدروس الأخلاقية

إعداد

الإدارة العامة لبحوث الدعوة

إشراف وتقديم

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٣٨هـ /٢٠١٧م



بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

[يوسف: ١٠٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد عني الإسلام بالأخلاق عناية بالغة ، حتى أن نبينا (صلى الله عليه وسلم) لخص هدف رسالته فقال : (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ) (السنن الكبرى للبيهقي) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِن أحَبِّكُم إِليَّ وأَقربِكُم مِنِّي مجلسًا يومَ القيامَة : أَحاسِنكم أخلاقا) (سنن الترمذي)، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (البِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ) (صحيح مسلم) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ) (مسند أحمد) ، فبالأخلاق تبنى الحضارات وتستمر ، والأمم التي لا تقوم على الأخلاق السوية تحمل عوامل سقوطها في أصل بنيانها وأساس قيامها ، والناس جميعًا بفطرتهم السوية لا يملكون سوى احترام صاحب الخلق الحسن سواء أكان شخصًا أم أمة.

ومن هنا كان تفكيرنا في موسوعة الدروس الأخلاقية التي تحولت بفضل الله تعالى إلى واقع ملموس من خلال إخراج هذا الجزء الأول منها إلى عالم النور ، فبعد إخراجنا لموسوعة الخطب العصرية التي جاءت في ثلاثة مجلدات ، وهي أول موسوعة خطابية تخرجها الأوقاف

المصرية عبر تاريخها الطويل ، شرعنا في إعداد موسوعة الدروس الأخلاقية لتكون زادًا فكريًّا وثقافيًّا ومعرفيًّا وأخلاقيًّا للمجتمع كله من جهة ، ودعمًا للسادة الأئمة في إعداد دروسهم في مجال الأخلاق من جهة أخرى ، حيث خصصت الوزارة في خطة دروسها المسجدية درسًا أسبوعيًّا للحديث عن القيم الأخلاقية ، رجاء الإسهام في بناء منظومة أخلاقية وقيمية تسهم في تصويب ما اعوج أو انحرف عن الجادة في مجال الأخلاق.

ولو أخذنا على سبيل المثال موضوع العدل كأنموذج قيمي وخلقي ، وحاول كل إنسان أن يأخذ نفسه به ، ينصف الآخرين كما يحب أن ينصفوه ، مع الصديق والعدو ، في الرضا والغضب ، والقريب والبعيد ، لاستقام أمر الفرد والمجتمع ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[الأنعام : ١٥٢] ، ويقول سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}[النساء:١٣٥].

ويقول سبحانه : {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}[المائدة :٨] ، ويقول سبحانه : {رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ}[الأعراف :٨٩] ، ويقول سبحانه : على لسان نبينا (صلى الله عليه وسلم) : {وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ

لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}[الشورى :١٥].

فالعدل مفتاح الأمن والأمان ، وقد قال بعض أهل العلم : إنّ العدل ميزان الله الّذي وضعه للخلق، ونصبه للحقّ ، فلا تخالفه في ميزانه ، ولا تعارضه في سلطانه.

وكتب أحد الولاة إلى سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أن اللصوص كثروا بالمدينة فكتب إليه سيدنا عمر (رضي الله عنه) : أن حصنها بالعدل .

وذلك على أن يكون العدل عامًّا وشاملا ، لا استثناء فيه ولا تردد ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا) (صحيح البخاري) .

وهذا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في مستهل خلافته يخطب في الناس فيقول: " أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم ، القوي فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أخذ الحق له".

وكتب سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) يقول : " آس بين الناس في مجلسك ووجهك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك " ، وقد

سلك سيدنا عمر (رضي الله عنه) في العدل مسلكًا عمليًّا أبهر القاصي والداني ، الصديق والعدو ، حتى رأينا رسول ملك الروم ينظر إلى سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو نائم تحت ظل شجرة بلا حرس ولا خدم ، فقال : حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر ، وهو ما يصوره حافظ إبراهيم في قصيدته الرائعة المعروفة بالعمرية حيث يقول:

وراع صاحب كسرى أن رأى عمـرا

بين الرعية عطلا و هو راعيهـــــــا

وقال قولة حق أصبحت مثـــــــلا

وأصبح الجيل بعد الجيل يرويـــها

أمنت لما أقمت العـــدل بينـــهم

فنمت نـــوم قرير العين هانيهـــا

إن جاع في شدة قومٌ شـــــركتهـم

في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها

فمن يباري أبا حفص وسـيرتـــــه

أو من يحاول للفاروق تشبيهـــــــا

ومن أهم جوانب العدل ما يمكن أن نطلق عليه العدالة الاجتماعية ، التي تعني التكافؤ في الحصول على الفرص والمزايا والخدمات ، والعدالة الإدارية ، فإن تحقيق العدل الإداري بين الموظفين ، وتحقيق العدل في تقديم الخدمات ، وفي التعيينات ، وفي

الترقيات ، وفي السفر ، وفي الإيفاد والبعثات ، ووضع ضوابط واضحة وحاسمة وصارمة وشفافة ودقيقة أمر في غاية الأهمية ، ويسهم في تحقق الرضا المجتمعي ، وقوة الإيمان بالدولة ، ويعمق الولاء والانتماء لها ، في حين أن الإقصاء الإداري بلا سبب حقيقي واضح ومعلوم يؤدي إلى السخط والاحتقان.

أما الظلم فهو محض ظلمات ، حيث يقول الحق سبحانه:{وَلاَ تَحْسَبَنّ اللّهَ غَافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنّمَا يُؤَخّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ } ، ويقول سبحانه : {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتّخَذْتُ مَعَ الرّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً}[الفرقان : ٢٧-٢٩].

وإنا لنؤمل أن تسهم هذه الموسوعة بأجزائها المتتابعة إن شاء الله تعالى في تنمية وترسيخ القيم الأخلاقية ، وأن توفر زادًا علميًّا فكريًّا لأبنائنا الأئمة والخطباء يعينهم على أداء دروسهم الأسبوعية في هذا المجال.

والله من وراء القصد ، وهو الموفق والمستعان .

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف

الــرحــمــة

الإسلام دينُ الرَّحمة بكلّ صورها ، ودينُ الوسطيّة والاعتدال ، دينُ الأمن والأمان ، دينُ السلم والسلام ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) أرسله الله تعالى رحمة للعاملين ، فقال (عز وجل) : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[الأنبياء:١٠٧].

والرحمة كلمة جامعة لمكارم الأخلاق ، وتعني : الرفق والرقة والعطف والرأفة ، وهي سبب واصل بين اللّه (عزّ وجلّ) وبين عباده ، بها أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبها هداهم ، وبها يسكنهم دار ثوابه ، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم، فبينهم وبينه سبب العبوديّة، وبينه وبينهم سبب الرّحمة.

والرحمة من أهم ما تتميز به شريعة الإسلام ، فلقد انفردت صفة الرحمة وحدها في القرآن الكريم بالصدارة ، وبفارق كبير عن أي صفة أخلاقية أخرى ، حيث تكررت الرحمة بمشتقاتها ثلاثمائة وخمس عشرة مرةً ، وليس هذا مصادفة بحال من الأحوال ، فكل كلمة وكل حرف فيه نزل بقَدَر ولهدف.

وقد جعل الإسلام الرحمة لجميع الفئات والطوائف في المجتمع ، الضعيف قبل القوي ، والصغير قبل الكبير ، والمريض قبل الصحيح ، حتى الحيوان ، قال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف:١٥٦]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

قَالَ: (عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا ، إِذْ حَبَسَتْهَا ، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ) (رواه البخاري) .

إن رحمة الله (عز وجل) رحمة عامة شاملة لجميع الخلق ، فهو سبحانه أرحم الراحمين ، وخير الراحمين ، وسعت رحمته كل شيء ، قال تعالى :{رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَاتبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ}[غافر:٧]، وقال تعالى:{وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأنتَ خَيْرُ الرَّاحمين} [المؤمنون:١١٨]، وقال سبحانه:{فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف:٦٤].

وجدير بالذكر أن الإسلام يحمل في عقائده وتشريعاته وأخلاقه الرحمة والشفقة لكل من رغب في الهداية والفلاح ، قال تعالى واصفًا رسالة نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[الأنبياء:١٠٧]، فمن طلب رحمة الله وجدها في عقائده وتشريعاته.

والمتأمل في حياة البشرية يجد أنها في أمس الحاجة للتخلق بهذا الخلق العظيم ، وإحياء هذه القيمة الغالية التي تدل على تحضر الأمم وتقدمها ، فأمة لا تعرف الرحمة في قوانينها وتعاملاتها مع البشر هي أمة متخلفة وإن ادعت التحضر والتقدم.

الرحمة في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) :

لقد كانت غاية النبي (صلى الله عليه وسلم) هي رحمة الإنسان

وهدايته والسعي بكل سبيل إلى نجاته من المهالك في الدنيا والآخرة، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) أَنَّ غُلاَمًا مِنَ الْيَهُودِ مَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: (أَسْلِمْ). فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ. فَأَسْلَمَ ، فَقَامَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) وَهُوَ يَقُولُ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْقَذَهُ بِى مِنَ النَّارِ) (رواه أبو داود).

وقد ساق النبي (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه مثلا ملموسًا للرحمة، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟) قُلْنَا: لَا وَاللهِ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا) (رواه البخاري).

بل لقد بلغت الرحمة درجة متناهية في حق الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى ذكر الله (عز وجل) أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم! قال تعالى:{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}[الأحزاب: ٦] ، وذكر (صلى الله عليه وسلم) هذا المعنى تصريحًا ، وحمَّل نفسه أعباءً ضخمة نتيجة هذه الرحمة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا ، وَمَنْ تَرَكَ

دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ) (متفق عليه).

ومما تميزت به رحمة النبي (صلى الله عليه وسلم) الشمولية ، فالخادم له نصيب من رحمته (صلى الله عليه وسلم)، فعن أَنَس (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : (خَدَمْتُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ وَلَا لِمَ صَنَعْتَ وَلَا أَلَّا صَنَعْتَ) (متفق عليه)،وعند الترمذي: (خَدَمْتُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَهُ، وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ) ، وعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ : (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) (متفق عليه)، وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: (اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ ، فَقَالَ: أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ) (رواه مسلم).

والطفل كان له نصيب من رحمته (صلى الله عليه وسلم) ، فعن أَبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثُمَّ قَالَ: (مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ) (متفق عليه) ، وعَنْ

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضَعًا لَهُ فِي عَوَالِي – قُرى– الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ ظِئْرُهُ (زوج مرضعته) قَيْنًا – حدادًا– فَكَانَ يَأْتِيهِ وَإِنَّ الْبَيْتَ لَيُدَّخَنُ فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ) (رواه مسلم).

وكذلك الأسير الذي جاء محاربًا ومعاندًا كان له نصيب من رحمته (صلى الله عليه وسلم) ، فها هي سفانة ابنة حاتم الطائي التي أُسِرت في حرب مع قبيلة طيِء، فجُعِلَت في حظيرة بباب المسجد، فمرّ بها رسول الله؛ فقامت إليه، وكانت امرأةً جَزْلة [عاقلة] ، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامْنُنْ علَيّ مَنّ الله عليك، فقال رسول الله: (قَدْ فَعَلْتُ، فَلا تَعْجَلِي بِخُرُوجٍ حَتّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكِ مَنْ يَكُونُ لَهُ ثِقَةً حَتّى يُبَلّغَكِ إلَى بِلادِكِ، ثُمّ آذِنِينِي) تقول ابنة حاتم الطائي: وأَقمْتُ حتى قَدِمَ رَكْبٌ من بَلِيّ أو قضاعة، وإنما أُرِيد أن آتي أخي بالشام، فجئتُ فقلتُ: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقةٌ وبلاغ. قالت: فكساني، وحَمَلَني، وأعطاني نفقة، فخرجتُ معهم حتى قَدِمْتُ الشام) (سيرة ابن هشام).

والضعيف – أيضًا – له نصيب من رحمته (صلى الله عليه وسلم) ، فعَنْ جَابِرٍ (رضي الله عنه) قَالَ: لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ، قَالَ: أَلاَ تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ؟ قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ ، فَمَرَّتْ بِفَتًى

مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا ، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ : سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ، وَتَكَلَّمَتِ الأَيْدِي وَالأَرْجُلُ ، بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا. قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : (صَدَقَتْ، صَدَقَتْ ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لاَ يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ) (رواه ابن ماجه).

ومن رحمة الإسلام أنه أمر أتباعه بأن لا يظلموا غير المسلمين أيضًا، فعَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : مَرَّ هِشَامُ بْنُ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الأَنْبَاطِ بِالشَّامِ قَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ فَقَالَ : مَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالُوا: حُبِسُوا فِي الْجِزْيَةِ. فَقَالَ هِشَامٌ : أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا) (رواه مسلم).

ولم تقف رحمته (صلى الله عليه وسلم) عند حدود البشر ، بل امتدت لتشمل الحيوان أيضًا ، فكان له نصيب من رحمته (صلى الله عليه وسلم)، حيث أوصى بالرفق به والإحسان إليه في هذه اللحظة التي يفارق فيها الحياة – عند الذبح– ، فعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) (سنن الترمذي)، وعن عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) دخل حائطًا لرجل من الأنصار ، فإذا فيه جمل فلما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) حنّ

وذرفت عيناه فأتاه (صلى الله عليه وسلم) فمسح ذفراه فسكت ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟)، فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله ، فقال له : (أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ) (رواه أبو داود).

ولأن الرحمة خلق عظيم ، ووصف كريم ، فقد أُوتيها السعداء ، وحُرمها الأشقياء، وهي من الصفات التي جبلت عليها المخلوقات ، ومختلطة بكيان الموجودات الحية ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (متفق عليه).

وقد وصف الله تعالى المؤمنين بالتراحم فيما بينهم ، فقال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}[الفتح :٢٩]، على أن رحمة المؤمن لا تقتصر على إخوانه المؤمنين فقط وإنما تشمل الناس جميعًا ، فعَن أبي مُوسَى (رَضِي الله عَنهُ) أَنه سمع النَّبِي (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) يَقُول: (لن تؤمنوا حَتَّى تراحموا ، قَالُوا : يَا رَسُول الله كلنا رَحِيم، قَالَ إِنَّه لَيْسَ برحمة أحدكُم صَاحبه ، وَلكنهَا رَحْمَة الْعَامَّة) (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ)، وَعَن ابْن مَسْعُود (رَضِي الله عَنهُ) قَالَ : سَمِعت رَسُول الله (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) يَقُول : (مَنْ لَمْ يَرْحَمِ النَّاسَ لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ) (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ).

إن المؤمن الحق يوقن أنه دائمًا فقير إلى رحمة الله سبحانه وتعالى ويوقن أن رحمته (عز وجل) لا تنال إلا برحمة المخلوقين ، فعَن جرير (رَضِي الله عَنهُ) قَالَ : سَمِعت رَسُول الله (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) يَقُول : (من لَا يرحم من فِي الأَرْض لَا يرحمه من فِي السَّمَاء) (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ).

وَعَن عبد الله بن عَمْرو بن الْعَاصِ (رَضِي الله عَنْهُمَا) أَن رَسُول الله (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) قَالَ : (الرَاحِمُونَ يرحمُهم الرَّحْمَنُ، ارحموا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) (رَوَاهُ أَبُو دَاوُد، وَالتِّرْمِذِيّ)، ولأن الرحيم سبحانه وتعالى يحب الرحمة فقد سبقت رحمته غضبه، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِى) (رواه البخاري)، ثم عدَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) من لم يتخلق بخلق الرحمة من الأشقياء ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (لا تُنْزَعُ الرَّحمَةُ إلا من شَقِيٍّ) (رواه أبو داود ، والترمذي).

مظاهر الرحمة في الإسلام :

لقد وصل الأمر بالرحمة إلى الخلق جميعًا ، حتى شمل الحيوان ، فهو كائن حيّ ينال ما يناله الإنسان ، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً - وهي نوع من الطير - مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ - أي ترفّ بجناحيها - فَجَاءَ النَّبِيُّ (صلى

الله عليه وسلم) فَقَالَ: (مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا)، وَرَأَى (صلى الله عليه وسلم) قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقهَا بعض الصحابة ، فَقَالَ: (مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ ؟). قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ : (إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ) (رواه أبو داود).

وقد تعددت مظاهر الرحمة في التشريع الإسلامي إلى مظاهر كثيرة ، ومن ذلك :

- أن الإسلام أباح الصلاة للمريض على أي وجه يتحقق له من خلاله رفع الحرج ، فعن عمران بن حصين (رضي الله عنه) قال: (كانت بي بواسير، فسألت النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الصلاة، فقال: (صَلِّ قَائِمًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ) (رواه البخاري).
- ومنها: حرمة الاعتداء على أموال الناس، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}[النساء: ٢٩].
- ومنها : أن الإسلام لم يؤاخذ العبد ساعة الإكراه حتى ولو تلفظ بالكفر ، قال تعالى:{مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[النحل:١٠٦] ، ونقل الحافظ ابن كثير في تفسيره ، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن هذه الآية نزلت في

عمَّار بن ياسر ، حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد (صلى الله عليه وسلم) فوافقهم على ذلك مُكرَها وجاء معتذرًا إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فأنزل الله هذه الآية، وهكذا قال الشعبي، وقتادة.

- ومنها: رفع الحرج عن المعاقين والمرضى ، قال تعالى:{ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا}[الفتح:١٧].

وغير ذلك الكثير والكثير من صور الرحمة في التشريع الإسلامي التي تدل دلالة واضحة على أن الإسلام في مظهره وجوهره هو دين الرحمة واليسر ومراعاة مصالح العباد ، فالتشدد والتطرف والقسوة والغلظة ليسوا من مبادئ الإسلام ، فهي أمور تتنافى جملة وتفصيلا مع تعاليمه السمحة ، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُكَرِّهْ عِبَادَةَ اللهِ إِلَى عِبَادِهِ فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا يَقْطَعُ سَفَرًا وَلَا يَسْتَبْقِي ظَهْرًا) (البيهقي في شعب الإيمان وأخرجه أحمد مختصرًا وهو حسن بشواهده).

إن الجنة فتحت أبوابها لامرأة بغيّ سقت كلبًا فغفر الله لها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا) (رواه مسلم)، وإن نار جهنم فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت ، فإذا كانت الرحمة بكلب تغفر ذنوب البغايا،

فإن الرحمة بالبشر تصنع العجائب، وفي المقابل فإذا كان حبس هرة أوجب النار ، فكيف بمن يحبس الخير عن الناس بدون وجه حق؟!

التسامح

لقد جاء الإسلام برسالة سامية ، تدعو إلى الأخلاق والقِيَم وتؤسس لمجتمع نقي مترابط ، يتسم بنفوس زكية ، وقلوب تقية ، وفطرة نقيّة ، وتؤصل هذه الرسالة قيم الحب والرحمة والألفة وفقه التعايش وقبول الآخر ، ومن هذه الأخلاق الجامعة : خلق التسامح .

والتسامح قيمة أخلاقية يحبها الله ورسوله ، وعلامة يتميز بها المؤمن عن غيره ، بها تتحقق سعادة الإنسان وأمنه واستقراره .

وللتسامح في اللغة عدة معان منها : العفو عند المقدرة ، وكظم الغيظ ، واللين ، والرحمة ، والتعاطف ، وغير ذلك مما يحمله التسامح من معانٍ أخلاقية رائعة.

ولقد دعت إليه جميع الرسالات الإلهية ؛ لما له من دور فاعل في تنمية روح الألفة والمودة ، ونبذ الصراعات ، وتنقية الصدور من الأحقاد والبغض والكراهية ، فبالتسامح تتحقق الألفة لا الفرقة ، وبه تتحقق ثقافة الاختلاف لا ثقافة الضجيج ، وبالتسامح تنمو ثقافة التدبير لا التبرير ، وبه تزكو قيم الحب والاحترام لا قيم الكراهية والاحتدام ، وبالتسامح تنتشر قيم الرحمة لا القسوة ، وتسمو النفس إلى مرتبة أخلاقية رائعة تحقق تلك المعاني مع غيرها ، فما أطيبه من خلق كريم!! إذا التزمت به النفوس انعكس ذلك على المجتمع ، فأصبحنا أمام مجتمع نقي صاف مترابط ، تسوده قيم الوحدة بكل معانيها.

ويعد التسامح من المبادئ الرئيسة في الإسلام ؛ إذ إنه يعبّر عن

مقاصد النبوة ؛ حيث يقول الله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:١٠٧]، فرسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) كلها رحمة ولين.

وقد رسَّخ الإسلام لهذه القيمة في قلوب أتباعه ، فبيّن أنَّ الأنبياءَ أخوة ، لا تفاضلَ بينهم مِنْ حيث الرسالة ، ومن حيث الإيمان بهم ، قال تعالى:{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[الْبَقَرَةِ: ١٣٦] .

ومن صور التسامح في الإسلام: (التعايش مع أصحاب الأديان الأخرى وإكرامهم والبر بهم) ، قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[الممتحنة:٨]، وقال أيضًا :{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}[البقرة :٨٣]، فهذه الآيات وغيرها تؤكد أن الإسلام دين التسامح والتلطف ، والمعاملة بالمعروف مع الآخرين.

ومما لا شك فيه أن للسماحة والتيسير أهمية كبرى وأثرًا واضحًا في سرعة انتشار الإسلام وارتفاع رايته ودوام بقائه بين الأمم والشعوب التي اعتنقته ، فالتاريخ يشهد بأن سرَّ انتشار الإسلام واعتناق الناس له، ودخولهم في دين الله أفواجًا هو هذا المنهج الرباني المبني على التسامح والرحمة ، وحسن المعاملة وعدم التعصب والتشدد ، أما صور التعصب الممقوت التي يساء فيها إلى الإسلام ، والتي تتجاوز أصل السماحة إلى الشدة والمشقة والعنت، فإنها لا تدفع الناس إلى الدخول

فيه، بل تدفعهم إلى النفور منه، أو التفريط في بعض تعاليمه.

وإذا انتقلنا إلى التطبيق العملي للتسامح في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع أصحاب الأديان الأخرى سنجد أروع الأمثلة التي ضربها النبي (صلى الله عليه وسلم) في تسامحه مع غيره ومن ذلك :

- تسامحه (صلى الله عليه وسلم) مع غير المسلمين ، وذلك حين استقبل وفد نصارى الحبشة أكرمهم بنفسه ، وقال: (إِنَّهمْ كَانوا لأَصْحَابِنَا مُكْرِمِينَ، فإني أحبُّ أنْ أكافِئَهُمْ) (دلائل النبوة للبيهقي).
- ومن تسامحه (صلى الله عليه وسلم) قبوله الهديةً من المقوقس ملك مصر، وكانت الهدية السيدة مارية (رضي الله عنها) التي أنجبت ابنه إبراهيمَ (عليه السلام).
- تسامحه (صلى الله عليه وسلم) مع الأعرابي الذي عزم على قتله (صلى الله عليه وسلم) ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مُحَارِبَ خَصَفَةَ بِنَخْلٍ، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: (اللَّهُ) قَالَ: فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَقَالَ: (مَنْ يَمْنَعُكَ؟) قَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، قَالَ: (تَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟) قَالَ: أُعَاهِدُكَ عَلَى أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونُ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، قَالَ: فَخَلَّى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سَبِيلَهُ فَجَاءَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ:جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ (ابن حبان).

وحين أغلظ الأعرابي على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قابل النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هذه الغلظة بالتبسم والتسامح ، معلّمًا لنا كيف نتعامل مع الآخر؟ وكيف نقوده إلى طريق المصافاة والمودة؟! وكيف ندفع مساءة من أساء إلينا بالإحسان إليه؟! كما قال ربنا سبحانه: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فُصِّلَتْ: ٣٤]، فعن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ جَبْذَةً، حَتَّى رَأَيْتُ صَفْحَ، أَوْ صَفْحَةَ ـ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ) (رواه أحمد).

ولننظر إلى هذا التسامح العميق من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع سيد أهل اليمامة (ثمامة بن أثُال) ، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِى سَعِيدٍ المقبري، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يَقُولُ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِى حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ. فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِى الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: (مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟) فَقَالَ: عِنْدِى يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ؛ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ: (مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟)

قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ (مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟) فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ)، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلاَدِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ؟ فَقَالَ: لاَ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)، وَلاَ وَاللَّهِ لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) (رواه مسلم).

لم تكن هذه الأخلاقُ العظيمةُ في الإسلام شِعارًا فَضْفاضًا ، ولا قِيَمًا خالية مِن مَضامِينها الإنسانيَّةِ ، بل كانت حركةً نابضةً بالحياة جَسَّدَها الرَّسولُ الكريمُ (صلَّى الله عليه وسلَّمَ) في قُدوَتِهِ لنا بصورةٍ مُضيئةٍ، فقد آذته قريشٌ في معركة أُحُد، وجمعت جهدَها لقتْلِهِ ووَأْدِ دعوتِهِ ، وخرج

من المعركة جريحًا وقد كُسِرت رَباعيَّتُهُ وشُجَّ وجهُهُ الكريمُ، فقيل له: يا رسولَ الله ادْعُ على المُشركين، فقال: (إنِّي لم أُبْعَثْ لَعّانًا وإنَّما بُعِثْتُ رحمةً) (رواه مسلم).

وهذا ما بَرزَ واضحًا حين ذهب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف يدعو الناس إلى الإسلام، إلا أنهم رموه بالحجارة وأدموا قدمه الشريفة، فرجع (صلى الله عليه وسلم) وهو مهموم ، فأرسل الله تعالى له جبريل (عليه السَّلامُ) ومعه ملك الجبال ، فقال له جبريلُ : (إنَّ اللهَ قد سمِعَ قولَ قومِكَ لكَ وما ردُّوا عليكَ ، وقد بعثَ اللهُ إليكَ مَلكَ الجِبالِ لتأمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، فناداني ملك الجِبال فسَلَّمَ عليَّ، ثمَّ قال: يا مُحمَّدُ! إنْ شِئتَ أنْ أُطبِقَ عليهمُ الأَخشَبَيْنِ، فقال النَّبيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) : (بل أرجو أن يُخرِجَ اللهُ مِن أصلابِهِم مَن يعبُدُ اللهَ وحدَهُ لا يُشرِكُ به شيئًا) (متفق عليه).هكذا نظر رسول الله إلى قومه بنور الإسلام وسماحته.

وعلى نهجه (صلى الله عليه وسلم) سار الصحابة (رضي الله عنهم)، فهذا أبو بَكرٍ الصِّدِّيقِ (رَضِيَ اللهُ عَنهُ) كَانَ يُنفِقُ عَلَى مِسطَحِ بنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنهُ وَفَقْرِهِ – فَلَمَّا وَقَعَ المُنَافِقُونَ في عِرضِ ابنَتِهِ عَائِشَةَ الصِّدِّيقَةِ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) وَكَانَ مِسطَحٌ فِيمَن وَقَعُوا– قَالَ الصِّدِّيقُ: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[النور:٢٢] ، فَقَالَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ: (بَلَى وَاللهِ ، إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا) (صحيح البخاري).

إِنَّ أَعظَمَ السَّمَاحَةِ وَأَعلَى دَرَجَاتِهَا، أَن يَتَسَامَحَ المَرءُ مَعَ مَن أَسَاءَ إِلَيهِ، أَو جَحَدَ فَضلَهُ وَنَسِيَ مَعرُوفَهُ.

بهذه النظرة الإنسانية وما فيها من محبة وتسامح ساد الإسلام وارتفعت رايته ؛ لأنه جاء بما يتوافق مع فطرة الإنسان وبما جبلت عليه العقول السليمة من حب الخير للناس أجمعين ، وإذًا فليس في ثقافة الإسلام ولا تعاليمه ما يدعو إلى العنف والكراهية.

إننا بحاجة إلى خلق السماحة وإعلاء قيمتها ، وضرورة التخلق بها ، لنطهّر بها أنفسنا من الغلّ والشحناء والمنازعة والبغضاء ، ونرسم في مجتمعاتنا شعائر المحبّة والإخاء ، وما أجمل أن تزكو قيمة السماحة في حاضرنا.

الصـــدق

إن الصدق من الصفات الحميدة والفضائل الكريمة التي يجب التحلي بها لبناء مجتمع متماسك ، فهو عنوان الإسلام ، وأحد مظاهر الإيمان ، وأساس الدين ، به يُعرف المؤمنُ ، وتحصل به النجاة ، ومعناه: مطابقة الخبر للواقع.

وقد اشتهر به النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ :{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} صَعِدَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ ، حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ مَا هُوَ ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: (أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟) قَالُوا: نَعَمْ ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا ، قَالَ: (فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) ، فَقَالَ: أَبُو لَهَبٍ : تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا ، فَنَزَلَتْ{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}(رواه البخاري).

ولم تجد السيدة خديجة (رضي الله عنها) ما تطمئن به النبي (صلى الله عليه وسلم) وتذهب به خوفه بعد نزول الوحي عليه بغار حراء إلا بتذكيره بفضائله التي عُرِفَ بها ومنها الصدق، فقَالَتْ (رضي الله عنها) للنبي (صلى الله عليه وسلم) : (كَلَّا وَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) (رواه البخاري).

فالصدق فضيلة يجب على كل مسلم أن يتحلى بها ؛ لأنها من أهم الدعائم التي تستقيم بها الحياة وتنصلح بها العلاقات بين أفراد المجتمع وتقوى بها الروابط بين الناس ، لذا رغّب فيه النبي (صلى الله عليه وسلم)، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا) (رواه مسلم).

الصدق في القرآن الكريم:

ورد الصدق في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، تأمر به ، وتمدح أهله ، وتبين ما أعده الله تعالى لهم من منزلة عظيمة .

- فتارة يأمر الله (عز وجل) المؤمنين بأن يتحلوا به في أقوالهم وأفعالهم قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩] .
- وتارة يخبر الله (عزّ وجلّ) أنه موضع سؤال للعبد يوم القيامة ؛ مما يؤكد مكانته ووجوب اتصاف المؤمن به ، قال تعالى: {لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا}[الأحزاب:٨] ، وأنه تعالى سيجازيهم عليه، قال تعالى:{لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ}[الأحزاب : ٢٤].

- وتارة يؤكد الله (سبحانه) أن الصدق من سمات المؤمنين العاملين، فيفرده بالذكر مع غيره من سمات المؤمنين أهل المغفرة ، قال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}[الأحزاب : ٣٥] .
- وتارة يذكر الله (تعالى) البشارة للصادقين ببيان ما أعد لهم ، كما في قوله تعالى:{...وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ}[يونس: ٢] .
- والصدق ينفع أهله يوم القيامة ، فيكون سببًا في الفوز بالجنة ، قال تعالى: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[المائدة : ١١٩].
- ووصف الله تعالى به أنبياءه (عليهم السلام) ، فقال تعالى عن إبراهيم (عليه السلام):{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} [مريم:٤١]، وقال تعالى عن إسماعيل (عليه السلام): {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا}[مريم : ٥٤]، وقال تعالى عن إدريس (عليه السلام):{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا}[مريم:٥٦] ، وقال تعالى عن يوسف (عليه السلام) : {يُوسُفُ

أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ...}[يوسف :٤٦]. فالصدق من آكد صفات الأنبياء والرسل الذين يجب الاهتداء بسمتهم وصفاتهم.

ويكفي الصدق عظمة أن الله (عزّ وجلّ) وصف به نفسه ، فقال تعالى:{قُلْ صَدَقَ اللَّهُ}[آل عمران: ٩٥] ، وقال سبحانه : {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا}[النِّسَاءِ:٨٧]، وقال سبحانه:{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء:١٢٢].

الصدق في السنة النبوية الشريفة:

لقد رغَّب المعصوم (صلى الله عليه وسلم) في الصدق بمرغبات عديدة تعملُ على تربية النفوس وتقويمها ، وإصلاح أمرها في الدنيا والآخرة ، منها :

أولا: **الصدق يدخل الجنة** ، فقد (بيّن) النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الصدق من أهم الأعمال التي تدخل صاحبها الجنة ، فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن رجلًا جاء إلى النبي (صلى الله عليه و سلم) فقال: يا رسول الله ما عملُ الجنة؟. قال : (الصِّدْق، وإذَا صَدَق العَبدُ برَّ، وإذا برَّ آمَنَ، وإذا آمَنَ دخل الجنة) قال: يا رسول الله ما عملُ النار؟. قال: (الكَذِبُ، إذا كَذَبَ العَبْدُ فَجَرَ، وإذا فَجَر كَفَر، وإذا كفر دخل)، يعني النارَ. (رواه أحمد)، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى

يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا) (متفق عليه) .

ثانيا: **الصدق سبب استجابة الدعاء والنجاة من المهالك وتفريج الكروب** : فمن صدَقت نيته مع ربه تكفَّل الله بحفظه ، ودفع عنه شرور الحياة ومتاعبها ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (بَيْنَمَا ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلاَءِ، لاَ يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا ، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ الآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ، فَكُنْتُ لاَ أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا ، فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا ، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا ، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ،

فطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا ، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا) (رواه البخاري).

ثالثا: **الصدق يورث الطمأنينة والسكون** ، فعن أَبِي الحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟) قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ) (رواه الترمذي).

رابعا: الصدق هو أصل البر ، والبر كلمة جامعة لكل الصفات الحميدة التي جاءت في القرآن الكريم وحثّ عليها النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا) (متفق عليه).

خامسا : الصدق يجلب البركة والمنفعة في الحياة كلها ، ومن أمثلة ذلك ما يكون في البيع والشراء ، فعن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا) (رواه البخاري).

سادساً: **الصدق يجلب التثبيت لصاحبه** في الدنيا بالمنافع وحسن القول والعمل والحجة القاطعة والأمن من الفتن، وفي الآخرة بأسباب النجاة والفوز بالجنة ، كما أن صاحب الصدق لا تضره الفتن ، قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}[إبراهيم:٢٧]. فالمؤمن لا يوصف بالإيمان إلا إذا كان صادقًا.

ولقد حث الإسلام على التزام الصدق في جميع مجالات الحياة؛ الدينية والدنيوية ، ووعد من التزم به بالثواب في الدنيا والآخرة ، فالفوز بما وعد الله تعالى به مشروط بالصدق مع الله (عز وجل) ، قال سبحانه: {فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ}[محمد:٢١] ، فمن صدق الله في قوله وفعله أنعم الله تعالى عليه بما لم ينعم به على غيره ، فعن سَهْل بْن أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ) (رواه مسلم).

وكذلك قصة الأعرابي الذي صدق في نيته مع الله (عزّ وجلّ) ، فعَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَعْضَ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سَبْيًا ، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟، قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ

النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: (قَسَمْتُهُ لَكَ)، قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ، فَأَمُوت فَأَدْخُل الْجَنَّةَ فَقَالَ: (إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقكَ)، فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَهُوَ هُوَ؟) قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: (صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ)، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي جُبَّتِهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: (اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ) (رواه النسائي)، فصدقت نيته مع الله تعالى في طلب الشهادة فَصدقَه فنالها.

أنـــواع الصـــدق:

أولا: **الصدق في الأقوال**: ويكون بحفظ اللسان عما حرم الله تعالى قوله؛ من الكذب والنطق بالزور، وشهادته، وعن كل ما يخالف الحقيقة.

ثانيا: **الصدق في الأفعال**: بامتثال الأمر والنهي، والحلال والحرام ظاهرًا وباطنًا، فلا يغش ولا يخدع.

ثالثا: **الصدق في الأحوال**: بإخلاص القلب والجوارح وصدق النية في القول والفعل لله (عزّ وجلّ).

وأعلى طبقات الصدق ما كان مع الله سبحانه وتعالى، ثم ما كان مع الرسل والأنبياء (عليهم السلام) ، ثم ما كان مع النفس ، ثم ما كان مع سائر الناس في كل الأحوال وجميع المعاملات.

الأمـــانــة

إن الدين الإسلامي هو دين القيم والأخلاق ، وما أرسل الله (عزّ وجلّ) نبينا (صلى الله عليه وسلم) إلا ليتمم صالح الأخلاق ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنّ النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) قال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) (مسند أحمد).

ومن قيم الإسلام العالية وأخلاقه السامية خلق الأمانة ، والأمانة ضدّ الخيانة ، وهي: كلُّ حقٍّ لزمنا آداؤه ، ولزمنا المحافظة عليه (فيض القدير للمناوي). وقيل: هي كلُّ ما افُترِضَ على العباد فهو أمانة ، كصلاة وزكاة وصيام وأداءِ دَيْنٍ ، وأوكدها الودائعُ، وأوكدُ الودائعِ كتمُ الأسرار (الكليات للكفوي). وهي بذلك تمتد لتشمل كل شرائع الدين.

مكـانتـها :

إن الأمانة من أعظم أخلاق الرسل والأنبياء ، فهم أمناءُ الله (عز وجل) على وَحيه ، وقد وصف الله (عزّ وجلّ) بها خمسة من أنبيائه ورسله (عليهم السلام) في سورة الشعراء - وهم: نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب (عليهم السلام) - فقال تعالى على لسان كلّ واحد منهم مخاطبا قومه: {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ}[الشعراء:١٠٧:١٢٥:١٤٣:١٦٢:١٧٨]، وقال سبحانه وتعالى واصفًا كليمه موسى (عليه السلام) : {وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ}[الدخان:١٧:١٨].

فخلق الأمانة مما يجب في حق الأنبياء والرسل ، لذلك هم يأمرون

به، ويحثون عليه، ويؤكد ذلك سؤال هرقل عظيم الروم أبا سفيان عن دين الإسلام وعن صفةِ نبيه (صلى الله عليه وسلم) أخبره أنه يأمر بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، فقَالَ له هرقل: "هَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ " فأبو سفيان في هذا الموضع يذكر ما رآه أهم ما يميز الإسلام.

ولقد تَمَثَّلَ خلق الأمانة في أعلى صوره وأكمل معانيه في شخص سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) حتى إن أعداءه وخصومه كانوا يلقبونه بالصادق الأمين ، وحين هاجر (صلى الله عليه وسلم) أمر عليًّا بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن ينام في فراشه وأن ينتظر ليرد الأماناتِ المودعةَ عنده إلى أهلها، وهم قوم كفار ناصبوه العداء، وأخرجوه وآذوه وآذوا أصحابَه وأخذوا كل ما يملكون، ذلك لأن المؤمن لا تحل له الخيانة حتى مع أعدائه، والله تعالى يقول: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}[الأنفال: ٥٨]، فالمؤمن لا يعرف الخيانة حتى مع الخائنين، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ).

كذلك التحلي بالأمانة علامة فارقة بين الإيمان والنفاق ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنّ النبيّ (صلى الله عليه وسلم) قال: (آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) (متفق عليه)، فكمال الإيمان مشروط بالأمانة ، فهي المعيار الحقيقي للتدين ، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: ما خطبنا نبيّ الله (صلى الله عليه

وسلم) إلا قال: (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ) (مسند أحمد) ، ويقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): (لَا تَغُرُّنِي صَلَاةُ امْرِئٍ وَلَا صَوْمُهُ، مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ صَلَّى، لَا دِينَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ) (مكارم الأخلاق للخرائطي)، وعن نافع : أن ابن عمر (رضي الله عنهما) طاف بالبيت سبعًا وصلى ركعتين، فقال له رجل من قريش: ما أسرع ما طفت وصليت يا أبا عبد الرحمن. فقال له ابن عمر (رضي الله عنهما): (أَنْتُمْ أَكْثَرُ مِنَّا طَوَافًا وَصِيَامًا، وَنَحْنُ خَيْرٌ مِنْكُمْ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَإِنْجَازِ الْوَعْدِ) (الآداب الشرعية).

كما أن التحلي بالأمانة من صفات السيادة والرياسة، والإنسان الأمين سيّد بين الناس، يقول الإمام الشافعي (رحمه الله): (آلات الرِّياسة خمس: صِدقُ اللَّهجة، وكتمانُ السِّرِّ، والوفاءُ بالعهد، وابتداءُ النَّصيحة، وأداءُ الأمَانَة) (سير أعلام النبلاء). والنبي (صلى الله عليه وسلم) كان سيدًا بين قومه فلقب قبل نبوته بالصادق الأمين .

وجدير بالذكر أن المحافظة على الأمانة من أعظم خصال الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة ، في طريق موصلٍ إلي الجنة ، قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ *

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[المؤمنون:١- ١١].

صور الأمانة في الكتاب والسنة:ـ

للأمانة صور متعددة فى الكتاب والسنة ، منها :ـ

(١) **أمانة عامة** تشملُ جميع ما افترضه الله تعالى علينا من طاعات وعبادات، ويدخل فيها أيضا الانتهاء عمّا حرّم الله عز وجل ، وهذا هو المراد بقوله تعالى:{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}[الأحزاب:٧٢]، فالمراد بالأمانة هنا: أداء التكاليف الشرعية بأوامرها ونواهيها، فنأتمر بالأوامر، وننتهى عن النواهي.

وقد عرض الله (عزّ وجلّ) هذه الأمانة على السماوات والأرض عرض تخيير لا إلزام ـ فرفضن حملها خوفًا وخشيًة، وتعظيمًا لدين الله تعالى، لا معصية ومخالفة له (سبحانه وتعالى)ـ فقال لهن: (أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟. قلن: وما فيها؟. قال: إن أحسنتن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن. فقلن: لا يا رب نحن مسخراتٌ لأمرك لا نريد ثوابًا ولا عقابًا) (تفسير البغوي)، والمراد بالسماوات والأرض: أهلهما وسكانهما، ومن الممكن أيضا أن نستدل لتلك الأمانة العامة بقوله تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[الأنفال:٢٧]، قال الإمام الماوردي (رحمه الله) : {وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ}فيها ثلاثة أوجه: أحدها: فيما أخذتموه من الغنيمة أن تحضروه إلى المغنم. الثاني: فيما ائتمن الله العباد عليه من الفرائض والأحكام أن تؤدوها بحقها ولا

تخونوها بتركها. والثالث: أنه على العموم في كل أمانة أن تؤدى ولا تخان) (النكت والعيون) .

(٢) **أمانة خاصة** وتشتمل على صور كثيرة متنوعة ، منها:

* **إسناد الأمور إلى أهلها** ، بمعنى: وضع الرجل المناسب في المكان المناسب - بدون وساطة، أو محسوبية، أو رشوة - وخصوصا في الأماكن الهامة ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: بينما النبيّ (صلى الله عليه وسلم) فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟. فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: (أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟) قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟. قَالَ: (إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) (رواه البخاري) ، وعن أبي ذرّ (رضي الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني (تجعلنى عاملًا لك فتوليني أمرًا من أمور المسلمين)، قال: فضرب بيده على منكبي (كتفي) ثم قال: (يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا) (رواه مسلم). (إِنَّكَ ضَعِيفٌ) أي: ضعيف الإدارة ، ضعيف الخبرة لا ضعف إيمان.

* **المحافظة على الجوارح والأعضاء** من الوقوع في معصية الله (عزّ وجلّ) قال تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}[الإسراء:٣٦]، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما)

قال: كنت خلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ...) (رواه الترمذي) ، قال ابن رجب الحنبلي: (ومن ذلك حفظ الرأس والبطن... وحفظ الرأس وما وعى؛ يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات ، وحفظ البطن وما حوى؛ يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على محرم ، وقد جمع الله (عزّ وجلّ) ذلك كله في قوله تعالى:{إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}، ويتضمن أيضا حفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب، ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله (عزّ وجلّ): اللسان والفرج) (جامع العلوم والحكم)، وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: (أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْإِنْسَانِ فَرْجَهُ وَقَالَ: هَذِهِ أَمَانَةٌ اسْتَوْدَعْتُكَهَا، فَالْفَرْجُ أَمَانَةٌ، وَالْأُذُنُ أَمَانَةٌ، وَالْعَيْنُ أَمَانَةٌ، وَالْيَدُ أَمَانَةٌ، وَالرِّجْلُ أَمَانَةٌ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ)(تفسير البغوى)، وكان أبو الطيبِ الطبريُّ قد جاوزَ المائةَ سنة وهو ممتعٌ بعقلِهِ وقوتِهِ ، فوثبَ يومًا من سفينة كان فيها إلى الأرضِ وثبةً (قفزة) شديدةً، فعوتبَ على ذلكَ، فقال: (هذه جوارحٌ حفظنَاها في الصغرِ، فحفظَها اللَّهُ علينا في الكِبَرِ) (تفسير ابن رجب الحنبلي).

* **المحافظة على البصر** ، **وغضه عن الحرام** ، قال تعالى:{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}[غافر:١٩] خيانتها ، ومسارقة النظر إلى ما نهى الله عن النظر إليه (تفسير البغوي ، وزاد المسير بتصرف)، وقال تعالى على لسان ابنة الرجل الصالح :{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ

اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}[القصص:٢٦]، وإنما سمَّته قويًّا ، لرفعه الحجر على رأس البئر الذي لا يستطيع أن يرفعه إلا عشرة رجال ، وقيل: لأنه استقى بدلو لا يقلها إلا العدد الكثير من الرجال ، وسمته أمينًا ، لأنه أمرها أن تمشي خلفه. عندما كانت الريح تضرب ثوبها فيصف بعض جسدها، فناداها: يا أمة الله ، كوني خلفي ودليني الطريق. (زاد المسير ، وتفسير ابن كثير بتصرف).

* **حفظ الأسرار الزوجية** ، فلا يحدِّثُ الزوج ولا الزوجة بما يكون بينهما عند المعاشرة الزوجية ، فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال: رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا) (رواه مسلم) ، وقوله (صلى الله عليه وسلم): (إن من أعظم الأمانة) على حذف المضاف أي: أعظم خيانة الأمانة. (الرجلَ) على حذف المضاف أيضا أي: خيانة الرجل.

* **الأمانة في المشورة بصدق وإخلاص** لمن طلبها ، فإذا أشير عليه بغير الرأى الصحيح فذلك خيانة للأمانة ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ) (رواه أبو داود) ، و (مؤتمن) أي: أمين فيما يُسأل من الأمور ، فلا ينبغي أن يخون المستشير بكتمان مصلحته. (عون المعبود).

* **حفظ الأموال،والودائع،وردِهاإلى أصحابها عند طلبها**، وهذا هو المعنى المفهوم للأمانة عند كثير من الناس، قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ

أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}[النساء:٥٨]، فالآية وإن كان نزولها في واقعة خاصة إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية عامة في كلّ مؤتمن على أي شيء ، وهذا قول أبيّ بن كعب ، والحسن، وقتادة (تفسير الماوردي)، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ) (رواه أبو داود)، وهذا ما أمرنا به نبيُّنا (صلى الله عليه وسلم) حين أمر عليًّا (رضي الله عنه) أن ينام في فراشه ليلة الهجرة ؛ لكي يردّ الأمانات ، والودائع إلى أصحابها.

وقد بيَّن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن خائن الأمانة سيعذب بسببها في النار، وسوف تكون عليه خزيًا وندامة يوم القيامة، فعن ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ فَقِيلَ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ) (أخرجه مسلم)، فيا لها من فضيحة وسط الخلائق!! تجعل المسلم حريصًا على الأمانة حافظًا لها ، ويكفي في خائن الأمانة قولاً أو عملاً أن النبي (صلى الله عليه وسلم) خصيمه يوم القيامة ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ) (أخرجه ابن ماجه).

ما أعظم هدي ديننا وهو يأمرنا بالحفاظ على الأمانة في كل شيء، لأن من علامات قيام الساعة ضياع الأمانة والتّفريط فيها والتّهاوُن في أدائها، وتغليب المصالح الخاصّة على المصالح العامّة فتقطع الأرحام ويُساء الجوار ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ، وَسُوءُ الْجِوَارِ) (أخرجه أحمد).

الإخــــــــلاص

لقـد خَلَقنـا الله (سـبحانه وتعـالى) في هـذه الحيـاة الـدنيا لعبادتـه وطاعته ، وعمارة الكون ، فقال (عز وجل) :{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات : ٥٦]، ثم أمرنا سبحانه بالإخلاص في عبادته ، فقال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}[البينة :٥] ، وقال سبحانه وتعالى : {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}[الملك: ١٥].

وقد بيَّن لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أن قَبول الأعمال متعلق بصدقِ النية والإخلاص فيها ، فعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) (متفق عليه)، ولكي نصل إلى درجة الإخلاص فلا بد وأن نخلص القلب لله (عز وجل) حتى يحكم القلب حركة الجوارح ، فتنفعل الجوارح لمراد الله.

وجدير بالذكر أن القلب هو موطن نظر الحق سبحانه وتعالى، وهو مهبط الرحمات ، وموضع الفيوضات الإلهية ، فإذا صلُح صلُح الجسدُ كله، وإذا فسد فسد الجسدُ كله ، فعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ (رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ (صَلَّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللّهَ تَعَالَى لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) (رواه مسلم).

أما عن حقيقة الإخلاص: فقد اختلفت أقوال العلماء في بيانها ، فقال العز بن عبد السلام (رحمه الله) : الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده ، لا يريد بها تعظيمًا من الناس ، ولا توقيرًا ، ولا جلب نفع ديني ، ولا دفع ضرر دنيوي (مقاصد المكلفين) .

وقال سهل بن عبد الله التستري (رحمه الله): الإخلاص : أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة ، ويقول إبراهيم بن أدهم: الإخلاص : صدق النية مع الله تعالى (إحياء علوم الدين).

وأما عن منزلة الإخلاص: فللإخلاص منزلة رفيعة ومكانة عالية ، فهو سر خفي من أسرار الحق سبحانه وتعالى يهبه لمن يحب من عباده، وعليه مدار القبول، فلا يطّلع عليه ملك فيكتبه ، ولا شيطانٌ فيفسده ، ولا يعجب به صاحبه فيبطله ، والعمل بغير إخلاص لا قيمة له ولا وزن له ، فصاحبه كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه ، ومن شاهد في إخلاصه الإخلاص ، فإن إخلاصه يحتاج إلى إخلاص، وهذا سر عظيم.

وما أحوجنا أن نتدبر قوله تعالى :{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}[الملك:٢] ، قال الفضيل ابن عياض (رحمه الله) في هذه الآية : أخلصه وأصوبه ، قيل: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟، قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل ، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة.

فمن عمل عملاً أشرك فيه غير الله تركه الله (عز وجل) لشركه، فعَنْ

أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ) (رواه مسلم)، وفي رواية أخرى : (... فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ) (رواه ابن ماجه).

فإذا راءى الإنسان بعمله ولم يقصد به وجه الله (عز وجل) فسد عمله ، وساء مصيره ، بل كان أول الهالكين يوم القيامة ، فعن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَومَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ ، فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ ! فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ القُرآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا . قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ ! وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ ؛ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ . وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ ، فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنْفَقَ فِيهَا إلاَّ أنْفَقْتُ فِيها لَكَ. قَالَ : كَذَبْتَ ، ولكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: جَوَادٌ ! فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ).

ومن أجل هذا كانت نظرة السلف الصالح إلى الإخلاص نظرة ثاقبة ، فكانوا يبنون كل أعمالهم على الإخلاص ، وكانوا حريصين كل الحرص على المداومة عليه ، وكيفية الوصول إليه ، فهذا الفضيل بنُ عياض يقول : " ترْك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما" (شعب الإيمان للبيهقي) ، ويقول الإمام الشافعي (رضي الله عنه) : "وددت أن الناس تعلموا هذا العلم- يعني كتبه- على أن لا ينسب إليَّ منه شيء"(سير أعلام النبلاء للذهبي).

فهذه الكلمات من الإمام الشافعي تدل على الإخلاص الذي كان يتحلى به، وتلك علامة من علامات المخلصين، إنهم لا يعملون لأنفسهم، بل مرادهم رضا ربهم ، ويودون أن يكفيهم غيرهم تعليم الحق وإظهاره ، وعندما يحاورون خصمهم لا يكون غاية همهم أن يغلبوه ، بل مرادهم ظهور الحق على لسان خصمهم ، والمخلص لا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله. [إصلاح القلوب]، فَعَلَى العَبْدِ أَنْ يَهْتَمَّ بِقَلبِهِ وَيُزَيِّنَهُ بِالتَّوبَةِ وَالإِنَابَةِ إِلَى اللّهِ تَعَالَى وَيُطَهِّرَهُ مِنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُهُ اللّهُ (عز وجل) فَإِنَّ زِينَةَ الظَّاهِرِ مَعَ خَرَابِ البَاطِنِ لا تُغْنِي شَيًّا.

ومن علامات المخلص: أَنْ يَكُونَ اهْتِمَامُهُ بِتَصْحِيحِ العَمَلِ أَعْظَمَ مِنْهُ بِالعَمَلِ ، فَيَشهَدُ سِتَّةَ مَشَاهِدٍ :

المشهد الأول: الإِخْلَاصُ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الحَامِلُ وَالدَّاعِي إِلَى الطَّاعَةِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى.

المشهد الثاني: مَشهَدُ الصِّدقِ وَالنُّصحِ، وَهُوَ أَنَّ يُفَرِّغَ قَلْبَهُ للّهِ فِي

الطَّاعَةِ، وَيَسْتَفْرِغَ جُهْدَهُ فِـي إِقْبَالِهِ فِيهَا عَلَـى اللّـهِ، وَجَـمْعِ قَلْبِـهِ عَلَيْهَا، وَإِيقَاعِهَا عَلَـى أَحْسَنِ الوجُوهِ وَأَكْمَلِهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

المشهد الثالث: مَشهَدُ الـمُتَابَعَةِ وَالاقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ (صَلَّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ).

المشهد الرابع: مَشهَدُ الإِحْسَانِ وَهُـوَ مَشهَدُ الـمُرَاقَبَةِ ، وَهُـوَ أَنْ يَعْبُـدَ اللّـهَ كَأَنَّهُ يَـرَاهُ.

المشهد الخامس: مَشهَدُ الـمِنَّةِ، وَهُوَ أَنْ يَشهَدَ أَنَّ الـمِنَّةَ للّـهِ – سُبْحَانَـهُ – فِي أَيِّ طَاعَةٍ يَفْعَلُهَا ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[الحجرات: ١٧] ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ}[النحل: ٥٣]، وَقَالَ سبحانه وتعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ}[الحجرات: ٥٣].

المشهد السادس: مَشهَدُ التَّقْصِيرِ ، وَأَنَّ العَبْدَ لَوِ اجْتَهَدَ فِـي القِيَامِ بِالأَمْرِ غَايَةَ الاجْتِهَادِ وَبَذَلَ وُسْعَهُ فَهُوَ مُقَصِّرٌ، وَحَقُّ اللّـهِ سُبْحَانَـهُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ ، وَالَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَابَلَ بِهِ مِنْ الطَّاعَةِ وَالعُبُودِيَّةِ وَالـخِدْمَةِ فَوْقَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ، وَأَنَّ عَظَمَتَهُ وَجَلَالَهُ سُبْحَانَهُ يَقْتَضِي مِنَ العُبُودِيَّةِ مَا يَلِيقُ بِهَا.

فالإخلاص، والصدق، والمتابعة، والإحسان ، والمنة ، والتقصير لايَشْهَدُهَا إِلَّا القَلْبُ الـحَيُّ السَّلِيمُ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ يَخَافُ أَنْ لا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ ، فعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا) قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللّـهِ (صَلَّى اللّـهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ) عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [المؤمنون:٦٠]، قَالَتْ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الـخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: (لاَ

يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ ، وَهُم يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُم ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) (رواه الترمذي) ، فَيَا لَهَا مِنْ مَشَاهِدَ ، مَا أَجَلَّهَا وَأَعْلَاهَا ، وَمَا أَعْظَمَ حَظَّ مَنْ نَالَهَا وَتَبَوَّأَ عُلَاهَا. (كتاب إصلاح القلوب ـ عبدالهادي بن حسن وهبي).

ولو نظرنا إلى سلفنا الصالح (رضى الله عنهم) لوجدنا كيف كانوا يطبقون الإخلاص حتى رسخ في قلوبهم ، قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ (رضي الله عنه) لأُوَيسِ بنِ عَامِرٍ : (اسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَينَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الكُوفَةَ، قَالَ: أَلا أَكْتُبُ لَكَ إِلى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ في غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلي) (رواه مسلم)، وَهَذَا مِنْ إِيثَارِ الخُمُولِ وَكَتْمِ حَالِهِ.

وقَالَ حَمْزَةُ بنُ دَهْقَانَ : (قُلْتُ لِبشرِ بنِ الحَارِثِ : أُحِبُّ أَنْ أَخْلُوَ مَعَكَ، قَالَ : إِذَا شِئت فَيَكُونُ يَومًا ، فَرَأَيتُهُ قَدْ دَخَلَ قُبَّةً، فَصَلَّى فِيهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ لا أُحْسِنُ أُصَلِّي مِثلَهَا، فَسَمِعتُهُ يَقُولُ في سُجُودِهِ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ فَوْقَ عَرْشِكَ أَنَّ الذُّلَّ أَحَبُّ إِليَّ مِنَ الشَّرَفِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ فَوْقَ عَرْشِكَ أَنَّ الفَقرَ أَحَبُّ إِليَّ مِنَ الغِنَى، اللَّهُمَّ إِنَّك تَعْلَمُ فَوْقَ عَرْشِكَ أَنِّي لا أُوثِرُ عَلى حُبِّكَ شَيئاً. فَلَمَّا سَمِعتُهُ، أَخَذَنِي الشَّهِيقُ وَالبُكَاءُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعلَمُ أَنِّي لَو أَعلَمُ أَنَّ هَذَا هَاهُنَا، لَم أَتَكَلَّمْ) (كتاب إصلاح القلوب).

إن أثر الإخلاص يظهر على صاحبه ، وثمرته تكون في الدنيا والآخرة ، وصدق الله حيث يقول: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت:٦٩].

ثمرات الإخلاص:

١ ـ مغفرة الذنوب والفوز برضوان الله (عزّ وجلّ) .

٢ ـ النصر بإذن الله على الأعداء ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ * وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[سورة الأنفال: ٤٥– ٤٧].

٣ ـ الحفظ من الشيطان ونزغاته ، قال تعالى :{قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} [الحجر:٣٩].

٤ ـ تفريج الكربات والهموم والغموم التي يتعرض لها المخلص ، كقصة أصحاب الكهف ، وحديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فنزلت عليهم صخرة سدت مدخل الغار.

٥ ـ النيل لشفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم)، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَى مِنْكَ ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ ، إِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ) (رواه البخاري).

٦ ـ فعل الخير دون انتظار مقابل أو جزاء دنيوي ، قال تعالى:{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِناً وَ أَسِيرًا * إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ

جَزاءً وَلاَ شُكُورًا}[الإنسان:٨، ٩].

٧ ـ ظهـور سـيم الصـلاح علـى المخلـص ، قـال تعـالى: {...سِيمَاهُمْ فِـي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ...}[الفتح :٢٩].

٨ ـ استجابة الدعاء ، قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِين}[المائدة :٢٧].

٩ـ النجـاة مـن المهالـك ، وصـرف الأذى والفحشـاء ، قـال تعـالى:{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}[سورة يوسف :٢٤].

العـدل

العدل اسم من أسماء الله تعالى الحسنى ، وصفة من صفاته ، كما أنه قيمة إنسانية وحضارية دعا إليها الإسلام ، وجعلها مقصدًا من مقاصد شريعته.

والعدل معـناه : إعطاء كل ذي حق حقه من الأقوال والأفعال بغير تفرقة أو أو تمييز أو محاباة .

وقد عُرِفَ الإسلام بعدله بين الشرائع والأديان وانتشر به بين البلدان؛ فهو غاية كل مجتمع ، وفريضة واجبة على المسلم نحو غيره ، فهو من أهم الأسس التي يقوم عليها التعايش السلمي بين أفراد المجتمع ، فالإسلامَ قَدْ حفظَ حقوقَ الآخرينَ وصانَهَا ، ونصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ شاهِدَةٌ علَى هذَا ، فقد جاءت آيات القرآن الكريم تأمر بالعدل وتحث عليه ، وتدعو إلى التمسك به، يقول تعالى: {إِنّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى}[النحل:٩٠]، ويقول تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ...}[النساء:٥٨] ، فالأمر في الآية عام في إيصال الحقوق إلى أصحابها ، وهو صورة من صور العدل في التعامل بين الناس أيا كانت عقيدتهم ، ثم انتقل الأمر من العدل العام إلى العدل الخاص في الحكم، فقال تعالى:{وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} [النساء:٥٨] ، فالمسلم مطالب بأن بالعدل مع جميع الناس سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّامِينَ

لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}[المائدة:٨] أي: لا تحملكم عداوتكم وخصومتكم لقوم على ظلمهم، بل يجب العدل مع الجميع سواء أكانوا أصدقاء أم أعداء.

وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله تعالى:{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ..}[الحديد : ٢٥] ، وقال تعالى مخاطبا نبيه داود (عليه السلام): {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}[ص:٢٦]، وأوجبه الله (تعالى) على النبي (صلى الله عليه وسلم) وأمره به ، فقال تعالى: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ...} [الشورى: ١٥].

وكذلك حثّ النبي (صلى الله عليه وسلم) على العدل وعدم الظلم وخاصة مع غير المسلمين في أحاديث كثيرة، منها ما أخرجه أبو داود في سننه، عن عدة من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ) (رواه مسلم).

وقد أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بالعدل ، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِذَا حَكَمْتُمْ فَاعْدِلُوا، وَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ) (المعجم الأوسط)، وأكد على ذلك رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ (ضي الله عنه) عندما سأله رستم قائد الفرس قائلاً : مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ فَقَالَ: اللَّهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضيق الدنيا إلى سِعَتِهَا ، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ) (البداية والنهاية).

ولقد سار الخلفاء الراشدون على هذا المنهج النبوي في العدل مع غير المسلمين، فهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقتص للقبطي في مظلمته من عمرو بن العاص والي مصر وابنه ، وقال مقولته التي أضحت مثلاً: يا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟.

ثم رغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) في إقامة العدل بين الناس بأكثر من أسلوب، مبينًا ثمرات العدل في تربية النفوس وتقويمها وإصلاح أمرها ، ومن ذلك :

أولا : مضاعفة الأجروالثواب ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (لَعَمَلُ الْعَادِلِ فِي رَعِيَّتِهِ يَوْمًا وَاحِدًا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْعَابِدِ فِي أَهْلِهِ مِائَةَ عَامٍ - أَوْ خَمْسِينَ عَامًا -) (رواه الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث).

ثانيا : الاستظلال بظل الرحمن ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ

النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) (رواه البخاري).

ثالثا: النجاة من المهالك ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، فَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ: فَتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْقَوْلُ بِالْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالسُّخْطِ..) (شعب الإيمان) ، ومن القول بالحق القول بالعدل.

رابعا: استجابة الدعاء: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم): (ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ..) (رواه الترمذي).

خامسا: القرب من الله ومحبته: فعن زُهَيْرٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا) (رواه مسلم) ، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ...) (رواه الترمذي).

سادسا: البعد عن النار والفوز بالجنة: فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله

عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (..فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ ، فَلْتُدْرِكْهُ مَوْتَتُهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ) (رواه النسائي).

سابعا: الأمن من عذاب الله تعالى، والأمن من الشقاء في الدارين: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا، لَا يَفُكُّهُ إِلَّا الْعَدْلُ ، أَوْ يُوبِقُهُ الْجَوْرُ) (رواه أحمد)، وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقْسِمُ غَنِيمَةً بِالْجِعْرَانَةِ، إِذْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: اعْدِلْ، فَقَالَ لَهُ : (لَقَدْ شَقِيتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ) (رواه البخاري).

مجالات العدل في القرآن والسنة:

تنوعت مجالات العدل لتشمل جميع مجالات الحياة المادية والمعنوية والاجتماعية وغيرها ، ومن ذلك :

أولا : **عدل الإنسان مع الله تعالى**: ويكون بعبادته وحده لا شريك له، فالعبادة حق من حقوق الله (عز وجل) ، فعَنْ مُعَاذ (رضي الله عنه) قَالَ: أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: (يَا مُعَاذُ) قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ قَالَ مِثْلَهُ ثَلاَثًا : (هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟) قُلْتُ: لاَ، قَالَ: (حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، فَقَالَ: (يَا مُعَاذُ) قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: (هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ) (رواه البخاري)، والشرك بالله تعالى ظلم عظيم قال تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣].

ثانياً: **عدل الإنسان مع نفسه** : ويكون بعدم الغلو في ممارسة العبادات ،

والمعاملات ، وسائر شرائع الإسلام ، أو تجاوز الأمر والنهي إلى غيره ، أو عدم فعل أمر يعرض الإنسان به نفسه لعذاب الله ، قال تعالى : {وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}[الطلاق:١].

ثالثاً: **عدل الإنسان مع غيره** وله مظاهر متنوعة تشمل جميع مناحي الحياة منها :

١. **العدل والمساواة في الأسرة** : وهو مطلب شرعي وضرورة لاستقرارها وأمنها وسعادتها، فبدونه يفقد أفراد الأسرة لذة الحياة ونعيمها ، كما يفقدون المعنى الحقيقي للسكون والمودة والرحمة ...وله صورتان :

الصورة الأولى: إذا كان الرجل متزوجاً بأكثر من واحدة وجب العدل والمساواة بينهن، وإلا حُرِّمَ عليه التعدد ، قال تعالى:{فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا}[النساء :٣].

وحذَّر النبي (صلى الله عليه وسلم) من الجور بين الزوجات ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ لِإِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجُرُّ أَحَدَ شِقَّيْهِ سَاقِطًا أَوْ مَائِلًا) (رواه أحمد)، أما الأمور القلبية والنفسية فمن رحمة الله أنه نفى استطاعة عدل الإنسان فيها ، فرفع عنه مشقة العدل ؛ لأن الإنسان لا يملكها ، فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ ، وَيَقُولُ: (اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي، فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي، فِيمَا تَمْلِكُ، وَلَا أَمْلِكُ) (رواه أبو داود).

والصورة الثانية: العدل والمساواة بين الأبناء وعدم التفرقة بينهم في المعاملة المادية (كالنفقة والعطايا) ، والمعنوية (كالقبلة ، والبشاشة، والحب...)، فإن التفرقة بين الأبناء تجلب الشقاق وتزرع الحقد والغل والحسد والكراهية بينهم، فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنه) قَالَ: تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَالِهِ، فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِيُشْهِدَهُ عَلَى صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟) قَالَ: لَا، قَالَ: (اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ)، فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ) (رواه مسلم).

وكان بعض الصالحين إذا قبَّل أحد أبنائه الصغار يقبل الآخر مثله خشية أن يقع في نفس الآخر أذى، أو ينزغ الشيطان بينهما .

٢. **العدل مع الخصوم** ، وهذا مظهر من مظاهر عظمة الإسلام به تتضح المفاهيم الخاطئة التي يروج لها أعداءُ الإسلام لتشويهه والنيل منه، فقد أمر الله تعالى به فقال سبحانه:{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}[الْمَائِدَةِ: ٨] أَيْ: لَا يَحْمِلَنَّكُمُ كرهكم وبغضكم لقوم تَرْكِ الْعَدْلِ معهم، وحذَّر النبي (صلى الله عليه وسلم) من ظُلْم المعاهد، فعن رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، أنّه قَالَ: (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (سنن أبي داود).

٣. **العدل والمساواة بين المتخاصمين**: وهو سمة من سمات الإسلام

ودعوة صريحة للقيام به، قال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[الْحجرات:٩] ، فالله تعالى أمر أن يكون الصلح قائمًا على العدل والمساواة ؛ لأنهما أساس الاستقرار في الحياة؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل والمساواة قامت وسعد بها أهلها وتنعَّمُوا بكل ما فيها ، روي عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) اخْتَصَمَ إِلَيْهِ مُسْلِمٌ وَيَهُودِيٌّ، فَرَأَى أَنَّ الْحَقَّ لِلْيَهُودِيِّ ، فَقَضَى لَهُ عمر ، فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِيُّ: وَاللَّهِ لَقَدْ قَضَيْتَ بِالْحَقِّ، فَضَرَبَهُ عُمَرُ بِالدِّرَّةِ ، ثُمَّ قَالَ: مَا يُدْرِيكَ؟ قَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّا نَجِدُ، أَنَّهُ لَيْسَ قَاضٍ يَقْضِي بِالْحَقِّ، إِلاَّ كَانَ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكٌ، وَعَنْ شِمَالِهِ مَلَكٌ، يُسَدِّدَانِهِ، وَيُوَفِّقَانِهِ لِلْحَقِّ، مَا دَامَ مَعَ الْحَقِّ، فَإِذَا تَرَكَ الْحَقَّ عَرَجَا وَتَرَكَاهُ (موطأ مالك).

لقد ضرب الإمام علي (رضي الله عنه) أعظم الأمثلة في العدل والمساواة حين تنازع يهودي معه في قضية حتى رفع الأمر إلى عمر (رضي الله عنه)، فمثلا أمامه، فقال عمر (رضي الله عنه) لعلي (رضي الله عنه): قفْ يا أبا الحسن، فظهر الغضب على وجهه، فقال له عمر (رضي الله عنه): أكرهت أن نسوي بينك وبين خصمك في مجلس القضاء؟، قال علي: لا، ولكن كرهت منك أن عظمتني في الخطاب ولم تصنع مع خصمي مثل ما صنعت معي) (أصول العلاقات الإسلامية في المجتمع الإنساني) ، وروي أن الإمام عليًّا (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) فَقَدَ درعه فوجدها عند

نصراني فَقَالَ: هَذِهِ دِرْعِي ، بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ شُرَيْحٌ ، فَقَالَ شُرَيْحٌ: ما تَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟. قَالَ: عَلِيٌّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) هَذِهِ دِرْعِي ذَهَبَتْ مِنِّي مُنْذُ زَمَانٍ ، فَقَالَ شُرَيْحٌ : مَا تَقُولُ يَا نَصْرَانِيُّ؟ قَالَ: مَا أُكَذِّبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ!! الدِّرْعُ هِيَ دِرْعِي ، فَقَالَ شُرَيْحٌ: مَا أَرَى أَنْ تُخْرَجَ مِنْ يَدِهِ، فَهَلْ مِنْ بَيِّنَةٍ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) : صَدَقَ شُرَيْحٌ ، فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: أَمَّا أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ هَذِهِ أَحْكَامُ الْأَنْبِيَاءِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجِيءُ إِلَى قَاضِيهِ، وَقَاضِيهِ يَقْضِي عَلَيْهِ، هِيَ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دِرْعُكَ ، اتَّبَعْتُكَ مِنَ الْجَيْشِ وَقَدْ زَالَتْ عَنْ جَمَلِكَ الْأَوْرَقِ ، فَأَخَذْتُهَا ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أَمَّا إِذَا أَسْلَمْتَ فَهِيَ لَكَ) (السنن الكبرى للبيهقي).

٤. **العدل والمساواة في المعاملات المادية** ، حتى يستوفي الناس حقهم في البيع والشراء ولا ينقص منها شيئًا دون تميز لأحد ، قال تعالى: {وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ}[الرَّحْمَن: ٩]، كما أن توثيق الدَّيْن بالكتابة من العدل ، والإشهاد عليه بالعدل ، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ...} [البقرة:٢٨٢]، وفي ذلك إرساء للمعاملات المالية المؤجلة .

٥. **العدل في أداء الشهادة**: وهو دعوة الإسلام ووصيته لأتباعه حتى وإن كانت الشهادة في صالح غيرهم أو ذات أثر يعود بالضرر عليهم؛ قال تعالى:{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[الأنعام:١٥٢].

٦. **العدل والمساواة مع أهل الكتاب**: وهو دليل قبول الآخر واحترامه والتعايش السلمي معه ، فقد أمر الله تعالى به دون تفرقة بين مسلم وغيره، قال تعالى:{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[الممتحنة:٨]، فالأمر بالبر والقسط يشمل جميع الملل، وقدَّم الله تعالى البر على القسط؛ لأن القسط صورة من صور البر.

ولقد عاتب الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) في رجل من أهل الكتاب همّ رسول الله أن يفرق بينه وبين غيره في الحكم قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً..}[النساء:١٠٥]، وسبب نزولها أن رجلاً من الأنصار يقال له طُعمةُ بنُ أُبيرقَ من بني ظفَرٍ سرَق دِرعًا من جارِهِ قتادةَ بنِ النعمانِ في جرابِ دقيقٍ ، فجعل الدقيقُ ينْتثِرُ من خَرْقٍ فيه ، فخبأها عند زيد بنِ السمين اليهودي ، فالتمست الدرعَ عند طعمةَ فلم توجد وحلف ما أخذها وما لَه بها علمٌ فتركوه واتبعوا أثرَ الدقيقِ حتى انتهى إلى منزل اليهوديِّ فأخذوها فقال: دفعها إليّ طعمةُ وشهِد له ناسٌ من اليهود فقالت بنو ظفر : انطلقوا بنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وشهِدوا ببراءته وسرقةِ اليهوديِّ فهمّ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) أن يفعل فنزلت. (تفسير البيضاوي).

وفي ذلك برهان ساطع على أن الإسلام يفرق بين الوصف بالكفر ومعاملة الكافر ، فيؤكد أن الكافر له حقوق على المسلم ، منها : أن يعامل بعدل وإنصاف دون تفريق في المعاملات ، وذلك بيانًا لمحاسن الإسلام وترغيبًا فيه ، وغير ذلك من مجالات العدل وصوره في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فهي أكثر من أن تحصى .

فإذا ما تحقق العدل في المجتمع تحقق الأمن والأمان والاستقرار والنصر على الأعداء ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا) (رواه أبو داود).

التـــواضـــع

من الأخلاق السامية التي حثَّ عليها الإسلام ورغَّب فيها خلق التواضعُ ، به يعيش المجتمع في محبة وتسامح ، تسوده المودة والألفة ، ومن ثمَّ أوصانا الإسلام أن نتخلق بهذا الخلق العظيم ، وأن نتسم بهذه السمة النبيلة.

والتواضع معناه: انكسارُ القلبِ لله عند الأمر امتثالاً ، وعند النهي اجتنابًا ، وخفض جناح الذل والرحمة للخلق ، حتى لا يرى له على أحد فضلاً ، فكلما عَلَت نفس الإنسان ذكر عظمة الله تعالى فتواضع وانكسر .

والتواضع أمرٌ محمودٌ ومرغَّبٌ فيه إذا قصد به صاحبُه وجه الله تعالى، ومن كان كذلك رفع الله قدره في القلوب ، وطيَّب ذكره في الدنيا ، ورفع درجته في الآخرة.

ولقد أمر الله تعالى نبينا (صلى الله عليه وسلم) بالتواضع واللين وخفض الجناح للمؤمنين ، قَالَ تَعَالَى:{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ}[الشعراء:٢١٥]، بمعنى: ليِّن لهم جانبك ، ووطّىء لهم أكنافك ، وهو أمر بالميل إليهم.

ولقد أشار المولى (عزّ وجلّ) إلى أن التواضع من صفات المؤمنين الذين يحبون الله ويحبهم أنهم أهل لين وذلة على أهل الإيمان ، وأهل شدّة مع الكافرين والمارقين، قال تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ}[المائدة:٥٤]، أي: متذللين لهم ، عاطفين عليهم،

خافضين عليهم أجنحتهم ، كما ذكر ربنا سبحانه وتعالى أنه من صفات عباد الرحمن، فقال تعالى:{وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً}[الفرقان: ٦٣].

والناظر في سيرته (صلى الله عليه وسلم) يجد عشرات الأمثلة التي تدل على عظم تواضعه (صلى الله عليه وسلم)، ليكون مثلاً وقدوة للمؤمنين في التخلق بهذا الخلق الكريم، فها هو (صلى الله عليه وسلم) لا يستكبر أن يذكر ما مضى من حاله أيام الشباب من رعي الغنم، بعد أن أكرمه الله بالنبوة ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) عَنِ النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ)، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: (نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ) (رواه البخارى).

وقد ضرب النَّبيُّ (صلى الله عليه وسلم) المثل العملي والتطبيقي للتواضع مع أهله، فقد سُئِلَتْ السيدة عائشةُ (رضي الله عنها) مَا كَانَ النَّبيُّ (صلى الله عليه وسلم) يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ ؟ قالت: (كَانَ في مِهْنَةِ أَهْلِهِ يعني: خِدمَة أهلِه فإذا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ ، خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ) (رواه البخاري)، قال القاضي عياض معلقًا على هذا الحديث : (كان في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله، ويخدم نفسه ، ويعلف ناضحه ، ويقمّ البيت ، ويعقل البعير ، ويأكل مع الخادم ، ويحمل بضاعته من السوق ، وكونه يباشر خدمة أهله من مزيد فضله وكمال تواضعه، وذلك إذا كان في بيته وانفرد بهم ولم يكن ثم ما هو أهم منه وإلا اشتغل بالأهم (فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)

أي: مبادرًا لأدائها ، تحريضًا على فعلها أول وقتها الذي جاء في الصحيح أنه أفضل الأعمال).

ومن حسن تواضعه (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يلقي السلام على الصبيان والغلمان إذا مر بهم ، فعن أنس (رضي الله عنه) : أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صبيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وقال: (كَانَ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) يفعله) (متفقٌ عَلَيْه). أي: تواضعًا ، وعن أنس (رضي الله عنه) قَالَ: (إن كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إمَاءِ المَدينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ النَّبيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءتْ) (رواه البخاري) .

ولما هاجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأراد أن يبني المسجد اشترك بنفسه الكريمة في حمل الحجارة وأعمال البناء ، وأخذ (صلّى الله عليه وسلّم) ينقل معهم اللِّبن في بنيانه ويقول : (هَذَا الْحِمَالُ لاَ حِمَالَ خَيْبَرْ هَذَا أَبَرُّ رَبّنَا وَأَطْهَرْ)، وَيَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ) (رواه البخاري).

ولقد أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) المؤمن بالتواضع لله (عزّ وجلّ)، ولإخوانه من المسلمين ، وألا يستعمل فضل الله عليه في الفخر أو الظلم لأحد من المسلمين ، حيث قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (إنَّ الله أَوْحَى إِلَيَّ أنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أحَدٌ عَلَى أحَدٍ ، وَلاَ يَبْغِي أحَدٌ عَلَى أحَد) (رواه مسلم).

ألوان التواضع:

والتواضع يكون مع الله ، بأن يتقبل الإنسان أمور الدين ويخضع له سبحانه وتعالى خضوعا تامًّا وكاملًا ، ولا يجادل ولا يعترض على أوامر

الله برأيه أو هواه ، **ويكون مع رسوله** (صلى الله عليه وسلم) بأن يتمسك بسنته وهديه ، فيقتدي به في أدب وطاعة ، ودون مخالفة لأوامره ونواهيه، **ويكون مع الخلق** ، بألا يتكبر عليهم ، وأن يعرف حقوقهم ويؤديها إليهم مهما كانت درجتهم ومنزلتهم بالنسبة له ، وأن ينصاع للحق ويرضى به مهما كان مصدره.

ومن ثمرات التواضع: **أنه سبب الرفعة والعلو بين الناس في الدنيا، والثواب والأجر في الآخرة**، قال تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}[القصص: ٨٣] ، وعن أَبي هريرة (رضي الله عنه) أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أحَدٌ للهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللهُ) (رواه مسلم)، فالله (عزّ وجلّ) يرفعه في الدنيا ، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ، ويرفعه الله عند الناس ويجلُّ مكانه . وقال الشاعر :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ ** على صفحات الماء وهو رفيعُ

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ** إلى طبقات الجو وهو وضيعُ

ومن ثمراته تهذيب النفس، فيجعلها تقبل الحق من قائله ، سئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال: (يخضع للحق ، وينقاد له، ويقبله ممن قاله ، ولو سمعه من صبي قبله ، ولو سمعه من أجهل الناس قبله).

وهو سبيل إبقاء النعم، قال كعب (رضي الله عنه) : ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ، ورفع بها درجة في الآخرة.

ومن ثمراته أنه يضمن لصاحبه الجنة، فعَنْ ثَوْبَانَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ؛ الْكِبْرُ، وَالْغُلُولُ، وَالدَّيْنُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) (رواه الترمذي).

وقد يلتبس التواضع بالذل والمهانة ، ولكن بينهما بون شاسع، فالدافع للتواضع هو الامتثال لأمر الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، والدافع للذلة حظوظ النفس وشهواتها ، قال ابن القيم : الفرق بين التواضع والمهانة ؛ أن التواضع يتولدُ من العلم بالله وصفاته وجلاله ، ومِنْ معرفته بنفسه ونقصانها وعيوب عمله وآفاتها ، فيتولد من ذلك التواضع، وأما المهانة فهي : الدناءة والخسة ؛ بذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السفل في نيل شهواتهم ، وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه، فهذا كله ضعة لا تواضع. (الروح لابن القيم).

الحيـــــاء

من قيم الإسلام العالية ، وأخلاقه السامية خلق الحياء ، والحياء هو الحشمة ، وهو الإنزواء والإنقباض ، ضد الوقاحة. (مقاييس اللغة ، ولسان العرب). واصطلاحًا : خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. (شرح النووي على مسلم)، وقيل: هو تَغَيُّرٌ وَانْكِسَارٌ يَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ تَخَوُّفِ مَا يُعَابُ بِهِ أَوْ يُذَمُّ عَلَيْهِ.. (طرح التثريب للعراقي).

مكــانتــه:

والحياء من الأخلاق التي تتمتع في الشريعة الإسلامية بمكانة عالية ومنزلة رفيعة ، فهو أحد الأخلاق المحببة عند الحقِّ (تبارك وتعالى)، فحينما قدِم المنذر بن عائذ بن المنذر (أشج عبد القيس) من البحرين على النبيّ (صلى الله عليه وسلم) في العام التاسع الهجري عام الوفود قال النبيّ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ) فقال: ما هما؟ فقال النبيّ (صلى الله عليه وسلم) : (الْحِلْمُ، وَالْحَيَاءُ)، قال: أَقَدِيمًا كَانَ فِيَّ أَمْ حَدِيثًا؟ قَالَ: (صلى الله عليه وسلم) : (بَلْ قَدِيمًا). فقال الأشجّ العصرى: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما، (رواه أحمد)، وعن الحسن البصري (رضي الله عنه) : (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ كَامِلًا، وَمَنْ تَعَلَّقَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ كَانَ مِنْ صَالِحِي قَوْمِهِ دِينٌ يُرْشِدُهُ، وَعَقْلٌ يُسَدِّدُهُ، وَحَسَبٌ يَصُونُهُ، وَحَيَاءٌ يَقُودُهُ) (الآداب الشرعية).

والحياء جوهر الدين الإسلامي ، فقد ذُكِرَ الحياءُ عند عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) فقالوا: الحياء من الدين. فقال: (بَلْ هُوَ

الدِّينُ كُلُّهُ) (حلية الأولياء ، وشعب الإيمان).

والحياء من أعظم أخلاق النبوة ، فآدم (عليه السلام) حينما أكل من الشجرة التى نُهي عن الأكل منها ومعه زوجه حواء سقط عنهما لباسهما فبدت لهما سوآتهما ، فأسرعا يأخذان من ورق الجنة ليسترا تلك السوءة حياء من الله (عز وجل)، قال سبحانه:{فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ}[الأعراف:٢٢]، وعن أُبيّ بن كعب ، وعطاء (رضي الله عنهما) قالا : (لَمَّا ذَاقَ آدَمُ وحواء مِنَ الشَّجَرَةِ، وبدت لهما سوءتهما، فَرَّ هَارِبًا فَتَعَلَّقَتْ شَجَرَةٌ بِشَعْرِهِ فَنُودِيَ: يَا آدَمُ، أَفِرَارًا مِنِّي؟. قَالَ: بَلْ حَيَاءً مِنْكَ يا رب) (تفسير السمعاني بتصرف).

وهذا نبيُّ الله موسى (عليه السلام) كان حييًّا ستيرًا يبالغ في ستر نفسه حتى ادعى بنو إسرائيل أن بجسده عيبًا ، وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا}[الأحزاب:٦٩]، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ : وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا ، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ

بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ ، وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلاَثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا}(رواه البخاري).

ونبينا (صلى الله عليه وسلم) كان أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفه الصحابة (رضي الله عنهم) في وجهه. (متفق عليه)، وليلةُ الإسراء والمعراج استحى نبينا (صلى الله عليه وسلم) أن يظل في مراجعته لربّ العزة تبارك وتعالى في تخفيف فريضة الصلاة وقال: (قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي) (متفق عليه).

ودعا النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) أصحابه (رضي الله عنهم) لوليمة عرسه على السيدة زينب بنت جحش (رضي الله عنها)، فاجتمعوا في حجرتها ، فطَعِموا ، ثمّ جلسوا يتحدثون ، وأطالوا القيام حتى آذوا النبيَّ (صلى الله عليه وسلم)، واستحيى أن يطلب منهم الانصراف ، وفي ذلك يقول سبحانه:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ...}[الأحزاب:٥٣].

كما أن الحياء من أعظم أخلاق الإسلام ، وأجلها قدرًا، وأكثرها نفعًا، ولا يأتي دائما إلا بكل خير ، فعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول

الله (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ) (رواه ابن ماجه)، وخُصّ الحياء بذلك؟ لأنه لا يأتي إلا بكل خير ، كما أخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: (الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ) (متفق عليه)، بل جعله (صلى الله عليه وسلم)خيرًا كله، فعن عمران بن حصين (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ) (رواه مسلم)، ولا عجب في ذلك ؛ فالحياء يمنع صاحبه من ارتكاب الرذائل والفواحش، ويدفعه إلى صيانة عرضه، ودفعِ المساوئ، ونشرِ المحاسن، والتحلي بمكارم الأخلاق، فعن أبي مسعود البدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)(رواه البخاري)، فمردّ الأخلاق كلها إلى الحياء ، قال الشاعر:

ورُبّ قبيحـــةٍ مـا حـال بينــي ** وبين ركـوبهـا إلا الحيـــــاء

فكان هــــو الــدواء لها ولكـــن ** إذا ذهـب الحيـــاء فلا دواء

كما أن إيمان المؤمن مرتبط بالحياء ، فإذا وُجد الحياء وُجد الإيمان ، وإذا قلّ الحياء قلّ الإيمان ، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: (إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قُرِنَا جَمِيعًا ، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ) (رواه البخاري في الأدب المفرد).

صور الحياء: **للحياء عدة صور ، منها :**

١) **الحياء من الله** : وهو أعظمها - ومعناه : إجلال الله (عزّ وجلّ)، ومراقبته، والخوف منه ؛ بأن يحفظ الإنسان أعضاءه ، وجوارحه عن

المعاصي، فلا يراه الله حيث نهاه ، ولا يفتقده حيث أمره ، كما يدخل في معناه الزهد في الحياة الدنيا ، والإقبال على الآخرة، قال تعالى:{أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}[العلق:١٤]، وقال تعالى مخاطبًا النبيّ (صلى الله عليه وسلم) :{الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ}[الشعراء:٢١٨-٢١٩] ، وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ)، قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله ، قال: (لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ) (رواه الترمذي).

وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم (رحمه الله) فقال له: يا أبا إسحاق! إني مسرف على نفسي فاعرض عليَّ ما يكون لها زاجرًا ومستنقذًا لقلبي، قال: (إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية ولم توبقك لذة) ، قال: هات يا أبا إسحاق!، قال: (أما الأولى: فإذا أردت أن تعصي الله (عزّ وجلّ) فلا تأكل رزقه)، قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه؟ قال له: (يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه؟)، قال: لا، هات الثانية!،قال: (وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئا من بلاده)، قال الرجل: هذه أعظم من الأولى! يا هذا! إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن؟ قال: (يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن

بلاده وتعصيه؟)، قال: لا، هات الثالثة. قال: (إذا أردت أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده فانظر موضعًا لا يراك فيه مبارزًا له فاعصه فيه). قال: يا إبراهيم! كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر؟. قال: (يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به؟!). قال: لا، هات الرابعة. قال: (إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحًا واعمل لله عملا صالحا). قال: لا يقبل منّي. قال: (يا هذا! فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص؟!). قال: هات الخامسة. قال: (إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذونك إلى النار فلا تذهب معهم). قال: لا يدعونني ولا يقبلون مني. قال: (فكيف ترجو النجاة إذًا؟!). قال له: يا إبراهيم، حسبي أن أستغفر الله وأتوب إليه، ولزمه في العبادة حتى فرق الموت بينهما. (التوابين لابن قدامة) ، قال الشاعر:

يا مُـدمِــن الـذَّنْبِ أما تَســــــتَحِـي ** والله في الخَـلْــوَةِ ثَانِيـــكَا
غَـرَّكَ مِنْ رَبِّـــــكَ إمْهَـــــالُهُ ** وســـــتْرُهُ طـــولَ مَســاوِيكَا

٢) **الحياء من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)**: وذلك بالتزام هديه، واتباع سنته، وتوقيره وطاعته، قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[الحشر:٧]، وعن العرباض بن سارية (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ

يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) (رواه أبو داود وابن ماجه).

٣) **الحياء من الملائكة**: بأن توقن أنهم معك ومطلعون عليك، ويراقبونك ويحصون أعمالك، ولا يفارقونك إلا عند دخول الخلاء ، أو إتيان الأهل؛ فلا تتلبس بشيء تعاب به، أو تذم عندهم ، فإنهم يتأذون مما يتأذى به بنو آدم، قال تعالى:{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ* يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}[الانفطار:١٠-١٢]، (أي: استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام وأكرموهم ، وأجلوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه من هو مثلكم ، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، وإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه ، وإن كان يعمل مثل عمله، فما الظن بأذى الملائكة الكرام الكاتبين؟) (الداء والدواء).

٤) **الحياء من الناس**: فتكفّ عن إيذائهم بالقول واليد ، في حضورهم كالهمز واللمز ، و في غيابهم ، وعدم التقصير في حقٍّ من حقوق العباد الواجبة عليك لهم، فعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ) (رواه مسلم) ، يقصد عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي، وَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ

عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللهِ مَا دَخَلْتُهُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي، حَيَاءً مِنْ عُمَرَ) (مسند أحمد)، وكان الرَّبيع بن خُثَيم مِن شدَّة غضه لبصره وإطراقه يَظُنُّ بعضُ النَّاس أنَّه أعمى، وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود (رضي الله عنه) عشرين سنة ، فإذا رأته جاريته قالت لابن مسعود : صديقك الأعمى قد جاء ، فكان يضحك ابن مسعود (رضي الله عنه) مِن قولها، وكان إذا دقَّ الباب تخرج الجارية إليه فتراه مطرقًا غاضًّا بصره. (إحياء علوم الدين) .

٥) **الحياء من النفس**: فيمتنع الإنسان من إيرادها موارد الهلكة ، ويسلك بها سبل الهدى، فيلزمها العفة، ولا يرضى لها النقص، ولا يقنع بالدون من العمل والعبادة، فعن أسامة بن شريك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَا كَرِهْتَ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مِنْكَ فَلاَ تَفْعَلْهُ بِنَفْسِكَ إِذَا خَلَوْتَ) (الجامع الصغير للسيوطي)، وعن ذي النون المصري (رحمه الله)، أنه قال: (مَنْ عَمِلَ فِي السِّرِّ عَمَلًا يَسْتَحِي مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ فَلَيْسَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ خَطَرٌ قَدْرٌ) (الفتوة لأبي عبد الرحمن السُلميّ).

فوائد التحلي بالحياء:

❖ فيه ترك للذنوب خجلا من الله (عزّ وجلّ)، وإقبال على الطاعة والعبادة .

❖ الحياء والإيمان قرينان ، والحياء يزين الإيمان ويكمله.

❖ التحلي به أساس للتحلي بمكارم الأخلاق ، ولا يأتي إلا بخير.

❖ صاحبه محبوب عند الله تعالى، مألوف عند الناس.

التـــوكل علـــى اللّه

من قيم الإسلام العالية ، وأخلاقه السامية خلق التوكل على الله (عز وجل) ، وقد اختلف العلماء في بيان معنى التوكل على الله ، فقال ابن عباس (رضي الله عنهما) : التوكل هو الثقة بالله ، وصدق التوكل أن تَثِق في الله وفيما عند الله ، فإنه أعظم وأبقى مما لديك في دنياك ، وقال الحسن: إن من توكُّل العبد أن يكون الله هو ثقته ، وقال الإمام أحمد : هو قطع الاستشراف بالإياس من الخلق، وقال شقيق بن إبراهيم البلخي: التوكل طمأنينة القلب بموعود الله (عزّ وجلّ).

فالتوكل وإن اختلف معناه عند العلماء إلا أن حقيقته واحدة وهي: صدق اعتماد القلب على اللّه تعالى في استجلاب المصالح في كل أمور الدنيا والآخرة ، وهو عبادةٌ لا يحسنها إلا عباد الله المخلصين الصادقين ، لذلك أمر الله (عزّ وجلّ) به المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين ، فقال تعالى:{وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}[التوبة:٥١]، وقد تكرر هذا الأمر بنصه في سبعة مواضع من القرآن الكريم.

أهمية التوكل:

التوكل على الله مقام من أعلى مقامات اليقين بالله (عزّ وجلّ)، وهو من أشرف أحوال المقربين ، وخلقٌ عظيم من أخلاق المسلمين ، وهو مفتاح كل خير ، فهو من أعمال القلوب ، الذي يكون به الإنسان متوكلاً على الله ، بأن يكون صادق الاعتماد على ربه (عزّ وجلّ) ، وهذا ما بينه وأكدّ عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) في نصائحه لعبد الله بن

عباس (رضي الله عنهما) ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : كنت خَلْفَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوماً فقال: (يَا غُلامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ) (رواه الترمذي).

التوكل والأخذ بالأسباب:

من الحقائق المؤكدة أن التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب التي ترتبط بمسبباتها ، بل إن مباشرة الأسباب من تمام التوكل؛ لأن الله تعالى قد جعل لكل شيء سببًا ، فهذه السيدة هاجر تتوكل على الله وتأخذ بالأسباب حينما أجهدها العطش مع ابنها سيدنا إسماعيل (عليه السلام) بمكة ، فسارعت تسعى بين الصفا والمروة بحثًا عن الماء عملاً بالأخذ بالأسباب ، وهذا نبي الله موسى (عليه السلام) أمره ربه (سبحانه) أن يباشر الأسباب بعد التوكل على الله وحده فضرب البحر بعصاه حين أتبعه فرعون وجنوده ، وما العصى إلا سبب من أسباب النصر والتأييد الإلهي، قال تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلاَّ إِنَّ

مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[الشعراء:٥٢ـ ٦٨].

وها هي الصديقة مريم بنت عمران (عليها السلام) أمرها ربها تبارك وتعالى وهي في أشد حالات الضعف والوهن وكانت في حالة المخاض، أن تهز النخلة لتسقط عليها رطبًا جنيًّا، قال تعالى: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا}[مريم: ٢٥].ومن المعلوم أنه لو هز النخلة عشرة رجال من جذعها لما تساقطت ثمرة واحدة ولكنها سنة الأخذ الأسباب.

ألم تر أن الله أوحى لمريم *** وهزى إليك الجذع تسَّاقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها *** جنته ولكن كل شيء له سبب

وهذا أشرف الخلق سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو سيد المتوكلين ـ يلبس الدرع في الحروب ، بل ورد أنه في غزوة أُحد أنه (صلى الله عليه وسلم) لبس درعين، وكان (صلى الله عليه وسلم) يتوقى البرد، ويأكل ويشرب لإبقاء حياته، عَنْ سَيْفٍ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَضَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ الْمَقْضِيُّ عَلَيْهِ لَمَّا أَدْبَرَ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ)، فَقَالَ: (مَا قُلْتَ؟)

قَالَ: قُلْتُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (رواه أحمد).

أما الذي لا يعمل ولا يأخذ بالأسباب ، ولا يتقي الأخطار بدعوة أنه متوكل، فهذا لم يفهم المعنى الحقيقي والصحيح للتوكل، وإنما يسمى متواكلاً، وقد نهانا الإسلام عن التواكل ، فعن ابن عباس (رضي اللّه عنهما) قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل اللّه تعالى:{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى}[البقرة:١٩٧] (رواه البخاري)، ويؤكد هذا أيضا حديث معاذ (رضي الله عنه) قال: كنت ردف النبي (صلى الله عليه وسلم) على حمار يقال له عفير ، فقال: (يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟)، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: (لاَتُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا) (رواه البخاري).

فالإسلام دين لا يعرف التواكل، بل يحاربه وينبذه، ولا يعرف التواني والكسل والخمول، وإنما هو دين التوكل على الله والأخذ بالأسباب ، قال تعالى:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل: ٩٧]، وفي الحديث عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) قَالَ:

رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا) (تغدو): تذهب أول النهار، (وتروح) : ترجع آخر النهار.(رواه الترمذي)، فلا بد من بذل الأسباب وعدم الاتكال.

ولا ينقص التوكل مباشرة الأسباب؛ كإغلاق باب البيت عند الخروج، ولا بأن يعقل البعير، لأن هذه أسباب، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أنه قال: قال رجل: يا رسول اللّه أعقلها وأتوكّل أو أطلقها وأتوكّل؟ (أي: ناقته) فقال (صلى الله عليه وسلم) : (اعْقِلْهَا وَتَوَكَلْ) (رواه الترمذي)، وقال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ}[النساء:٧١] ، وقال في كيفية صلاة الخوف: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ} [النساء: ١٠٢]، وقال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[الأنفال:٦٠]، وقال تعالى أيضًا لسيدنا موسى (عليه السلام) : {فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ}[الدخان: ٢٣].

وقد ضرب الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى في التوكل على الله (عزّ وجلّ) ، وكان يعلن ذلك في سجوده ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ

خَاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ) (رواه مسلم).

مجالات التوكل على الله عز وجل:

١. **عند الخروج من المنزل** : فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ : كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟) (رواه أبو داود).

٢. **عند نزول المصائب**: قال تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا هُوَ مَوْلانا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}[التوبة: ٥١].

٣. **عند العزم على فعل شيء**: فالمسلم الحق عليه أن يلجأ إلى الله تعالى في كل أحواله، فلا أشقى من عبد مشغول عن الله، منصرف عنه، لا يتوكل عليه، قال تعالى:{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً}[النساء: ٨١] وقال تعالى:{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[آل عمران:١٥٩].

٤. **عند إعراض الناس عنك**: قال تعالى:{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً}[النساء: ٨١]، وقال تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وهو رب العرش العظيم}[التوبة:١٢٩].

٥. **عند جنوح الأعداء للسلم**: قال تعالى:{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}[الأنفال:٦١].

٦. **عند مواجهة الأعداء**: قال تعالى: {قالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَما كانَ لَنا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ*وَما لَنا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلَنا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلى ما آذَيْتُمُونا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}[إبراهيم :١١،١٢]، وقال تعالى في شأن هود (عليه السلام): {قالُوا يا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ وَما نَحْنُ بِتارِكِي آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِكَ وَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ*إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَراكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ قالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ}[هود: ٥٣-٥٦].

٧. **عند نزول الفاقة** : فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ) (رواه الترمذي).

٨. **عند الخوف من وقوع مكروه**: قال الله تعالى في شأن يعقوب (عليه السلام):{قالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قالَ اللَّهُ عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ * وَقالَ يا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}[يوسف: ٦٦،٦٧].

٩. **عند إرادة النوم**: فعن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : (إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ، قَالَ: فَرَدَدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) ، فَلَمَّا بَلَغْتُ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ: وَرَسُولِكَ قَالَ: لاَ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) (متفق عليه).

فوائد وثمرات التوكل:

١. **دليل على صدق الإيمان وقوته**: قال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[الأنفال: ٢].

٢. **الفوز بمحبة الله تعالى**: قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[آل عمران: ١٥٩].

٣. **الفوز بنعيم الله ودخول الجنة**: قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[العنكبوت: ٥٩،٥٨]. وعن ابن عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما)، عَن النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ

أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ)، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ) فَقَالَ: مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، ولا يكتوون، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (متفق عليه).

٤. **الحفظ من الشيطان ونزغاته**: قال تعالى:{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[النحل:٩٩].

٥. **الكفاية والحماية والرعاية**: قال تعالى:{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً}[النساء:٨١]، وقال تعالى:{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[الأنفال:٤٩]، وقال سبحانه:{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}[الطلاق:٣]، وعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ مِنْ قَلْبِ ابْنِ آدَمَ بِكُلِّ وَادٍ شُعْبَةً فَمَنِ اتَّبَعَ قَلْبُهُ الشُّعَبَ كُلَّهَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ بِأَيِّ وَادٍ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ كَفَاهُ التَّشَعُّبَ) (رواه ابن ماجه).

٦. **يجلب الرزق**: فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا) (رواه الترمذي) ومعنى تغدو ، أي : تذهب أول النهار ، وتروح أي : ترجع آخر النهار.

٧. **يورث الشجاعة**: فمن عرف الله سبحانه وآمن به وتوكل عليه لا يخشى شيئا ، ولهذا كان سيد المتوكلين سيد الشجعان ، فعَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَقَدْ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ (رضي الله عنه) عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ ، وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ ، وَهُوَ يَقُولُ: (لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا)، ثُمَّ قَالَ: (وَجَدْنَاهُ بَحْرًا) (متفق عليه) .

إن التوكل على الله (عز وجل) عند المسلم يمثل عنده الأملُ الذي يدفعه إلى العملُ ، فيوفر التوكل للمسلم هدوء في القلب ، وطُمَأنينة في النفس.

الحلـــم

من الأخلاق الإسلامية العالية التي تثمر الألفة والمودة والمحبة والترابط بين أفراد المجتمع خلق الحلم ، ومادة (ح ل م) تدل على عدة أمور: منها : ترك العجلة والأناة والعقل، بخلاف السفه والطيش. (لسان العرب).

والحلم في الاصطلاح:هو ضبط النَّفس والطَّبع عن هيجان الغضب، وقيل: هو الطُّمَأْنِينَة عند سَوْرَة الغضب ، فالحِلْم يشتمل على الصَّبر والأَنَاة، وقيل: هو ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك، وقيل: هو احتمال الأعلى الأذى من الأدنى ، أو رفع المؤاخذة عن مستحقها بالجناية في حقٍ مستعظم.

ومن هذه التعريفات يتضح أن الحلم هو تحمل الأذى والإساءة من الآخرين بدون غضب مع القدرة على ردهما بمثلهما ، فإذا كان هذا التحمل مع الغضب فهو كظم للغيظ، ولا يتصور حلم بدون قدرة على ردّ الأذى والإساءة.

مكانتـــــه:

١. **الحلم اسم من أسماء الله** (**تعالى**) **الحسنى**، فهو (سبحانه) الحليم الذي يعفو عن كثير من سيئات عباده ولا يؤاخذهم عليها، ويمهلهم بتأخير العقوبة للتوبة، والإنابة إليه، قال تعالى:{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا}[فاطر:٤٥]، وقال عز وجل:{وَمِنْ آيَاتِهِ

الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ*إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ*أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ}[الشورى:٣٢ـ٣٤].

٢. **والحلم من أخلاق الأنبياء والمرسلين** ، فقد وصف الله (عزّ وجلّ) به إبراهيم (عليه السلام) فقال:{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [التوبة:١١٤]، كما وصف به إسماعيل (عليه السلام) فقال سبحانه:{فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}[الصافات:١٠١]، قال ابن تيمية : (وقد انطوت البشارة على ثلاثٍ: على أنَّ الولد غلامٌ ذكرٌ، وأنَّه يبلغ الحُلُمَ، وأنَّه يكون حليمًا، وأيُّ حلمٍ أعظم مِن حلمه حين عرض عليه أبوه الذَّبح فيقول: {سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}[الصافات:١٠٢]، وقيل: لم ينعت الله الأنبياء بأقلَّ مِن الحِلْم، وذلك لعزَّة وجوده) (مجموع الفتاوى).

٣. **والحلم من الأخلاق التي تجلب للعبد محبة الله** ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال للمنذر بن عائذ بن المنذر (أشج عبد القيس) ـ حينما قدم عليه من البحرين مع وفد عبد القيس: (إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ) (رواه مسلم).

صور مشرقة للحلم:

١. **يوسف (عليه السلام) وعظيم حلمه**: ألقاه إخوته في غيبات الجب، وباعدوا بينه وبين وجه أبيه، قال تعالى:{قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} [يوسف:١٠] ، وتسببوا في بيعه رقيقًا ، قال تعالى:{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا

وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ*وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} [يوسف:١٩،٢٠]، واتهموه بالسرقة، قال تعالى:{ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ}[يوسف:٧٧]، وبعد كل ذلك، وحينما وقفوا بين يديه وهو وزير على خزائن مصر ذكّرهم بما فعلوه به وبأخيه فقال:{هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ}[يوسف:٨٩]، فاعترفوا بخطئهم، وإساءتهم في حقه فقالوا:{تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ}[يوسف:٩١]، وهنا يأتي حلمه (عليه السلام)، فيقول كما يحكي القرآن الكريم :{لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[يوسف:٩٢] أي: لا تأنيب عليكم، ولا مؤاخذة ، ولا عتب لكم عندي ، ومن عظيم حلمه أنه دعا الله (عزّ وجلّ) لهم بالمغفرة ، فقال: {يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}.

٢. **النبي (صلى الله عليه وسلم) وحلمه مع عائشة (رضي الله عنها):**

فقد اجتمع معه (صلى الله عليه وسلم) جمعٌ من الصحابة (رضوان الله عليهم) في بيت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) ـ لتناول الطعام، فقامت أم المؤمنين السيدة أم سلمة (رضي الله عنها) بإرسال خادمها بقصعة من الطعام للنبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه، فدبّت الغيرة في قلب أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) فقامت بضرب يد خادم أم سلمة (رضي الله عنها) فسقط الإناء على الأرض وانكسر ـ كل ذلك أمام الصحابة ـ فلم يغضب النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولم ينهر عائشة، بل

عالج الموقف بحلم وحكمة ، فنظر للصحابة (رضي الله عنهم) وقال: (غَارَتْ أُمُّكُمْ)، وجمع الطعام في الإناء المكسور ، ومنع الخادم من العودة لأم سلمة بدون إناء حتى لا يعكر صفو العلاقة بينهما ، وأرسل قصعة عائشة لأم سلمة (رضي الله عنهما) مع الخادم جزاء وفاقا. (رواه البخاري) .

٣. **حلمه (صلى الله عليه وسلم) مع الحبر اليهودي**: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَرَادَ هَدْيَ زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: مَا مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا شَيْئَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ، يَسْبِقُ حُلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا ، فَكُنْتُ أَلْطُفُ بِهِ لِئَنْ أُخَالِطَهُ فَأَعْرِفُ حِلْمَهُ مِنْ جَهْلِهِ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمًا مِنَ الْحُجُرَاتِ، وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كَالْبَدَوِيِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ بُصْرَى قَرْيَةُ بَنِي فُلَانٍ قَدْ أَسْلَمُوا وَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَكُنْتُ حَدَّثْتُهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا آتَاهُمُ الرِّزْقُ رَغَدًا وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ وَشِدَّةٌ وَقُحُوطٌ مِنَ الْغَيْثِ، فَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ تُعِينُهُمْ بِهِ فَعَلْتَ فَنَظَرَ إِلَيَّ رَجُلٌ وَإِلَى جَانِبِهِ أُرَاهُ عَلِيًّا (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي تَمْرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِطِ بَنِي فُلَانٍ إِلَى أَجَلِ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: (لَا

يَا يَهُودِيُّ، وَلَكِنْ أَبِيعُكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجَلِ كَذَا وَكَذَا، وَلَا أُسَمِّيَ حَائِطَ بَنِي فُلَانٍ) فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَبَايَعَنِي فَأَطْلَقْتُ هِمْيَانِي (الكيس الذي تجعل فيه النفقة) فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالًا مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمْرٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلِ كَذَا وَكَذَا فَأَعْطَاهَا الرَّجُلُ، فَقَالَ: اعْدِلْ عَلَيْهِمْ وَأَعِنْهُمْ بِهَا، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحَلِّ الْأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَقْضِيَنِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي فَوَاللَّهِ مَا عُلِمْتُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَيِّئَ الْقَضَاءِ مَطْلٌ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ ، فَقَالَ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَا أَسْمَعُ وَتَصْنَعَ بِهِ مَا أَرَى فَوَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلَا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ وَرَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ وَتَبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ: (يَا عُمَرُ أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاعْطِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ) فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَا عُمَرُ، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا نَقِمتُكَ، قُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لَا، مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ، قَالَ: الْحَبْرُ، قُلْتُ: الْحَبْرُ، قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ فَعَلْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَا فَعَلْتَ، وَقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ؟ قُلْتُ لَهُ: يَا عُمَرُ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ: هَلْ

يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا فَقَدِ اخْتَبَرْتُهُمَا فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نَبِيًّا وَأُشْهِدُكَ أَن شَطْرَ مَالِي - فَإِنِّي أَكْثَرُهُمْ مَالًا - صَدَقَةً عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ عُمَرُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) : أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَإِنَّكَ لَا تَسَعَهُمْ قُلْتُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ ، فَرَجَعَ زَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ زَيْدٌ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَبَايَعَهُ وَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ كَثِيرَةً، ثُمَّ تُوُفِّيَ زَيْدٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ وَرَحِمَ اللَّهُ زَيْدًا) (رواه الحاكم).

٤. **من حلم الصحابة (رضي الله عنهم)** ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ الْمُزَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : وَسَبَّ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ الْمَسْبُوبُ يَقُولُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَمَا إِنَّ مَلَكًا بَيْنَكُمَا يَذُبُّ عَنْكَ كُلَّمَا يَشْتُمُكَ هَذَا، قَالَ لَهُ: بَلْ أَنْتَ وَأَنْتَ أَحَقُّ بِهِ، وَإِذَا قَالَ لَهُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ: لَا بَلْ لَكَ أَنْتَ، أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ) (رواه أحمد).

من الأسباب المعينة على الحلم:

١. **تذكر عظيم حلم الله على عباده** ، قال تعالى:{وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}[البقرة: ٢٣٥]، وقال أحد السلف: (إِذَا غَضِبْتَ فَانْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَكَ وَإِلَى الْأَرْضِ أَسْفَلَ مِنْكَ ، ثُمَّ أَعْظِمْ خَالِقَهُمَا) (الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا).

٢. **تذكر ما أعده الله (عز وجل) للحلماء والعافين عن الناس من الثواب العظيم**، قال تعالى:{وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[آل عمران:١٣٣،١٣٤] .

٣. **التحلم**، فقد قيل: إنما الحلم بالتحلم، أي: بالصبر، وتدريب النفس على التحمل، وترك إرادة الانتقام.

٤. **الترفع عن مقابلة السيئة بالسيئة**، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: غزونا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غزوة قِبَلَ نجد، فَأَدْرَكْنَا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في وادٍ كثير العضاه (كل شجر عظيم له شوك)، فنزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها. قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر قال: فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: (قُلْتُ: الله، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: الله، قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ). ثم لم يعرض له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (متفق عليه).

٥. **الرحمة بالجهال**، وهذه الرحمة من رقة القلب ، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله (صلى الله

عليه وسلم)؛ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم): مه مه، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ). فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دعاه فقال له: (إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ). فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه. (رواه مسلم).

من فوائد الحلم:

١. **الحلم فيه سؤدد** ، **وتقدم على الناس**، قال معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) لعَرَابَة بن أوس: (بم سدت قومك يا عَرَابَة؟. قال: كنت أحْلُم عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم، فمَن فعل فعلي فهو مثلي، ومَن جاوزني فهو أفضل، ومَن قصَّر عنِّي فأنا خير منه) (الحلم لابن أبي الدنيا، والإحياء بتصرف).

٢. **الحلم سبب للمودة والمحبة** والألفة والترابط بين الأفراد والجماعات ويذهب الحقد والحسد والبغضاء والشحناء بينهم، قال تعالى:{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}[فصلت:٣٥-٣٤].

٣. **الحلم فيه** اقتداء، واهتداء بأخلاق الأنبياء والمرسلين.

٤. **التحلي بالحلم**، **خير دليل على سماحة الإسلام**، و الحليم خير داعية إليه ، وبفضل التحلي به يدخل الناس في دين الله ، كما في قصة

الأعرابي الذي أراد قتل النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقصة إسلام زيد بن سعنة.

٥. **الحلم دليل على كمال العقل، وسعة الصدر، وامتلاك النفس**، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) (متفق عليه)(بالصرعة) الذي يغلب الرجال ويصرعهم (يملك نفسه) يكظم غيظه ويتحلم، ولا يعمل بمقتضى غضبه.

٦. **التحلي بالحلم يكسب المرء أخلاقا عظيمة**، كضبط النفس، والتحكم فيها ، والعفو ، والرفق...إلخ، فعن علي بن الحسين (رضي الله عنهما): (أَنَّهُ سَبَّهُ رَجُلٌ فَرَمَى إِلَيْهِ بِخَمِيصَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ جَمَعَ لَهُ خَمْسَ خِصَالٍ مَحْمُودَةٍ الْحِلْمُ وَإِسْقَاطُ الأذى وتخليص الرجل مما يبعد مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَمْلُهُ عَلَى النَّدَمِ والتوبة ورجوعه إلى مدح بَعْدَ الذَّمِّ اشْتَرَى جَمِيعَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ مِنَ الدنيا يسير) (إحياء علوم الدين).

٧. **الحلم يرفع المرء إلى أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة**: في الدنيا بالسعادة ، ووقوف الناس إلى جواره، وتقديمهم له ، وفي الأخرة بالثواب العظيم ، والنعيم المقيم، فعن الجنيد أنه قال: (أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم، والتواضع، والسخاء، وحسن الخلق وهو كمال الإيمان) (إحياء علوم الدين).

الشكـــر

لقد أنعم الله (عز وجل) على الإنسان بنعم كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، قال سبحانه:{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل: ١٨] ، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}[لقمان:٢٠] ، هذه النعم قد يرى الإنسان بعضها رأي العين، ويخفى عليه الكثير منها، وكلُّ نعمة من هذه النعم تقتضي أن يفكر فيها الإنسانُ، حتى يدرك أسرارها وقيمتها وأهميتها، ويتدبر عظيم نعم الله عز وجل عليه ، فيستخدم آلاءَ الله فيما يحبُّ الله ويرضَى، ويجعلها عونًا على إقامةِ الدين في نفسِه، ويؤدِّى بها الواجِبات المفروضَة عليه، وليحذر أن يستخدمها فيما يُبغِضُ الله .

وفضيلة الشكر من أسمى الفضائل وأعظمها قدرًا لأنها تقرب العبد من مولاه، وتجعله موضع حبه ورضاه، حيث أخبر الحق سبحانه في كتابه أن رضاه في شكره وأن سخطه في كفران نعمته، فقال: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الزمر: ٧].

والشكر: دليلٌ على صفاء النفس، وطهارة القلب، وسلامة الصدر، وكمال العقل، وهو – في حد ذاته– نعمة من الله تستحق الشكر عليها؛ فنشكر الله ـ تعالى ـ أن ألهمنا شكره، ومن هنا يتوالى الشكر ولا ينقطع.

ولقد عُني القرآن الكريم بالحديث عن الشكر عناية واضحة فذكره في مواطن كثيرة من آياته، وطلب من عباده أن يتحلوا به ويحرصوا عليه، لما له من أهمية كبرى ومنزلة عظمى، فهو قيد للنعم الحاضرة، ومجلبة للنعم المفقودة، قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}[البقرة: ١٥٢]، قرنه بالذكر وأمر بهما معًا. وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[البقرة: ١٧٢]، {فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[النحل: ١١٤]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}[لقمان:١٢].وقال تعالى: {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ}[الزمر:٦٦]، ولا يأمر الله عباده إلا بما يحقق لهم الخير والسعادة في الدارين، فالسعيد من امتثل أمر ربه فأطاعه فكان من الشاكرين.

وحقيقة الشكر: مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية، فيثني على المنعم بلسانه ويبذل الجهد في طاعته، ويجتنب معاصيه في السر والعلن، فالمؤمن الحق هو الذي يقر بأن ما به من نعم وفضل مرده إلى الله وحده، قال تعالى: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}[النحل: ٥٣]، فهو في كل طرفة عين، ونبضة قلب، يشكر الله تعالى على نعمه المتجددة بتجدد الليل والنهار، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}[الفرقان: ٦٢]. فحقيقة الشكر: أن تكون حركات العبد وسكناته وخواطره ومشاعره وما يتمتع به من نعم موجهة للخير وفي

سبيل الله ومن أجل مرضاة الله.

ومن تمام شكر الله تعالى: أن يستعمل الإنسان نعم الله عز وجل فيما خلقت له، وأن يضعها في المواضع التي ترضيه، فالعين نعمة: وشكرها أن يستعملها في النظر إلى ما أحله الله، لا إلى ما حرمه الله، واليد نعمة: وشكرها أن يعمل بها في الطاعة لا في المعصية، في الخير لا في الشر، والأذن نعمة: وشكرها أن يستمع بها إلى ما يعود عليه بالثواب من الله (عزّ وجلّ)، والعقل نعمة: وشكرها أن يفكر بها التفكير السليم الذي يعود عليه وعلى المجتمع كله بالخير والرخاء، وكذلك المال نعمة: وشكرها أن يُوجَّه للخير، وأن يساعد به المحتاجين، ويمسح به دموع المنكوبين، وينفقه في مصالح العباد والبلاد، وغير ذلك من نعمة الصحة والشباب والجاه والسلطان، فكلها نعم سامية يجب أن يشكر الإنسان عليها ربه عز وجل بتسخيرها للخير ونفع العباد، وبالوقوف عند حدود الله تعالى. وكذلك كل نعمة أنعم الله بها على الإنسان يجب أن يستعملها في طاعة الله سبحانه، يقول عز وجل: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[النحل: ٧٨].

فضل الشكر: ويكفي في بيان فضل الشكر وعظيم منزلته أن الله تعالى وصف به نفسه فقال: { إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ}[الشورى: ٢٣]، وقال: {وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ}[التغابن:١٧]، وقال تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا}[النساء:١٤٧]. وليس معنى أن الله

شاكر أن هناك من أسدى لله معروفًا هو سبحانه محتاج إليه ، فالله لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين، لكن الشكر من الله معناه: المغفرة والإنعام على عباده، وإثابتهم على ما قاموا به من العبادة والطاعة، وما قدموه للعباد من معروف، بل إن ربنا سبحانه يشكر كل من أسدى معروفا للحياة سواء أداه لإنسان أو حيوان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)(رواه البخاري)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَه) (رواه البخاري)، فشكر الله للعبد بمغفرته سبحانه للذنوب ومجازاته العبد بالأجر والثواب.

وكذلك وصف الله تعالى به أنبياءه ورسله، فكان الشكر خلقًا لازمًا لأنبياء الله (عليهم السلام)، وفي هذا حث للأمة أن تقتدي بهم، فأولُ أنبياء الله نوحٌ (عليه السلام)، وصفَه ربُه بقوله: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}[الإسراء: ٣]، وخليلُ الله إبراهيم (عليه السلام) قال فيه ربُه: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[النحل: ١٢٠-١٢١].

وها هو نبي الله داود (عليه السلام) يناجي ربه ويسأله كيف يؤدي شكره، فقال:(يَا رَبِّ، كَيْفَ أُطِيقُ شُكْرَكَ وَأَنْتَ الَّذِي تُنْعِمُ عَلَيَّ، ثُمَّ تَرْزُقُنِي عَلَى النِّعْمَةِ الشُّكْرَ، ثُمَّ تَزِيدُنِي فِي نِعْمَةٍ بَعْدَ نِعْمَةٍ، فَالنِّعْمَةُ مِنْكَ يَا رَبِّ، وَالشُّكْرُ مِنْكَ، وَكَيْفَ أُطِيقُ شُكْرَكَ؟، قَالَ: الْآنَ عَرَفْتَنِي يَا دَاوُدُ حَقَّ مَعْرِفَتِي) (رواه البيهقي).

وينظرُ سليمان (عليه السلام) فيما خصّه به ربُّه من نعم، وما سخّر له من مخلوقاتِه فلم يقابلها بالكبر والجحود، وإنما قابلها بالدعاء لمولاه أن يوفقه ويعينه على شكره، فقال تعالى على لسان سليمان: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيّ وَعَلَى وَالِدَيّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}[النمل:١٩]، وقال تعالى – على لسان سيدنا سليمان (عليه السلام)– أيضًا: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل:٤٠].

أما نبيُّنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو الذي غفرَ الله له ما تقدّم من ذنبِه وما تأخّر، فيقومُ لربِّه من الليل حتى تتفطَّر قدماه، وعندما سئل: لِمَ كلُّ ذلك يا رسول الله وقد غفرَ الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ كان جوابه: (أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟)، وقَالَ ابن عُمَيْرٍ لأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: فَسَكَتَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ: (يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي، قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ

قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا") (رواه ابن حبان).

وقد علمنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كيف نؤدي شكر الله تعالى على نعمه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَنَّامٍ الْبَيَاضِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ)(رواه أبو داود).

على أن شكر الله ـ تعالى ـ لا يكون باللسان فحسب، بل شكره باللسان، والقلب، والجوارح، والعمل، فشكر اللسان: يكون بذكر نعم الله ـ تعالى ـ وفضائله، وكثرة حمده عليها، قال تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[الضحى:١١]، والوفاء بحقها، يقول الحق سبحانه: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}[سبأ: ١].

وشكر القلب: يكون باعتقاد العبد أنه مُنعَمٌ عليه من الله (عز وجل)، فعَنْ أَبِي الْجِلْدِ، قال: قَالَ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ قَالَ: "إِلَهِي كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَأَصْغَرُ نِعْمَةٍ وَضَعْتُهَا عِنْدِي مِنْ نِعَمِكَ لَا يُجَازِي بِهَا عَمَلِي كُلُّهُ "، قَالَ: فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ " يَا مُوسَى الْآنَ شَكَرْتَنِي"[الزهد لأحمد بن حنبل].

وشكر الجوارح : يكون بترك المعاصي والذنوب، قال مَخْلَد بْن حُسَيْن: كَانَ يُقَالُ: "الشُّكْرُ تَرْكُ الْمَعَاصِي ".

ثمرات الشكر

للشكر ثمرات كثرة وعظيمة ، منها:

١. **أن الشكر يعود بالخير على الشاكر نفسه**، قال سبحانه: {وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}[لقمان:١٢].

٢. **حفظ النعم من الزوال**، فعَنِ الْحَسَنِ (رضي الله عنه) قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَيُمَتِّعُ بِالنِّعْمَةِ مَا شَاءَ، فَإِذَا لَمْ يُشْكَرْ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا"، وكان عُمَر بْن عَبْدِ الْعَزِيزِ (رضي الله عنه) يَقُولُ: «قَيِّدُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ». ولقد ضرب لنا الحق ـ سبحانه وتعالى ـ مثلاً بقرية زالت نعمها؛ لعدم الشكر عليها، فقال سبحانه: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ وَهُمْ ظالِمُونَ* فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [النحل: ١١٢ـ١١٤]. فالشكر سبب بقاء النعمة والحفاظ عليها.

٣. **الزيادة في النعم**، يقول تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}[إبراهيم: ٧]، وقال سيدنا علي (رضي الله عنه) لِرَجُلٍ مِنْ هَمْدَانَ: (إِنَّ النِّعْمَةَ مُوَصلَةٌ بِالشُّكْر، وَالشُّكْرُ مُعَلَّقٌ بِالْمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، فَلَنْ يَنْقَطِعَ الْمَزِيدُ مِنَ اللَّهِ حَتَّى

يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ).

مجالات الشكر: الشكر ليس قاصرًا على شكر العبد لربه، فإذا كان أول من يُشكَر هو الله سبحانه؛ لأنه صاحب الفضل والمنة والنعمة، ولا منعم في الحقيقة سواه، فإن شكر الوالدين يأتي بعد شكر الله عز وجل، لما قدماه لأبنائهم من كل خير في الحياة، لذا قرن الله ـ تعالى ـ شكرهما بشكره وطاعتهما بطاعته في أكثر من موطن في كتابه الكريم، يقول تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}[لقمان: ١٤] ، وشكر الوالدين يكون بالطاعة والإحسان إليهما وتوقيرهما وعدم إيذائهما ولو بأقل الألفاظ، وهذا هو المفهوم من قوله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}[الإسراء: ٢٣].

ومن كمال الشكر : الشكر لكل من أسدى إلينا معروفا، فهو من باب شكر الله تعالى، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): (لا يشكر الله من لا يشكر النّاس) (أخرجه أبو داوود)، والحق سبحانه وتعالى يقول: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}[الرحمن: ٦٠]. ولقد وصانا نبينا (صلى الله عليه وسلم) بذلك حيث قال: (مَنِ استعاذَ بالله فأعيذُوه ، ومَنْ سألَ بالله فأعطُوه ، ومَن دعاكم فأجيبُوه ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ)(رواه أبو داود).

ولله درُّ القائل:

ومن يسـد معروفًـا إليك فكن له ** شكـورًا يكن معروفه غير ضائع

ولا تبخلـن بالشّكـر والقـرض فأجزه ** تكن خير مصنوع إليه وصانع.

فمن داوم على شكر الله (عز وجل) كان له مثل أجر الصائم الصابر، كما أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومعلوم أن أجرهما لا يعلمه إلا الله، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: لاَ أَعْلَمُهُ إِلاَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ لِلطَّاعِمِ الشَّاكِرِ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَا لِلصَّائِمِ الصَّابِرِ) (رواه البيهقي في السنن)، وصدق الله العظيم حيث قال: {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}[آل عمران: ١٤٤].

الصــــبـــر

من الأخلاق الكريمة التي حث عليها الإسلام وأمر بها خلق الصبر ، فهو من دلائل حسن الإسلام وعمق الإيمان ، والصَّبْرُ نقيض الجَزَع، فأصله: حبس النفس عن الجزع ، وهو اصطلاحًا : حبس النفس عن محارم الله تعالى فلا تنتهك ، وحبسها على فرائضه فلا تضيع حتى يؤديها على وجهها على قدر الوسع ، وحبسها عن التسخط والشكاية لما يكرهه من أقداره ، وقيل هو: حبس اللسان عن الشكوى، والجوارح عن المعاصي والذنوب ، بمعنى أن يتلقَّى العبد البلاءَ بصدر رحب دون شَكْوى أو سخط.

والصبر خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها. (عدة الصابرين).

أهمية الصبر: الصبر خلق فاضل كريم، ففيه شد للعزائم، وشحذ للهمم، ورفع للمعنويات، وطرد لليأس والإحباط ودافع للعمل والإنتاج، فهو من الأخلاقيات الإيجابية على عكس ما يظن الناس به.

والصبر ضرورة حياتية ، فحين نتأمل في حياتنا لا نجد مجالاً من مجالاتها إلا وهو محتاج إلى الصبر ، فالعلم لا يتأتى إلا بالصبر ، وكسب الرزق لا يتأتى إلا بالصبر ، وتربية الأولاد لا تتأتى إلا بالصبر ، حتى معاملة الناس اليومية لا تكون إلا بالصبر ، قال تعالى: {...وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا}[الفرقان:٢٠].

وحال الإنسان في قضاء الله وقدره بين أمرين: إما سراء وإما ضراء، والناس في هذه الحال ينقسمون إلى قسمين: مؤمن وغير مؤمن، فالمؤمن على كل حال ما قدر الله له فهو خير له ، إن أصابته ضراء صبر على قدر الله ، وانتظر الفرج من الله ، واحتسب الأجر على الله فكان خيرًا له ، ونال بهذا أجر الصابرين ، وإن أصابته سراء من نعمة فشكر الله فكان خيرًا له، فعن صهيب بن سنانٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم): (عَجَبًا لأمْرِ المُؤمنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خيرٌ ولَيسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إلاَّ للمُؤْمِنِ: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيراً لَهُ ، وإنْ أصَابَتْهُ ضرَاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ) (رواه مسلم).

والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس مِنَ الجسد ، وإذا قطع الرأس فسَد الجسد، كذلك إذا زال الصبرُ فسد الإيمان ، والصبر نور لأصحابه يوم القيامة، فعَنْ أَبِى مَالِكٍ الأَشْعَرِىِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (...وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)(رواه مسلم).

ولقد جاء الأمر بالصبر في القرآن الكريم وفي سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) وذلك لما له من فضائل ومنافع في الدنيا والآخرة.

فمن القرآن الكريم : قال تعالى:{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ}[النحل:١٢٧]، وقال تعالى:{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ}[الطور٤٨]، وقال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ}[آل عمران٢٠٠]، وقال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة:١٥٣] .

وقد قُرن الصبر بكثير من الطاعات وقيم الإسلام ، فقرنه الله (عز وجل) بالصلاة ، حيث قال:{اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[البقرة: ١٥٣] ، وقرنه بالأعمال الصالحة عمومًا ، فقال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}[هود: ١١]، وقرنه بالتقوى ،فقال سبحانه:{إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ}[يوسف:٩٠]، وقرنه بالشكر فقال سبحانه: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفلك تَجْرِي فِي البحر بِنِعْمَةِ الله لِيُرِيَكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}[لقمان:٣١] وقرنه الله بالحق ، فقال سبحانه: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[سُورَةُ الْعَصْرِ]، وقرنه بالمرحمة، والمرحمة مبالغة من الرحمة ، فقال سبحانه:{ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ} [الْبَلَدِ: ١٧]، وقرنه الله باليقين ، فقال سبحانه: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}[السَّجْدَةِ:٢٤]، وقرنه بالتوكل، فقال سبحانه:{نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[العنكبوت: ٥٨-٥٩] وقرنه بالجهاد ، فقال سبحانه : {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}[مُحَمَّدٍ: ٣١].

ومن السنة النبوية المطهرة: ماروي عن عطَاء بن أبي رَباحٍ قَالَ: قَالَ لي ابنُ عَباسٍ (رضي اللهُ عنهما) : (ألاَ أُريكَ امْرَأةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّة؟

فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هذِهِ المَرْأةُ السَّوداءُ أتتِ النَّبيَّ (صلى الله عليه وسلم)، فَقَالَتْ: إنّي أُصْرَعُ، وإنّي أتَكَشَّفُ، فادْعُ الله تَعَالَى لي ، قَالَ: (إنْ شئْتِ صَبَرتِ وَلَكِ الجنَّةُ، وَإنْ شئْتِ دَعَوتُ الله تَعَالَى أنْ يُعَافِيكِ) فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إنِّي أتَكَشَّفُ فَادعُ الله أنْ لا أَتَكَشَّف، فَدَعَا لَهَا) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ)، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه): أنَّ رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لعَبدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إلاَّ الجَنَّةَ) (رواه البخاري) ، وعن أنس (رضي الله عنه) قَالَ: سمعتُ رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إنَّ الله (عز وجل) قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عبدي بحَبيبتَيه فَصَبَرَ عَوَّضتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ)(رواه البخاري).

فالصبر ضرورة لازمة للإنسان ليبلغ آماله ويحقق غاياته ، وتنجح مقاصده، فمن صبر ظفر، فتحقيق الآمال يتحقق بأمرين: الإيمان بالله عز وجل والصبر، ولله درُّ القائل:

إنــي رأيت وفي الأيــام تجـــــربة ** للصــبر عاقبــة محمودة الأثر
وقـل من جــد في أمــر يؤملــه ** واستصحب الصبر إلا فاز بالظفـر

أنواع الصبر:

١. **الصبر على طاعة الله** : ويكون قبل الطاعة بتصحيح النية ، والإخلاص فيها ، والبعد عن النفاق والرياء، قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}[هود:١١] ، فقدم الصبر على العمل ، ويكون الصبر على الطاعة أيضا حال الطاعة والعبادة حتى لا يغفل عنها أثناء تأديتها ولا يتكاسل فيأتي بها على الوجه الأكمل، قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ* الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[سورة العنكبوت : ٥٦-٥٩]، ويكون الصبرعلى الطاعة أيضًا بعد العمل، فلا ينظر العبد لنفسه بعين العجب ، حتى لا يحبط عمله ويبطل أجره ويمحو أثره.

٢. **الصبر عن المعاصي والمحرمات** : فملذات الدنيا وشهواتها تحتاج إلى مجاهدة نفس وصبر ، فلا يطلق لها العنان ، قال تعالى: {وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}[طه:١٣١].

٣. **الصبرعلى المصائب** : لا يوجد في الدنيا أحد سلم من الابتلاء بأنواعه المذكورة في الآية الكريمة:{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ...}[البقرة:١٥٥]، فالكل معرض لهذا الأمر ، ولكن المؤمن يتلقَّى هذا الابتلاء برضىً وطمأنينة نفس ؛ لأنه يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فأيوب (عليه السلام) صَبَرَ على مرضه وفَقْد أهله، ويعقوب (عليه السلام) صَبَرَ على فراق ولده، وكيد أبنائه، ويوسف (عليه السلام) صبرعلى السجن والافتراء والتدليس والتشويه الذي مارسته امرأة العزيز قبل أن يحصحص الحق، وسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ضرب أروع الأمثلة في الصبر ، فصبر على كسر رباعيَّته، وشجّ وجهه، وغير ذلك من أنواع الابتلاءات التي أصيب بها (صلى الله عليه وسلم).

الصبر خلق الأنبياء: لقد ذكر القـرآن الكريم أحوال بعض الأنبياء

كان الصبر جل شأنهم ، منهم:

١. **يوسف (عليه السلام)**: فقد كان الصبر هو حال سيدنا يوسف (عليه السلام) في محنه كلها ، محنته مع إخوته ، ومحنته في الجب ، ومحنته مع امرأة العزيز ، ومحنته في السجن ، ومحنته وهو يتولى عرش مصر وقت البلاء ، إلى غير ذلك من المحن والصعاب ، وكان لسان حاله {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}[يوسف:٩٠]، وفي صبره على محنة مراودة امرأة العزيز له ما يكفي لضرب المثل على صبره، فقد رفض كل العروض والإغراءات ، وخرج من الفتنة بإيمانه وصبره ، يقول ابن القيم : " كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها : أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه، وتفريقهم بينه وبين أبيه؛ فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره؛ لا كسب له فيها ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر ، وأما صبره عن المعصية : فصبر اختيار ورضى ومحاربة للنفس، ولا سيما مع الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة؛ فإنه كان شاباً وداعية الشباب إليها قوية ، وعزباً ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريباً والغريب لا يستحي في بلدغربته مما يستحي منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله ، ومملوكًا والمملوك أيضا ليس وازعه كوازع الحر ، والمرأة جميلة وذات منصب ، وهي سيدته ، وقد غاب الرقيب ، وهي الداعية له إلى نفسها والحريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل : بالسجن والصغار، ومع هذه الدواعي كلها: صبر اختيارًا وإيثارًا لما عند الله ، وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه"؟!!

٢. **نبي الله أيوب (عليه السلام)**: وهو مضرب المثل في الصبر، فإذا ذُكر الصبر ذُكر سيدنا أيوب (عليه السلام)، فقد ابتلاه الله في بدنه وأهله وولده وماله، فقابل الابتلاء بالصبر والرضا، فخلَّد الله ذكره في القرآن، قال تعالى:{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ*ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ*ووَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ*وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ }[ص: ٤١-٤٤] .

٣. **صبر النبي (صلى الله عليه وسلم)**: فإن مواقف الصبر في حياته (صلى الله عليه وسلم) أكثر من أن تعد أو تحصى؛ لما لاقاه من محن ومتاعب لم يتعرض لها بشر قبله ولا بعده ، من هذه المواقف ما جاء عن أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: قلتُ لِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَال:(لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ

شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ » فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) (متفق عليه).

ثمرات الصبر:

١. **من أهم أسباب الفلاح**: قال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[آل عمران: ٢٠٠].

٢. **يؤدي إلى الفوز بالجنة يوم القيامة:** قال تعالى:{إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الْمُؤْمِنُونَ: ١١١] .

٣. **مضاعفة الأجر والثواب** : قال تعالى:{أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا}[القصص:٥٤]، وقال:{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠].

٤. **الفوز بمعية الله**: قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[البقرة: ١٥٣].

٥. **صلوات الله ورحمته على الصابرين**: قال تعالى:{...وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ*أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}[البقرة:١٥٥-١٥٧].

٦. **تحقيق النصر على الأعداء** : قال تعالى:{بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ}[آل عمران: ١٢٥]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (...وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ

جَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ) (رواه الطبراني في الكبير).

٧. **الصبر وقاية من كيد الأعداء ومكرهم**: قال تعالى: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}[آل عمران: ١٢٠].

٨. **الملائكة تسلم على الصابرين في الجنة**: قال تعالى:{وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرَّعْدِ:٢٣،٢٤] .

وهذه الفضائل قليل من كثير ، ولله دَرُّ القائل:

الصبر مثل اسمه مرٌّ مذاقته *** لكن عواقبه أحلى من العسل

العفــو والصفــح

من الخصال الكريمة والأخلاق الحميدة التي ينبغي للمسلم أن يتحلى بها : خلق العفو عمن أساء إليك أو قصَّر في حقك ، والعَفْوُ : هُوَ التَّجاوزُ عَنِ الذَّنْب وتركُ العِقَاب عَلَيْهِ ، وأصلُه المَحْوُ والطَّمْسُ، يُقَالُ: عَفَا يَعْفُو عَفْوًا ، فَهُوَ عَافٍ وعَفُوّ . (النهاية في غريب الحديث والأثر).

و (العَفُوُّ) من أسماء الله تعالى الحسنى وصفة من صفاته تعالى، قال سبحانه :{إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}[النساء: ١٤٩] ، قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: " إن تظهروا أيها الناس خيرًا، أو أخفيتموه، أو عفوتم عمن أساء إليكم ؛ فإن ذلك مما يقربكم عند الله ويجزل ثوابكم لديه ، فإن من صفاته تعالى أن يعفو عن عباده مع قدرته على عقابهم ، ولهذا قال:{إِنّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}" (تفسير ابن كثير). وقال سبحانه:{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ}[الحج:٦٠].

الفرق بين العفو والصفح : والعفو والصفح متقاربان في المعنى إلّا أنّ الصّفح أبلغ من العفو ، فقد يعفو الإنسان ولا يصفح ، وصفحت عنه: أوليته صفحة جميلة (نضرة النعيم)، فالعفو ترك عقوبة المذنب ، والصفح: ترك لومه بعد ترك عقوبته ، ويدل عليه قوله تعالى:{فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا}[البقرة:١٠٩] ترقيًا في الأمر بمكارم الأخلاق من الحسن إلى الأحسن.

وخلق العفو من أخلاق الأنبياء والمرسلين ، فالأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) لقوا من أقوامهم ما لاقوه ومع هذا لم ينتقموا لأنفسهم ، بل

صبروا على الأذى في سبيل نشر دعوتهم ، وبذلوا وسعهم في بيان الحق لمن أرسلوا إليهم ، وقابلوا إساءات أقوامهم بالصبر ودعاء الله تعالى لهم ، فعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قَالَ: كأني أنظر إِلَى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأنبياءِ (صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُه عَلَيْهِمْ) ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، ويقول: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) (متفقٌ عَلَيْهِ).

ولعظم قدر هذا الخُلُقِ الجليل جاء الأمر من الله تعالي للنَّبي (صلى الله عليه وسلم) بأن يتحلى به، فهو يعمل على دوام العشرة وحسن الألفة ، وذلك بأن يعفو ويصفح عن المؤمنين، وأن يلين لهم في القول والفعل ، وأن يشاورهم فيما حزبه من أمر ، لا لنقص في رأيه ، بل ليعلمهم وليقتدوا به (صلى الله عليه وسلم) ، قال تعالى:{فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[عمران:١٥٩] ، وقَال تَعَالَى :{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[الأعراف:١٩٩] .

وكذلك فإن العفو خلق من أخلاق المؤمنين الصالحين ، يجازيهم ربهم على عفوهم ، قال تعالى:{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}[الشورى:٤٠].

وحظّ العبد من العفو هو أن يعفو عن من ظلمه ، ويحسن إليه ، متخلقًا بأخلاق القرآن الكريم ، مقتديًا بهدي سيد المرسلين (صلى الله

عليه وسلم) حتى يشمله الله تعالى بعفوه وكرمه ، فلا شك أن لكل واحد منا زلات وسقطات ، وعليه مظالم وحقوق للناس ، ويتمنى أن يتجاوز الناس عنه في مظالمهم ويسامحوه ؛ حتى لا يطالبوه بها يوم القيامة ، وهو أحوج ما يكون إلى حسناته.

وقد جاء الأمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بأن يصبروا ويعفوا عمن أساء إليهم ، وبيَّن لهم أن هذا الخلق من شيم المتقين المحسنين الذين حققوا الإحسان، وقد نالوا بذلك حب الله (عزّ وجلّ)، وأنه من أسباب سكنى الجنان بفضل الله (عزّ وجلّ)، قال تعالى:{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[آل عمران: ١٣٣-١٣٤]، وبيّن (جلّ وعلا) أن العفو والصفح عن خَلْقِ الله تعالى، هو سبب في عفو الله (عزّ وجلّ)، فالجزاء من جنس العمل، قال تَعَالَى:{وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ}[النور ٢٢].

نماذج من العفو:

١. نبي الله يوسف (عليه السلام) ، فكانت مقولته لإخوانه بعد أن أمكنه الله منهم مثلاً رائعًا في السماحة والعفو والصفح، فهو عفوٌ لا لوم فيه ولا تعيير، وهو صفح في حال المقدرة على العقاب ، وهو تنازل عن أي حق دون أي حقد أو كراهية ، وأضيف إليه الدعاء بالمغفرة على الذنب والستر، والرحمة في عالم الآخرة بين يدي أرحم الراحمين. قال

تعالى:{قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ*قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[يوسف:٩١ـ٩٢].

٢. ولقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) المثل الكامل في العفو والصفح عمنّ خالطه وعامله (صلى الله عليه وسلم) من رجل أو خادم أو امرأة أو عامل أو غيره ، فعن السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت : (مَا ضَرَبَ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ ، وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلاَّ أَن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى، فَيَنْتَقِمُ للهِ تَعَالَى) (رواه مسلم)، وعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنهما) قُلْتُ : أَخْبِرْنِى عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِى التَّوْرَاةِ. قَالَ : (أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِى التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِى الْقُرْآنِ: {يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِى وَرَسُولِى سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ فِى الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا) (رواه البخاري).

وهذا أعرابي يأخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بردائه بغلظة وفظاظة، وقد ترجم العفو والصفح بإحسان وعطاء ، عن أنس (رضي الله عنه) قَالَ: (كُنْتُ أمشي مَعَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأدْرَكَهُ أعْرَابِيٌّ فَجَبذَهُ بِردَائِهِ جَبْذَةً شَديدةً،

فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبيِّ (صلى الله عليه وسلم) وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُر لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ) (متفقٌ عَلَيْهِ).

بل إن عفو النبي (صلى الله عليه وسلم) اتسع ليصل إلى غير المسلمين من المشركين والكافرين من أهل مكة الذين تفننوا في إيصال العنت والأذى للنبي (صلى الله عليه وسلم) ومن تبعه من السابقين الأولين ، فلما عرض له ملك الجبال ، وأخبر أنه مأمور من الله بطاعته، فلو أراد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن ينتقم منهم ويدعو عليهم لانتقم الله منهم عن بكرة أبيهم ، لكن أشفق عليهم ، ودعى لهم، فعن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت للنبي (صلى الله عليه وسلم) : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَال: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيْلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ...فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنَّ اللهَ قَدْ سَمِع قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنا مَلَكُ الجِبال، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إنْ شئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ. فَقَالَ النبي (صلى الله عليه وسلم): (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) (متفقٌ عَلَيْهِ).

وفي غزوة أحد تأمل حال النبي (صلى الله عليه وسلم) وما لقيه من قومه وما أصابه منهم حتى أدموه فجعل يُزيل الدم عنه ، ويقول: (اللَّهُمَّ

اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: يَعْنِي هَذَا الدُّعَاءُ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ لَمَّا شُجَّ وَجْهُهُ. (رواه ابن حبّان). فقد جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم القبيحة إليه. أحدها : عفوه عنهم ، والثاني: استغفاره لهم ، والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون ، والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه ، فقال : (اغفر لقومي) كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدي، هذا غلامي، هذا صاحبي، فهبه لي) (بدائع الفوائد لابن القيم).

ولما عاد النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى مكة بعد ثماني سنوات فاتحًا بعد أن أُخرج منها ، فقد عاد إليها على رأس جيش بلغ أكثر من عشرة آلاف من المسلمين ، ودخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مكة دخول الشاكرين لله (عزَّ وجلَّ) دخلها وهو راكب على ناقته تواضعًا لله وشكرًا ، وكادت جبهته (صلى الله عليه وسلم) أن تمس عنق ناقته ، وسيطر الرعب على أهل مكة خوفًا من أن ينتقم منهم (صلى الله عليه وسلم) نتيجة أفعالهم معه ومع أصحابه (رضي الله عنهم أجمعين) فقال لهم النبي (صلى الله عليه وسلم) : (يا معشر قريش مَا تَرَوْنَ أَنِّى صَانِعٌ بِكُمْ؟) قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ : (اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ) (سنن البيهقي) ، فلم يقتل (صلى الله عليه وسلم) أحدًا ، ولم يصادر أرضًا، بل كان (صلى الله عليه وسلم) رحمة للعالمين كما وصفه الله تعالى.

ولقد أمر الحق سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالصفح عن أهل الكتاب الحاسدين الحاقدين على الإسلام وأهله ـ فضلا عن الصفح عن المسلمين ـ رغم ما بينهم وبين المؤمنين من العداوة والبغضاء ، موصيًا إياهم بالصبر على أمر الله حتى يأتي الفرج من عنده ، قال تعالى:{وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[البقرة:١٠٩].

٣. عمر (رضي الله عنه) في امتثال تام لأمر الله تعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) في العفو ، يصفح عن جهل الجاهل وفظاظة الأحمق، فعن ابن عبّاس (رضي الله عنهما) قال: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيفَةَ بن بَدْرٍ، فَنَزلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسِ ابْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذين يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولاً كانُوا أَوْ شُبَّاناً، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي! هَلْ لَكَ وَجْهٌ (وجاهة ومنزلة) عِنْدَ هَذَا الأمِيرِ فَتَسْتأْذِنَ لِي عَلَيْهِ؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ لِعُيَيْنَةَ، فَلَمَا دَخَلَ قَالَ: يَا ابْنَ الخَطَّابِ! وَالله مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ (الكثير)، وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ ، فَقَالَ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المؤْمِنينَ! إنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ (صلى الله عليه وسلم) إنّ الله تعالى قال لنبيّه:{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩].

خلــق العفــة

من القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة التي دعا إليها ديننا الحنيف ورغَّبَ فيها ، وحثَّ على التخلق بها ، خلق العفة التي تعني ضبط السلوك الإنساني ، فبها يصون المسلم نفسه من الأهواء والانحرافات والشذوذ ، ويتقوى بها على التمسك بالأفعال والآداب المحمودة. وهي: حالة للنّفس تمتنع بها عن غلبة الشّهوة ، وتكف بها عن المحرم الذي حرمه الله (عز وجل) والاكتفاء بها عن سؤال الناس، يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلاَ عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا : حِفْظُ أَمَانَةٍ ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ) (رَوَاهُ أَحْمَدُ).

والاستعفاف : طلب العفة وتكلف حصولها ، وهذا معنى قول الله تعالى:{وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [النور:٣٣]، أي: ليضبط نفسه بمثل الصّوم فإنّه وجاء، وكذلك في الحديث: (وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله)(رواه البخاري).

مكانتها:

وللعفة منزلة عظيمة ، فهي تحفظ المسلم من كل خلق سيِّئ، وتدفع به نحو الفضيلة والرقي، والبعد عن الرذائل والأهواء والأدواء ، بها تتوطد الصلات وتسمو العلاقات ، وبها تحفظ الأموال والأعراض، ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في دعائه يسأل الله تعالى العفاف، فعَنْ ابن مسعود (رضي الله عنه) أن النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى) (رواه مُسْلِمٌ).

فبها يحصل نقاء المجتمع وطهارته من المفاسد والمآثم ، وبها الفوز بثناء الله تعالى على أهل الإيمان والفلاح من عباده ، قال تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}[المؤمنون١-٧].

فالعفة خلق إيماني رفيع ، وهي صبر وجهاد واحتساب، وقوة وتحمل وإرادة ، وصون للأسرة المسلمة من الأهواء والانحرافات والشذوذ، ودعوة إلى البعد عن سفاسف الأمور ، وخدش المروءة والحياء .

والعفة تشمل عفة القلب والجوارح والكسب وغيره، امتثالاً لأمر الله ورسوله، فيكون عفيف القلب واليد واللّسان والسّمع والبصر والفرج، فمن عدمها في القلب: ابتلي بالحسد والحقد والكبر والعجب وغيرهم من أمراض القلوب، ومن عدمها في اللّسان: ابتلي بالسّخرية والغيبة والهمز والنّميمة والتّنابز بالألقاب وغيرهم من آفات اللسان، ومن عدمها في البصر: مدّ العين إلى المحارم وزينة الحياة الدّنيا المولّدة للشّهوات الرّديئة، ومن عدمها في السّمع: اصغى إلى المسموعات القبيحة،ومن عدمها في الكسب: أكل الشبهات ثم الحرام. وعماد عفّة الجوارح كلّها ألا يطلقها صاحبها في شيء ممّا يختصّ بكلّ واحد منها إلّا فيما يسوّغه العقل والشّرع دون الشّهوة والهوى.

ولا يكون المتعفف عفيفا حقًّا مَنْ كان تعفّفه عن الشّيء انتظارًا

لأكثر منه أو لأنّه لا يوافقه، أو لجمود شهوته، أو لاستشعار خوف من عاقبته، أو لأنّه ممنوع من تناوله، أو لأنّه غير عارف به لقصوره، فإنّ ذلك كلّه ليس بعفّة صادقة بل هو إمّا اصطياد، أو مرض أو عجز .

وقد ورد لفظ العفة في القرآن الكريم بمعنى التعفف والترفع عما ليس في ملك الإنسان من أموال الغير ، وأثنى الله (عز وجل) على هذا الصنف من الناس المعتز بكرامته، الموقن بقضاء الله وقدره، فلا يعجل بطلب الأرزاق فإنها تجري بالمقادير، وأن التعفف يُكْسب المسلم من البهاء والإجلال ما قد يظن معه الناظر إليه أنه من أهل اليسار، قال تعالى:{لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}[البقرة٢٧٣]، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم): (لَيْسَ المِسْكينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ إِنَّمَا المِسكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ).

ووجه ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ أن خُلق العفاف واجب على الغني، وهو خير للفقير من تركه ومن التعرض لغيره في طلب الأقوات، قال تعالى: {وَابْتَلُوا الْيَتامى حَتَّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوها إِسْرافًا وَبِدارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفى بِاللَّهِ حَسِيبًا}[النساء:٦].

ومن صور العفة: عفة الفرج ، وهو مما تزكو به النفوس ، وتسلم به المجتمعات ، ويحفظ به الأمن، وتصان به الأعراض ، وقد أمر الله عز وجل المؤمنين والمؤمنات بحفظ فروجهم وأبصارهم ، فقال تعالى:{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا}، وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ) (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

ومن صور العفة: عفة البطن ، ويقصد بها تحري الحلال في كل ما يدخل البطن من طعام أو شراب أو غير ذلك ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ذَاتَ يَوْمٍ : (اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ) قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، قَالَ: (لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحَى مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظْ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى وَلْيَحْفَظْ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) حَقَّ الْحَيَاءِ) (رواه أحمد).

وكذلك من صور العفة : عفة اللسان ، فاللسان من أجل النعم العظيمة التي أنعم الله بها على الإنسان ، به المنطق والبيان ، وبه تتضح الحجة والبرهان ، قال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ} [سورة البلد: ٨ -٩]، فاللسان صغير في حجمه عظيم في أثره ، إذ هو

ترجمان القلوب والأفكار ، ومن ثم فيجب على الإنسان أن يحفظه وأن يعفه عن كل ما نهى الله تعالى عنه.

ولما سئل (صلى الله عليه وسلم) : (أيُّ المسلمين خَير ؟ قال : (مَنْ سَلِمَ المسلِمُونَ مِنْ لسانِهِ ويدِه) (متفق عَلَيْهِ)، ثم تأتي رواية شاملة للناس جميعًا، حين سئل (صلى الله عليه وسلم): يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) (رواه أحمد)، وعن مُعَاذِ بن جبل (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله وإنَّا لَمُؤاخَذُونَ بما نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فقالَ : (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ! وَهَلْ يَكُبُّ الناسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟) (رواه الترمذي).

فعلى كل عاقل أن يكف لسانه عن الكذب لسوء عاقبته ، فهو جماع كل شر ، وأصل كل ذمٍّ ، كما يكف لسانه عن السخرية والاستهزاء التي نهى الله تعالى عنهما في قوله عز وجل: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[الحجرات: ١١] .

فوائد العفة وفضائلها :

١. أنها تحفظ صاحبها من الهلاك ، فعندما كان ثلاثة يسيرون في طريقٍ واضطروا إلى الدخول في كهف فوقعت صخرة فسدت بابه، واستنجد كل منهم بما قدم من عمل صالح ، حيث قال أحدهم: (اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا

نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ. فَقُمْتُ عَنْهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً. فَفَرَجَ لَهُمْ) (رواه مسلم) ، فالعفيف يتنعم في الآخرة بظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابّا في الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقال: إنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُه مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا ففاضت عَيْنَاهُ) (متفقٌ عَلَيْهِ).

٢. يسعد صاحبها يوم القيامة في نعيم الجنة بفضل الله (عز وجل) فعن عِياضِ بن حِمارٍ (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله(صلى الله عليه وسلم) يقول: (أهلُ الجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلطانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لكُلِّ ذي قُرْبَى ومُسْلِمٍ، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيالٍ) (رواه مسلم) ، وهم بذلك في مأمن من عذاب الله (عز وجل)، فعن معاوية بن حيدة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (ثَلَاثَةٌ لَا تَرَى أَعْيُنُهُمْ النَّارَ: عَيْنٌ حَرَسَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ كَفَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ) (المعجم الكبير للطبراني).

٣. والمتعفف أهل لعون الله (عز وجل)، لأنه قد قطع بصره وأمله عمّا في أيدي الناس من خير ، وتعلق بالله في نجاح سعيه وطلبه ، فكان الله (عز وجل) عند حسن ظنه ، وكان في عونه وتوفيقه ، وكان سعيه في سبيل الله (عز وجل) وطاعته ، فلو مات مات في طاعة، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (ثَلاَثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمُ الْمُجَاهِدُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُكَاتَبُ الَّذِى يُرِيدُ الأَدَاءَ وَالنَّاكِحُ الَّذِى يُرِيدُ الْعَفَافَ) (رواه الترمذي)، وعَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ، قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ جِلْدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ) (المعجم الكبير للطبراني).

والمتعفف إنما يحسن لنفسه في الحقيقة، لأنه كما يدين يدان، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضى الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):(بَرُّوا آباءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ، وَعِفُّوا تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ) (مستدرك الحاكم) .

نماذج للعفة:

١. ومن مواقف العفة ما جاء عن نبي الله يوسف (عليه وعلى نبينا الصلاة السلام) ، فقد ابتلي بأعظم فتنة، امرأة ذات منصب جمال، تراوده عن

نفسه، فتعفف عن الحرام وحفظ دينه واعترف بجميل سيده عليه، قال تعالى:{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: ٢٣-٢٤].

٢. ولقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) المثل الكامل في العفة بمفهومها العام ، فلا يأكل إلا بعد التحري التام أنه مما لا ضرر فيه شرعًا، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ: (إِنِّى لأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِى فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِى ثُمَّ أَرْفَعُهَا لآكُلَهَا ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيهَا) (رواه مسلم)، وعنه (رضي الله عنه) قَالَ: أخذ الحسن بن علي (رضي الله عنهما) تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا في فِيهِ، فَقَالَ رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم) : (كَخْ كَخْ إِرْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لا نَأكُلُ الصَّدَقَة؟)، وفي رواية: (أَنَّا لا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ). وقوله: (كَخْ كَخْ) يقال: بإسكان الخاء، ويقال: بكسرها مَعَ التنوين وهي كلمة زجر للصبي عن المستقذراتِ ، وكان الحسن (رضي الله عنه) صبِيًّا .

٣. وفي قصة أم المؤمنين أم سلمة مع عثمان بن طلحة (رضي الله عنهما) مثلاً عاليًا من العفة والمروءة التي قل أن يجود بمثلها الزمان، فعن أُمّ سَلَمَةَ زَوْجِ النّبِيّ (صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ) قَالَتْ: (لَمّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إلَى الْمَدِينَةِ رَحّلَ إلَى بَعِيره ثُمّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ وَحَمَلَ مَعِي ابْنِي

سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي ، ثُمّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ فَلَمّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ قَامُوا إلَيْهِ فَقَالُوا هَذِهِ نَفْسُك غَلَبْتنَا عَلَيْهَا، أَرَأَيْت صَاحِبَتَك هَذِهِ ؟ عَلَامَ نَتْرُكُك تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ ؟ قَالَتْ فَنَزَعُوا خِطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذُونِي مِنْهُ . قَالَتْ وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ ، رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ فَقَالُوا: لَا وَاَللّهِ لَا نَتْرُكُ ابْنَنَا عِنْدَهَا إذَا نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا. قَالَتْ فَتَجَاذَبُوا بُنَيّ سَلَمَةَ بَيْنَهُمْ حَتّى خَلَعُوا يَدَهُ وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ وَانْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إلَى الْمَدِينَةِ . قَالَتْ فَفُرّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي . قَالَتْ فَكُنْت أَخْرُجُ كُلّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطَحِ فَمَا أَزَالُ أَبْكِي ، حَتّى أُمْسِي سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا حَتّى مَرّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمّي، أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ فَرَأَى مَا بِي فَرَحِمَنِي فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمِسْكِينَةَ فَرّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا قَالَتْ فَقَالُوا لِي: الْحَقِي بِزَوْجِك إنْ شِئْت. قَالَتْ وَرَدّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إلَيّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي. قَالَتْ فَارْتَحَلْت بَعِيرِي ثُمّ أَخَذْت ابْنِي فَوَضَعْته فِي حِجْرِي ثُمّ خَرَجْت أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَتْ وَمَا مَعِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللّهِ. قَالَتْ فَقُلْت: أَتَبَلّغُ بِمَنْ لَقِيت حَتّى أَقْدَمَ عَلَى زَوْجِي، حَتّى إذَا كُنْت بِالتّنْعِيمِ لَقِيت عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدّارِ فَقَالَ: إلَى أَيْنَ يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيّةَ؟ قَالَتْ فَقُلْت: أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ . قَالَ أوَ مَا مَعَك أَحَدٌ؟ قَالَتْ فَقُلْت: لَا وَاَللّهِ إلّا اللّهَ وَبُنَيّ هَذَا . قَالَ وَاَللّهِ مَا لَك مِنْ مَتْرَكٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ فَانْطَلَقَ مَعِي يَهْوِي بِي، فَوَاَللّهِ مَا صَحِبْت

رَجُلًا مِنْ الْعَرَبِ قَطّ، أَرَى أَنّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ كَانَ إذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي، ثُمّ اسْتَأْخَرَ عَنّي، حَتّى إذَا نَزَلْت اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي، فَحَطّ عَنْهُ ثُمّ قَيّدَهُ فِي الشّجَرَةِ، ثُمّ تَنَحّى إلَى شَجَرَةٍ فَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا ، فَإِذَا دَنَا الرّوَاحُ قَامَ إلَى بَعِيرِي فَقَدّمَهُ فَرَحّلَهُ ثُمّ اسْتَأْخَرَ عَنّي، وَقَالَ ارْكَبِي. فَإِذَا رَكِبْت وَاسْتَوَيْت عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ فَقَادَهُ حَتّى الْمَدِينَةَ ، فَلَمّا نَظَرَ إلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءَ قَالَ زَوْجُك فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ (وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا) فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللّهِ ثُمّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إلَى مَكّةَ. قَالَ فَكَانَتْ تَقُولُ وَاَللّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيْت صَاحِبًا قَطّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ) (سيرة ابن هشام).

الــــرفـــق

الرفق معناه: اليسر في الأمور ، والسهولة في التوصل إليها ، وضده العنف وهو التشديد في التوصل إلى المطلوب ، وأصل الرفق في اللغة النفع، ومنه يقال: أرفق فلان فلانًا إذا مكّنه مما يرتفق به ، ومرافق البيت: المواضع التي ينتفع بها زيادة على ما لابد منه. (الفروق اللغوية)، وقيل: هو لين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ بالأسهل. (فتح الباري)، وقيل: هو حسن الانقياد لما يؤدي إلى الجميل (التوقيف على مهمات التعريف).

مكانتــه: الرفق خلق محبب عند الله (عزّ وجلّ) في كلِّ أمور الحياة ، فعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (يَا عَائشةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ) (متفق عليه واللفظ لمسلم)، وفي رواية: (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ) (رواه ابن ماجه).

والتحلي بالرفق من علامات توفيق الله (عزّ وجلّ) للعبد وهدايته للخير، فعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (يَا عَائِشَةُ ارْفُقِي، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرِّفْقِ) (رواه أحمد)، وعن أبي الدّرداء (رضي اللّه عنه) عن النّبيّ (صلّى اللّه عليه وسلّم) قال: (مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ) (رواه الترمذي).

الرفق في حياة الرسل والأنبياء (عليهم السلام):

١. امتن الله (سبحانه وتعالى) على المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فحلّاه بالرفق وزيّنه به، وبيّن أنّ هذا رحمة منه (سبحانه وتعالى) بنبيه (صلى الله عليه وسلم) وأمته ، فقال سبحانه: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...}[آل عمران:١٥٩]، أي: أيُّ شيء جعلك لهم ليِّنًا لولا رحمة الله بك وبهم(تفسير ابن كثير).

٢. وقد أمر الله (تبارك وتعالى) جميع الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) بالرفق واللين في الدعوة إليه، فقد أمر (سبحانه وتعالى) موسى وهارون (عليهما السلام) أن يتحليا بالرفق عند مخاطبتهم لفرعون، ودعوته للإيمان بالله فقال تعالى: {اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه:٤٢ – ٤٤]، أي: (قولًا) سهلًا لطيفًا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال (لَعَلَّهُ) بسبب القول اللين. (يَتَذَكَّرُ) ما ينفعه فيأتيه. (أَوْ يَخْشَى) ما يضره فيتركه، فإنَّ القول اللَّين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه. (تفسير السعدي).

٣. وكذلك ضرب الخليل إبراهيم (عليه السلام) مع أبيه أنموذجًا رائعًا في الرفق واللين في دعوته إلى الله ، قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا

يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا}[مريم: ٤١ – ٤٨].

٤. وكذلك أمر الحق (تبارك وتعالى) نبينا (صلى الله عليه وسلم) بالرفق واللين مع قومه؛ وذلك بدعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وفتح أبواب التوبة والأمل ، وعدم تيئيسهم من رحمة الله ، وعدم التشديد عليهم ، قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[النحل:١٢٥].

مجالات الرفق:

١. **الرفق بالنفس في العبادة والطاعة**: فلا يتشدد المرء في دين الله، ولا يُكلِّف نفسه أكثر مما تطيق؛ حتى لا تكلّ ولا تمل من العبادة، فإن القلوب إذا كلت عميت، فعن عبد اللّه بن عمرو بن العاص (رضي اللّه عنهما) قال: أُخبر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) أنّي أقول: والله لأقومنّ اللّيل ولأصومنّ النّهار ما عشت، فقال له رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) : (أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهِ لأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ ؟) قُلْتُ: قَدْ قُلْتُهُ، قَالَ: (إِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ،

وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ). فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: (فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ)، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ: (فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ وَهْوَ عَدْلُ الصِّيَامِ)، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: (لاَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ) (متفق عليه)، وعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: دخل عليّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم): وعندي إمرأة فقال: (مَنْ هَذِهِ؟). فقلت: امرأة لا تنام تصلى، قال: (عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا) (رواه مسلم). وفي رواية أخرى: (لَا يَسْأَمُ اللهُ حَتَّى تَسْأَمُوا). وهما بمعنى واحد قال العلماء: الملل والسآمة بالمعنى المتعارف في حقنا محال في حق الله تعالى؛ فيجب تأويل الحديث، قال المحققون: معناه لا يعاملكم معاملة المالّ فيقطع عنكم ثوابه وجزاءه، وبسط فضله ورحمته حتى تقطعوا عملكم. (شرح النووي بتصرف).

٢. **الرفق بالأطفال**: وذلك بعدم القسوة عليهم، وعدم الإغلاظ لهم، فعن جابر بن سمرة (رضي الله عنه) قال: (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) صَلَاةَ الْأُولَى، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا) قَالَ: (وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي). قَالَ: (فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ) (رواه مسلم) ، وعن أم الفضل لبابة بنت الحارث (رضي الله عنها) قالت: قلت: يا رسول الله، رأيت في المنام كأن عضوا من

أعضائك في بيتي، أو قالت: في حجرتي، فقال: (تَلِدُ فَاطِمَةُ غُلامًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَتَكْفُلِينَهُ). قالت: فولدت فاطمة حسنا، فدفعه إليها، فأرضعته بلبن قثم بن العباس (رضي الله عنه)، قالت: فجئت به يومًا إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، فبال على صدره ، فدحيت في ظهره، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): (مَهْلا يَرْحَمُكِ اللَّهُ أَوْجَعْتِ ابْنِي)، فقلت: ادفع إلي إزارك فأغسله. فَقَالَ: (لا، صُبِّي عَلَيْهِ الْمَاءَ، فَإِنَّهُ يُصَبُّ عَلَى بَوْلِ الْغُلامِ، وَيُغْسَلُ بَوْلُ الْجَارِيَةِ) (رواه الطبراني في الكبير).

٣. **الرفق بالنساء**: وذلك بمراعاة ضعفهن، ومعاونتهن في شئون البيت، وأمور الحياة كما صحّ من فعل النبي (صلى الله عليه وسلم)، فعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أتى على أزواجه وسواق يسوق بهن يقال له: أنجشة، فقال: (وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدًا سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ) (متفق عليه)، قال العلماء: سمي النساء قوارير؛ لضعف عزائمهن تشبيها بقارورة الزجاج؛ لضعفها وإسراع الانكسار إليها. (شرح النووي بتصرف). والمراد بالحديث: الرفق في السير؛ لأن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واستلذته فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك؛ لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة ويخاف ضررهن وسقوطهن.

وعن سعد بن أبي وقّاص (رضي اللّه عنه) قال: استأذن عمر (رضي الله عنه) على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) وعنده نساء من قريش يكلّمنه، ويستكثرنه عالية أصواتهنّ، فلمّا استأذن عمر (رضي الله عنه)

فمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم)، ورسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) يضحك، فقال عمر (رضي الله عنه): أضحك اللّه سنّك يا رسول اللّه، فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم): (عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاَءِ اللاَّتِي كُنَّ عِنْدِي فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ). قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن. ثم قال: أي عدوات أنفسهن أتهبنني، ولا تهبن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (متفق عليه)، قال العلماء: معنى (يستكثرنه) يطلبن كثيرًا من كلامه وجوابه بحوائجهن وفتاويهن. (عالية أصواتهن) يُحتمل أن هذا قبل النهي عن رفع الصوت فوق صوته (صلى الله عليه وسلم)، ويُحتمل أن علو أصواتهن إنما كان لاجتماعها؛ لا أن كلام كل واحدة بانفرادها أعلى من صوته (صلى الله عليه وسلم).

وعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتُها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها (فمها) تمرة لتأكلها، فاستطعمتَها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: (إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ) (رواه مسلم).

٤. **الرفق بالخدم**: وذلك بعدم تكليفهم ما لايطيقون من الأعمال، ومراعاة إنسانيتهم، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ، وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ

الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ) (رواه مسلم)، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إِذَا صَنَعَ لِأَحَدِكُمْ خَادِمُهُ طَعَامَهُ، ثُمَّ جَاءَهُ بِهِ، وَقَدْ وَلِيَ حَرَّهُ وَدُخَانَهُ، فَلْيُقْعِدْهُ مَعَهُ، فَلْيَأْكُلْ، فَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْفُوهًا قَلِيلًا، فَلْيَضَعْ فِي يَدِهِ مِنْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ) (متفق عليه).

٥. **الرفق بمن لا يعلم عند الأمر والنهي**: فعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال بينما نحن فى المسجد مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ إذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد، فقال أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم): مه مه. قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لاَ تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ). فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دعاه فقال له: (إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَىْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلاَ الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِىَ لِذِكْرِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ). قال: فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه. (رواه مسلم).

٦. **الرفق بالفقراء، وذوي الحاجات**: وذلك بالقيام على حوائجهم، وتلبية رغباتهم، فعن أبي هريرة (رضي اللّه عنه) قال: أصابني جهد شديد فلقيت عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه) فاستقرأته آية من كتاب اللّه (عزّ وجلّ) فدخل داره، وفتحها عليّ، فمشيت غير بعيد فخررت لوجهي من الجهد والجوع، فإذا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وسلّم) قائم على رأسي فقال: (يَا أَبَا هُرَيرَةَ) فقلت: لبّيك رسول اللّه

وسعديك، فأخذ بيدي فأقامني وعرف الّذي بي، فانطلق بي إلى رحله، فأمر لي بعُسّ من لبن فشربت منه ثمّ قال: (عُدْ فَاشْرَبْ يَا أَبَا هِرٍّ) فعدت فشربت، ثمّ قال: (عُدْ) فعدت فشربت حتّى استوى بطني فسار كالقدح...) (رواه البخاري).

٧. **الرفق بالرعية**: وذلك بقضاء حوائجهم، وتأدية مصالحهم وما ينفعهم في أمورهم الحياتية، فعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول في بيتى هذا: (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِى شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِى شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ) (رواه مسلم) ، وعن عائذ بن عمرو (رضي الله عنه) سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ) (رواه مسلم)، والحطمة: هو الراعي الذي لا يمكِّن رعيته من المراعي الخصيبة، ويقبضها، ولا يدعها تنتشر في المرعى. (لسان العرب).

٨. **الرفق بالناس عموما**: وذلك بلين الجانب لهم، وعدم الغلظة، والتعامل بالسماحة معهم، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِنْ أُنِيخَ اسْتَنَاخَ عَلَى صَخْرَةٍ) (شعب الإيمان).

٩. **الرفق بالحيوان**: وذلك بإطعامه، ودفع أنواع الأذى عنه كالحرّ والبرد، وعدم إجهاده وتكليفه من العمل ما لايطيق، فعن عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) قال: أردفني رسول الله (صلى الله عليه

وسلم) خلفه ذات يوم، فأسرّ إليّ حديثا لا أحدث به أحدًا من الناس، وكان أحبُّ ما استتر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لحاجته هدفًا، أو حائش نخل. قال: فدخل حائطا لرجل الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) حنّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي (صلى الله عليه وسلم) فمسح ذفراه فسكت، فقال: (مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟)، فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: (أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ) (رواه أبو داود).

وأمرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) بالرفق بها فلا نتخذها جلسة لنا نتسامر على ظهورها، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ، وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَتَكُمْ) (رواه أبو داود)، وعن سعيد بن جبير قال: مرّ ابن عمر (رضي الله عنه) بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا، وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: (مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا. إِنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا) (رواه مسلم).

فوائـــد الرفـــق:

١. يزين كل شيء كما أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم).

٢. فيه دلالة على إرادة الله بالعبد خيرًا كما تقدم.

٣. فيه دلالة على الرحمة، وحسن الخلق، فهو ينمّي أخلاقا كثيرة.
٤. يثمر الود، والمحبة، والألفة، والترابط، والتعاون بين المؤمنين.
٥. يذهب قسوة القلب، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن رجلا شكا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قسوة قلبه، فقال له: (إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ) (رواه أحمد). وإطعام المسكين، ومسح رأس اليتيم من الرفق.
٦. خلو المجتمع من العنف، والأحقاد، والغلّ.
٧. طريق موصل إلى الجنة، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ) (رواه مسلم).

الــوفـــــاء بالعهـــد

الوفاء بالعهد خلق كريم من أخلاق الإسلام ، يدل على قوة الإيمان وعمقه ، وطهارة النفس وسموها ، به تُدعم الثقة بين أفراد الأسرة والمجتمع، وهو دليل على المعاملة الحسنة وانضباط السلوك الإنساني ، وهو خصلة من خصال المؤمنين الصالحين ، ومنقبة من مناقب الدعاة المخلصين ، والوفاء بالعهد من شعب الإيمان ، فمن أبرم عقدًا وجب عليه أن يحترمه ، ومن أعطي عهدًا وجب عليه أن يلتزم به.

لذا فقدحثّ الإسلام على التحلي بخلق الوفاء بالعهد ، و أمر الله تعالى به في القرآن الكريم في أكثر من آية ، قال تعالى:{وَأَوْفُواْبِالْعَهْدِإِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً} [الإسراء :٣٤] ، وقال سبحانه:{وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}[النحل:٩١]، أي: التزموا الوفاء بكل عهد أوجبتموه على أنفسكم سواء فيما بينكم وبين الله ، أو فيما بينكم وبين الناس، فيما لا يخالف كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، ولا ترجعوا في الأيْمان بعد أن أكَّدْتموها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً وضامنًا حين عاهدتموه.

أهميته:

١. الوفاء بالعهد من أهم الفضائل التي عني بها القرآن الكريم وحث عليها ؛ لذا وصف به رب العزة سبحانه وتعالى نفسه، فقال:{وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ}[التوبة: ١١١].

٢. كما جعله الله سبحانه وتعالى من سمات أهل الصلاح والتقوى ، قال تعالى:{وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}[البقرة :١٧٧] ، وقال تعالى:{بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}[آل عمران :٧٦].

٣. كذلك جعله الحق سبحانه وتعالى من صفات أولي الألباب وهم أهل البصائر المنيرة بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) فقال تعالى:{إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ}[الرعد:١٩،٢٠] ، كذلك جعله الله عز وجل من صفات المؤمنين المفلحين ورثة الفردوس يوم الدين، قال تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعُونَ}[المومنون:٨]، وقد تكرر هذا الوصف بنصه في سورة المعارج وكان الجزاء ما أخبر به الحق عن أهل الوفاء بالعهود والعقود بقوله:{أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ}[المعارج: ٣٥].

٤. تخلق به كل الأنبياء والرسل (عليهم السلام) قال الله تعالى في شأن إبراهيم الخليل (عليه السلام):{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}[النجم: ٣٧]، وفي حق إسماعيل (عليه السلام) قال جلّ شأنه:{ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} [مريم : ٥٤].

٥. وهو من أخص خصائص رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل البعثة وبعدها، فعن عبد اللَّهِ بْنِ أَبِى الْحَمْسَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ بَايَعْتُ النَّبِىَّ (صلى الله عليه وسلم) بِبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ ، فَوَعَدْتُهُ أَنْ

آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَنَسِيتُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلاَثٍ فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ فَقَالَ: (يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَ أَنَا هَا هُنَا مُنْذُ ثَلاَثٍ أَنْتَظِرُكَ) (رواه أبو داود)، وحتى في ساعة القتال لم يغدر (صلى الله عليه وسلم)، بل وفَّى بالعهد حتى مع أعدائه، فعن حُذَيْفَة بْن الْيَمَانِ (رضي الله عنه) قَالَ : مَا مَنَعَنِى أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّى خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِى - حُسَيْلٌ - قَالَ فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ قَالُوا : إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا : مَا نُرِيدُهُ مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ. فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ : (انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ) (رواه مسلم).

ونظرًا لأهمية ومكانة الوفاء بالعهد والميثاق من أجل بناء الأمة على الأخلاق، فقد أمر الله تعالى به في القرآن الكريم وتكرر ورود مادة (وفا) إحدى وعشرين مرة أغلبها بلفظ الأمر (أوفوا) حتى يستقيم الناس على هذا الخلق الكريم الذي به صلاح الفرد والمجتمع.

صور الوفاء بالعهد :

أولاً : **وفاء العبد بعهده مع الله** (**عز وجل**): وهو أعلى الأنواع قدرًا، وأولاها فخرًا، قال تعالى:{وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} [البقرة: ٤٠]، وقال تعالى:{وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا}[النحل:٩١]، ويتمثل هذا النوع بتحقيق معنى العبودية الخالصة لله (عزّ وجلّ) بكل مستلزماته والمحافظة على حقوقها بالتزام الأوامر واجتناب النواهي، وتقديم شرع الله (عزّ وجلّ) وتأخير

الهوى، قال تعالى:{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ} [يس:٦٠].

ومن صور الوفاء بالعهد مع الله (عز وجل): حسن التوكل والاعتماد عليه دون غيره، مع الأخذ بالأسباب، والإخلاص في الطاعة، والمحافظة على الأعمال الصالحة والمداومة عليها ، وكذلك الخوف من الله (عزّ وجلّ) وخشيته في السر والعلانية.

ثانيًا: **الوفاء بالعهد مع الرسول (صلى الله عليه وسلم)**: ويتحقق هذا النوع بحبنا الصادق لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وتوقيره وتعظيمه ونصرتنا لشريعته ومحافظتنا على سنته، والسير على نهجه، وتصديقه في كل ما صحّ عنه (صلى الله عليه وسلم)، وما وصلنا عنه بطريق صحيح مقبول، ولنحذر من مخالفته (صلى الله عليه وسلم) ، ففي مخالفته شر مستطر ، قال تعالى:{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[النور:٦٣].

ثالثًا : **الوفاء بالعهد مع النفس**: فسعادة المرء مرهونة بوفائه مع نفسه، لأنه لو كان وفيًّا مع نفسه ، لالتزم بالوفاء مع الله ورسوله والناس أجمعين، ولتحقيق هذا النوع لابد من مجاهدة النفس وتزكيتها، وعدم تحميلها أكثر من طاقتها.

رابعًا: **الوفاء بالعهد مع الناس**: وهذا النوع هو ثمرة الأنواع الثلاثة السابقة ، فالوفاء مع الله ومع رسوله (صلى الله عليه وسلم) ومع النفس مقدمات وأسس لابد منها لتحقق النتيجة وهي الوفاء بالعهد مع الناس،

فبه يتحقق التوادد والتآلف والتراحم والتعاطف بين جميع أفراد الأمة الواحدة، فيصدق فيها قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) (رواه مسلم).

وأولى الناس بالوفاء بالعهد معهم الوالدان والزوجة والأقارب والجيران ، وعامة المسلمين، حتى غير المسلم لو عاهدته على أمر فله عليّ حق الوفاء بعهده ، قال تعالى :{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ}[التوبة: ٤].

والوفاء بالعهد مع الناس له عدة مجالات يجب الحفاظ عليها :

منها: **الالتزام بعهود الزوجية** : لقد أولى الإسلام عقد الزوجية من الرعاية والعناية الشيء الكثير، حتى سمّاه ربنا في القرآن الكريم بالميثاق الغليظ، قال تعالى:{وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا}[النساء:٢١]، هذا الميثاق الغليظ ـ ميثاق الزوجية ـ يتطلب من صاحبه ضرورة الوفاء به والالتزام بحقوقه، والقيام بواجباته، من رحمة وبر وحسن عشرة وحفظ للأسرار، وأوصى النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) بضرورة الالتزام به، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ) (متفق عليه)، وكلما حافظ الأزواج على الوفاء بهذا الأمر كلما تحققت السكينة والمودة بينهما.

ولقد ضرب الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في الوفاء مع أزواجه، وخاصة السيدة خديجة (رضوان الله عليها) حتى بعد مماتها وانتقالها إلى الرفيق الأعلى، فعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) امْرَأَةٌ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِطَعَامٍ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ وَيَضَعُ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَا تَغْمُرْ يَدَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ هَذِهِ كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ، أَوْ حَفِظَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ) (رواه الطبراني). وأيضا عنها (رضي الله عنها): مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يُكْثِر ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ؛ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يكنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ) (متفق عليه).

ومن الصور المشرقة في تاريخ الإسلام لوفاء الزوجة مع زوجها، ما روته كتب السيرة عن السيدة أم حكيم بنت الحارث بن هشام زوج عكرمة بن أبي جهل (رضي الله عنه)، فقد أسلمت يوم الفتح ، وهرب زوجها عكرمة إلى اليمن خوفًا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولكن أبى وفاء هذه الزوجة الصالحة أن تترك زوجها فذهبت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) طالبة لزوجها الشفاعة، فقبل النبي (صلى الله عليه وسلم) شفاعتها وأعطاها العهد بالأمان لزوجها ، فسافرت إليه ومعها

البشارة بالعفو والمسامحة، والعهد بالأمن والأمان، فكانت النتيجة أن هداه الله للإسلام وشرح صدره، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ (رضي الله عنه) قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ هَرَبَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ إِلَى الْيَمَنِ، وَخَافَ أَنْ يَقْتُلَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَكَانَتِ امْرَأَتُهُ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ امْرَأَةً لَهَا عَقْلٌ، وَكَانَتْ قَدِ اتَّبَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَتْ: إِنَّ ابْنَ عَمِّي عِكْرِمَةَ قَدْ هَرَبَ مِنْكَ إِلَى الْيَمَنِ وَخَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ فَأَمِّنْهُ قَالَ: (قَدْ أَمَّنْتُهُ بِأَمَانِ اللَّهِ، فَمَنْ لَقِيَهُ فَلَا يَعْرِضْ لَهُ). فَخَرَجَتْ فِي طَلَبِهِ فَأَدْرَكَتْهُ فِي سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ تِهَامَةَ، وَقَدْ رَكِبَ الْبَحْرَ، فَجَعَلَتْ تَلُوحُ إِلَيْهِ وَتَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّي، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَوْصَلِ النَّاسِ وَأَبَرِّ النَّاسِ وَأَخْيَرِ النَّاسِ، فَلَا تُهْلِكْ نَفْسَكَ، وَقَدِ اسْتَأْمَنْتُ لَكَ مِنْهُ فَأَمَّنَكَ، فَقَالَ: أَنْتِ فَعَلْتِ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَنَا كَلَّمْتُهُ فَأَمَّنَكَ، فَرَجَعَ مَعَهَا، فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِأَصْحَابِهِ: (يَأْتِيكُمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا، فَلَا تَسُبُّوا أَبَاهُ فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ وَلَا يَبْلُغُ الْمَيِّتَ)، قَالَ: فَقَدِمَ عِكْرِمَةُ فَانْتَهَى إِلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَزَوْجَتُهُ مَعَهُ مُنْتَقِبَةٌ. قَالَ: فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَدَخَلَتْ فَأَخْبَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِقُدُومِ عِكْرِمَةَ فَاسْتَبْشَرَ وَوَثَبَ قَائِمًا عَلَى رِجْلَيْهِ، وَمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رِدَاءٌ فَرَحًا بِعِكْرِمَةَ، وَقَالَ: (أَدْخِلِيهِ) ، فَدَخَلَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ هَذِهِ أَخْبَرَتْنِي أَنَّكَ أَمَّنْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):

(صَدَقَتْ فَأَنْتَ آمِنٌ). قَالَ عِكْرِمَةُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَقُلْتُ: أَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ، وَأَصْدَقُ النَّاسِ، وَأَوْفَى النَّاسِ، أَقُولُ ذَلِكَ وَإِنِّي لَمُطَأْطِئُ الرَّأْسِ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا أَوْ مَرْكَبٍ أَوْضَعْتُ فِيهِ أُرِيدُ بِهِ إِظْهَارَ الشِّرْكِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعِكْرِمَةَ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، أَوْ مَنْطِقٍ تَكَلَّمَ بِهِ، أَوْ مَرْكَبٍ أَوْضَعَ فِيهِ يُرِيدُ أَنْ يُصَدَّ عَنْ سَبِيلِكِ) (الطبقات الكبرى لابن سعد).

ومن صور الوفاء بالعهد: **ما يتعلق بالمعاملات المالية بين الناس،** بيعًا وشراءً: فيجب الوفاء بما تم شرطه لقول النَّبِي الكريم (صلى الله عليه وسلم): (الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ) (رواه البخاري)، وعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ مَا وَافَقَ الْحَقَّ) (رواه الحاكم في المستدرك) .

ومما يتعلق بهذا الأمر ضرورة الوفاء بالعهد كيلا ووزنا: وعدم الغدر ببخسه أو تطفيفه، قال تعالى:{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا}[الأنعام:١٥٢]، أيضا ضرورةُ الوفاء بالأمانات، وسرعةُ سداد الديون وعدمُ المماطلة لما فيها من ظلم لصاحب المال، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ:(مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ) (رواه البخاري).

أضرار ترك الوفاء بالعهود:

إن نقض العهود وعدم الوفاء بها علامة من علامات النفاق التي بينها لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) وحذَّر منها أشد التحذير ، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) (متفق عليه)، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) قال: (آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) (رواه البخاري).

ولم يكتف الأمر بوصف الغادر منافقًا فحسب، بل إنه ينصب له يوم القيامة لواء يعرف به بين الأشهاد، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اسْتِهِ فَيُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فلان) (رواه البخاري)، ويستوجب الغدر اللعنَ؛ وهو الطرد من رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة، ويؤدي إلى قسوة القلب فلا تنفعه موعظة ولا تؤثر فيه آية كل ذلك بسب نقض العهد، قال تعالى:{فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ}[المائدة:١٣].

إن الإسلام يمقت الغدر بكل صوره وأشكاله، ونظر إلى من ينقض العهد نظرة احتقار وعدم تقدير، واعتبره إنسانا أحمقًا لا عقل له، وشَبهَّه القرآن الكريم بحال المرأة الحمقاء التي تنقض غزلها بعد أن جعلته

خيطاً سويًا ومتينًا قويًّا صالحًا للحياكة والنسج، ثم تقبل عليه فتعيده إلى سيرته الأولى بحيث لا ينفع في أي شيئ، يقول تعالى:{وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا، تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ، أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ، إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ، وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[النحل:٩٢] .

إن الوفاء بالعهود والعقود المعتبرة شرعًا ـ البعيدة عن الظلم والاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل واستباحة الأموال والدماء والأعراض ـ من أهم سبل تحقيق الأمن في المجتمع، ويعود أثرها وثمراتها على الفرد والمجتمع، فأما الفرد فيعود عليه الوفاء بالوعد بمحبة الله (عزّ وجلّ) ورضوانه، قال تعالى:{بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَاتَّقى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}[البقرة:٧٦]، وكفى بذلك من فضل على من تخلق بالوفاء بالعهد، فمن أحبه الله حرمه الله على النار ، وفتح له كل أبواب الخير ، وأغلق دونه كل أبواب الشر ، وهذا وعد الله لكل من وفى بالعهد، قال تعالى:{وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[الفتح:١٠]، ومن آثار الوفاء بالعهود على المجتمع نشر قيم المودة والرحمة والأمان والاستقرار ، فيسوده الأمنُ والحبُ، وتزول الأحقاد والأضغان ، فما أحوج الإنسانية كلها إلى التخلق بخلق الوفاء بالعهد ليتحقق الخير للناس أجمعين.

الجـــود والكـــرم

من أخلاق الإسلام العالية التي تقرب العبد من قلوب الناس، وتثمر الألفة والمودة والمحبة بينه وبينهم : الجود والكرم، فالجود والكرم يحبب المرء إلى أعدائه ، والبخل يبغضه حتى إلى أولاده، ومادة (ج و د) تدل على كثرة العطاء، لأن الجَوْد (بفتح الجيم) هو المطر الغزير ، والمراد به في الشريعة الإسلامية : العطاء بلا مقابل. أما مادة (ك ر م) فهي ضد اللّؤم ، وتدل على شرف الشيء في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق، والمراد به في الشريعة الإسلامية العطاء عن طيب خاطر بيسر وسهولة، فالجود والكرم هو كثرة العطاء بسماحة وسهولة وسلاسة.

الفرق بينهما: الجَوَاد هو الذي يعطي مع السُّؤال. والكريم: الذي يعطي مِن غير سؤالٍ وقيل: بالعكس. وقيل: الجُود: إفادة ما ينبغي لا لغرضٍ والكَرَم: إيثار الغير بالخير. (الفروق اللغوية بتصرف).

مكانتهما:

١. **الجود والكرم من صفات الحق** (**سبحانه وتعالى**)، وجوده وكرمه سبحانه وتعالى دون حدٍّ أو قيد ، فعن أبي ذرّ (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يَا عِبَادِي إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا

أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ؛ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ) (رواه مسلم).

٢. **الجود والكرم من أعظم أخلاق الأنبياء والمرسلين**، قال تعالى:{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ}[الذاريات:٢٤ـ ٢٧]، فقد وصف الحق سبحانه أضياف إبراهيم (عليه السلام) بأنهم مكرمون؛ وهذا لأن إبراهيم (عليه السلام) عجَّل لهم قِراهم وذبح لهم عجلًا سمينًا ، وأنضجه بالشواء ، ولعظمة كرمه وجوده (عليه السلام) لقب بأبي الضيفان.

وقال سبحانه وتعالى عن موسى (عليه السلام):{وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ}[الدخان:١٧].

ونبينا (صلى الله عليه وسلم) ضرب أعظم الأمثلة في الجود والكرم ،

حيث بلغ مرتبةَ الكمال البشري في حبِّه للعطاء والبذل ، فكان يعطي عطاءَ مَن لا يخشى الفقر ، ثقة في عطاء الله وإيمانًا بفضله ، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: (مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لاَ) (رواه مسلم)، ويؤكد ذلك ما رواه الترمذي عن عائشة (رضي الله عنها) : أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم): (مَا بَقِيَ مِنْهَا ؟ قَالَتْ : مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا ، قَالَ: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا). وعن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَجْوَدَ النَّاسِ...) (متفق عليه).

٣. **الجود والكرم أصل لجميع المحاسن**، قال أحد الحكماء: (أصل المحاسن كلِّها الكَرَمُ، وأصل الكَرَم نزاهةُ النَّفس عن الحرام، وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام، وجميع خصال الخير مِن فروعه) (المستطرف في كل فن مستظرف)، وقال بعض العلماء: (الكَرَم: إنفاق المال الكثير بسهولة من النّفس فى الأمور الجليلة القدر، الكثيرة النّفع ، وقيل: هو التّبرّع بالمعروف قبل السّؤال) (نضرة النعيم).

ولمكانة هذا الخلق الكريم وبيان منزلته أمر به رب العالمين ، وحثَّ عليه سيد المرسلين ، فيقول سبحانه :{وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}، وفي الحديث القدسي: (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ)، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ ، وَإِنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى) .

الأسباب الدافعة والمعينة على الجود والكرم:

١. **الإيمان القوي بالله (عز وجل)**، والثقة في عطائه، وأنه هو الرزّاق، والمعطي، وأن خزائنه ملأى لا تنفد أبدًا، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، (أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا فَوَ اللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ) (رواه مسلم)، فهذا العطاء العظيم من النبي (صلى الله عليه وسلم) نابعٌ من إيمانه القوي بالله (عزّ وجلّ)، وثقته فيه، وتوكله عليه.

٢. **الإحساس بالآخرين والشعور بهم ، فالنفس الطيبة الجوادة بالخير** تحس بالآخرين، وتشعر بآلامهم، وهذا ما كان يتميز به النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى قبل البعثة ، فعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، (أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما نزل عليه أمين الوحي جبريل أول مرة في غار حراء رجع النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى السيدة خديجة (رضي الله عنها) يرتجف فؤاده ، ويقول لها : (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي). فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة (رضي الله عنها) بعد أن أخبرها الخبر: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي). فَقَالَتْ خَدِيجَةُ (رضي الله عنها): كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ...) (متفق عليه).

٣. **النوازل والكوارث التي تنزل بالمجتمع وأفراده**، فعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ

الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ؛ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ) (متفق عليه).

٤. **ما يقوم به الدعاة ، والمصلحون** ، من الترغيب في الجود والكرم ببيان فوائدهما، والتحذير من عدم التحلي بهما.

من صور الجود والكرم:

١. **الجود والكرم بالمال، والطعام** وبكل ما يملكه المرء ، ويتمثل ذلك في البذل والعطاء من مال الله الذي أنعم به علينا واستخلفنا عليه وأمرنا بالإنفاق منه بسماحة نفس وطيب خاطر وسهولة ويسر ، لقضاء حوائج الناس، من إطعام جائع، وكساء عارٍ، وإعانة محتاج ، وغير ذلك ، مما يحقق لهم الكفاية وقضاء الحوائج ابتغاء مرضاة الله (عز وجل)، يقول سبحانه وتعالى:{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}[الإنسان:٨ – ٩] . وتلك هي الصورة الشهيرة للجود والكرم ، والتي جاء فيها أحاديث عدة للنبي (صلى الله عليه وسلم)، فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : (بينما نحن فى سفر مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إذ جاء رجل على راحلة له. قال: فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ). قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل) (رواه

مسلم)، وعن السائب بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: جيء بي إلي النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم فتح مكة ـ جاء بي عثمان بن عفان وزهير (رضي الله عنهما)- فجعلوا يثنون عليه، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لاَ تُعْلِمُونِي بِهِ قَدْ كَانَ صَاحِبِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ) قال: قال: نعم يا رسول الله ، فنعم الصاحب كنت، قال : فقال: يَا سَائِبُ انْظُرْ أَخْلاَقَكَ الَّتِي كُنْتَ تَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَاجْعَلْهَا فِي الإِسْلاَمِ، أَقْرِ الضَّيْفَ، وَأَكْرِمِ الْيَتِيمَ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ) (رواه أحمد).

٢. **الجود والكرم بالعلم والمعرفة**، فقد حذر الحقُّ تبارك وتعالى من كتم العلم وخصوصا العلم الشرعي ، فقال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}[البقرة:١٥٩]، ورغب النبي (صلى الله عليه وسلم) في تناقل العلم وتبلغيه، فعن أبي بكرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) خطب في حجة الوداع فقال: (...أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ) (رواه البخاري)، وعن زيد بن ثابت (رضي الله عنه) أنه خرج من عند مروان (ابن الحكم) نصف النهار، قلنا: ما بعث إليه هذه الساعة إلا لشيء يسأله عنه، فقمنا فسألناه، فقال: نعم، سألنا عن أشياء سمعناها من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ) (رواه الترمذي)، وعن أبي مالك الأشعري (رضي

الله عنه) أنه قال: (يَا مَعْشَرَ الْأَشْعَرِيِّينَ اجْتَمِعُوا وَاجْمَعُوا نِسَاءَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ أُعَلِّمْكُمْ صَلَاةَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الَّتِي صَلَّى لَنَا بِالْمَدِينَةِ...) (رواه أحمد).

٣. **الجود والكرم بالصحة والعافية**، وذلك بالسعي في قضاء حوائج الأخرين، والإصلاح بين الناس، وإماطة الأذى عن الطريق، وإعانة من يحتاج إلى معاونة...إلخ، فعن أبي ذرّ (رضي الله عنه) قال: سألت النبي (صلى الله عليه وسلم): أي العمل أفضل؟. قال: (إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ). قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال: (أَعْلاَهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا). قلت: فإن لم أفعل؟. قال: (تُعِينُ ضَايِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ). قال: فإن لم أفعل؟. قال: (تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ) (متفق عليه واللفظ للبخاري) (أَنْفَسُهَا): التي يرغبها مالكوها أكثر من غيرها. (تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ): تساعد من لا يحسن الصناعة، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) (رواه البخاري).

٤. **الجود بالنفس وبذلها لله تعالى**، ومعناه بذل الجهد في تقديم الخير للآخرين ، والعمل على قضاء مصالحهم وحوائجهم ، وعلى معونتهم ومساعدتهم ، سواء بالكلمة الطيبة أو بتقديم النفس من أجل تحقيق

غاية سامية عظيمة كالإصلاح بين الناس ونشر الخير والدفاع عن الدين والوطن ، فهو صفة الكرماء وشيمة النبلاء ، وهو أرقى درجات الإيثار ، وأنفس أنواع الجود والكرم ، يقول الشاعر :

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها **والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ويقول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنَ اعْتِكَافِهِ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَنِ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَ خَنَادِقَ كُلُّ خَنْدَقٍ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ) (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ)، ومن ثمَّ فإن من أجل وأعظم نعم الله (عز وجل) على الإنسان أن يوفقه ببذل الجهد لقضاء حوائج الناس وإدخال السرور عليهم.

ومن صور الكرم والجود بالنفس: ما يبذله الجندي المرابط على الحدود يدافع عن وطنه وأرضه وأهله وعرضه ، فهو يؤدي واجبًا يثاب عليه بالخير الكثير ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) (رواه البخاري)، وأيضًا يضمن لنفسه الأمان من النار ، لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (رواه الترمذي) ، بل إن كرم الإنسان بنفسه يضمن لنفسه الفلاح في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[آل عمران:٢٠٠].

من فوائد الجود والكرم:

١. نوع من أنواع الصدقة عن النفس، والصحة والعافية.

٢. يحفظ المال من التلف والضياع، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا) (متفق عليه)، وعن أبي ذرّ (رضي الله عنه) قال: انتهيت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رآني قال: (هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ)، قال: فجئت حتى جلست، فلم أتقار (لم يمكنني القرار والثبات) أن قمت، فقلت: يا رسول الله، فداك أبي وأمي، من هم؟. قال: (هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا، إِلَّا مَنْ قَالَ: هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا - مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ، وَلَا بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا نَفِدَتْ أُخْرَاهَا عَادَتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ) (رواه مسلم).

٣. ينمي المال ويزيده ، ويبارك فيه كما تقدم ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ

اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ) (رواه مسلم).

٤. دليل على الزهد في الدنيا.

٥. فيه اتصاف بالأخلاق الكريمة، كالتعاون ، والإحساس بالآخرين، والمشاركة المجتمعية وحل المشكلات (التكافل الإجتماعي) والتطهر من الأنانية، والشّح، وحب التملك...إلخ.

٦. حارس للأعراض، بمعنى أنه يمنع الناس من سبّ الكريم ، والخوض في عرضه، لأن الكريم لا أعداء ، ولا حسّاد له ؛ لقربه من الناس ، فعن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) قال: (الجُود حارس الأعراض) (ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري).

٧. فيه دلالة على الإيمان القوي بالله تعالى، وحسن الظنّ به (سبحانه وتعالى).

حســـن الخلـــق

من الفضائل التي دعا إليها الإسلام ورغَّب فيها وحثَّ على التخلق بها: التحلي بحسن الخلق، كالصبر والحلم والرفق، والصدق والأمانة، والرحمة ، والوفاء ، والكرم ، والحياء ، والتواضع ، والشجاعة ، والعدل والإحسان، وقضاء الحوائج ، وغض البصر ، وكف الأذى ، وطلاقة الوجه وطيب الكلام ، وحسن الظَّن ، وتوقير الكبير ، والإصلاح بين النَّاس، والإيثار، ومُراعاة مشاعر الآخرين ، وغيرها من مكارم الأخلاق.

وقد وردت بذلك نصوص الكتاب والسنة ، ومن ذلك قوله سبحانه آمرًا رسوله (صلى الله عليه وسلم) : {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩]، وقوله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}[البقرة: ٨٣]، وقوله تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاس وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[النساء: ١١٤]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، ومن تأمل آيات القرآن ودقق النظر فيها ظهر له آيات كثيرة تدعو إلى مكارم الأخلاق، ووجوب التحلِّي بها، وما ذلك إلا لكون الأخلاق ميزانًا شرعيًّا يهذِّب الإنسان ، ويرقى به إلى مدارج الكمال.

كما أكدت نصوص السنة النبوية المطهرة على أهمية الأخلاق في حياة الإنسان، مبينة الأجرَ العظيم لمن تخلق بالأخلاق الفاضلة، ومن ذلك قوله (صلَّى الله عليه وسلَّم) : (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ) (رواه مسلم). والبرّ: اسم جامع لأنواع الخير. وقوله (صلَّى الله عليه وسلَّم) : (مَا مِنْ شَيْءٍ

أَثْقَلُ في الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ)، وفي رواية: (مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ) (رواه الترمذي).

ولقد كان (صلى الله عليه وسلم) كثيرًا ما يحثُّ الأمة على مكارم الأخلاق ويرغب فيها ، فمرة يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِكُمْ) (رواه أحمد)، وسئل (صلى الله عليه وسلم) : أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ : (أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)(رواه ابن ماجه)، ولما سُئِلَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عَنْ أَكْثَرِ مَا يدخل الناس الجنة، قَالَ: (تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ) (رواه الترمذي)، ثم جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) مكارم الأخلاق من أسباب محبته ، فقال: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا) (رواه الترمذي).

لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ترجمة حقيقية واقعية ومجسدة لتلك الأخلاق ، ومن هنا وجدنا كتب السير والشمائل تهتم بتخصيص مباحث في دراسة خُلُق النبي (صلى الله عليه وسلم) نظريًّا وعمليًّا، وهذا يُوضِّح مدى المكانة العليَّة للأخلاق في الإسلام.

ولقد ربَّى النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه على مكارم الأخلاق وحسنها، وأمرهم أن يتزينوا بها ويتمسكوا بأحسنها، حين قال لأبي ذر(رضي الله عنه): (اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (رواه الترمذي)، فتعلموا الرفق والعفو

والإحسان، وتخلصوا من العصبية والغضب بالحلم والصفح، كما ضربوا أروع الأمثلة في جمالِ الخلق وحسن المعاملة والعطاء أفرادًا وجماعاتٍ، فلما هاجر الرسول من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وآخى بين المهاجرين والأنصار كان الأنصاري يعرض على أخيه المهاجر أن يشاركه ماله، فالأخلاق الإنسانية تقوم على مبدأ العطاء، وقد أطلعنا القرآن الكريم على نماذج رائعة ليست مقصورة على أفراد معينة، بل أصبحت صفة للمسلمين عامة، قال تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[الحشر: ٩].

لذلك كانوا بهذه الأخلاق سادةَ الأمم، ومحطَّ الأنظار، وموضعَ القدوة، حين كانوا متمسكين بأخلاقِهم السامية، دخل الناس في دين الله أفواجًا لما يرون من حسن المعاملة، وجميل الأخلاق، وحين بدأ الإعراض عن هذا المنهج القويم وساءت أخلاق الناس؛ فُقدت القدوة وضاعت القيم، وتبدلت المفاهيم، وصدق الإمام مالك (رحمه الله) حين قال: (ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها).

فالأخلاق الفاضلة هي التي تعصم المجتمعات من الانحلال، وتصونها من الفوضى والضياع، فسلامة الأمة وقوة بنيانها، وسمو مكانتها وعزة أبنائها، بتمسكها بالأخلاق الفاضلة، كما أن شيوع الانحلال والرذيلة نتيجة لنبذ الأخلاق والأفعال الحميدة.

صَلاحُ أَمرِكَ لِلأَخلاقِ مَرجِعُهُ ... فَقَوِّمِ النَفسَ بِالأَخلاقِ تَستَقِمِ

وَالنَفسُ مِن خَيرِها في خَيرِ ... وَالنَفسُ مِن شَرِّها في مَرتَعٍ وَخِمِ

لذا كان التحذير من انهيار الأخلاق وتردِّيها ، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا) (رواه الحاكم في المستدرك)، والسَّفْسَافُ: الْأَمْرُ الْحَقِيرُ، وَالرَّدِيءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ضِدُّ الْمَعَالِي وَالْمَكَارِمِ.

فبالأخلاق تحيا الأمم وتبقى آثارها خالدة، وبزوالها وانهيارها تنهار الأمم وتسقط، فكم من حضارات انهارت لا بسبب اقتصادها، أو قوتها العسكرية – فحسب–، وإنما بتردي أخلاقها، يقول الشاعر:

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاقُ مَا بَقِيَتْ ** فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمْ ذَهَبُوا

ثم إن العبادات في الإسلام ليست شعائرية فقط ، وإنما هي شعائرية وتعاملية معًا ، فالعبادات التعاملية هي أن يلتزم الإنسان بالأخلاق الحسنة فيكون أمينًا متواضعًا عدلًا ، لا يغش ، لا يخدع ، لا يكون مهملاً...وهكذا، ولذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) بيّن للأمة أن العبادات ليست شعائرية وفقط وإنما شعائرية وتعاملية، ولا تصح الشعائرية بدون التعاملية .

فإن الإسلام ليس طقوسًا جوفاء تؤدى في المسجد ولا علاقة لها بالواقع، فيخرج المصلي بعدها ليغش ويحتكر، ويؤذي جاره، وإنما العبادات شرعت في جميع الأديان لترتقي بالإنسان، وتسمو بأخلاقه، ففريضة الصلاة أبان الله (تعالى) الحكمة من إقامتها، فقال تعالى:{اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ}[العنكبوت: ٤٥]. فالإبتعاد

عـن الرذائـل، والتطهـر مـن سـوء القـول والعمـل، هـو حقيقـة الصـلاة ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيِ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم): (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي، وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي، وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِي، وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي، وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ، وَابن السَّبِيلِ وَالأَرْمَلَةَ، وَرَحِمَ الْمُصَابَ)(رواه البزار)، وعن ابن مسعود (رضي الله عنه): (مَنْ لَمْ تَأْمُرْهُ صَلَاتُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا) (رواه الطبراني بإسناد صحيح).فالذي لا تأمره صلاته بالبعد عن الرذائل من القول والعمل، فإن صلاته لم تُحقق مقصداً من أهم مقاصدها.

وكذلك الزكاة، والصيام، والحج، وسائر العبادات، شرعت كلها لتزكية النفس، والارتقاء بها إلى مكارم الأخلاق، فقال تعالى عن الزكاة: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[التوبة: ١٠٣]، ومن أجل ذلك وسَّع النبي (صلى الله عليه وسلم) في دلالة كلمة الصدقة التي ينبغي أن يبذلها المسلم، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم): (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ تُكْتَبُ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الشَّوْكَةَ وَالْحَجَرَ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الضَّالَّ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) (رواه البزار).

وفريضة الصوم عبادة من العبادات التي فرضها الله على عباده

من أجل تحقيق التقوى، فالثمرة والغاية التي يريدها ربنا سبحانه من الصيام هي تقوى الله (عز وجل)،قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[البقرة: ١٨٣]. فمن خلال الصيام تتقوى إرادة المسلم، ويتعود على ضبط أخلاقه وشهواته، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ) (رواه البخاري).أي ينبغي أن يعصمه صومه عن الأخلاق السيئة وعن الرذائل ، فالصوم لابد وأن يؤثر في سلوك المسلم ويهذب أخلاقه.

وقال تعالى عن فريضة الحج: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ}[البقرة: ١٩٧]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) (رواه مسلم).

فالعبادة لابد وأن تترك أثرًا إيجابيًّا يعود على الفرد والمجتمع ، فإذا لم تؤثر هذه العبادة في خلق الإنسان وتهذيب سلوكه فلا قيمة لها ولا ثمرة لها في الآخرة ، لأن سوء الخلق يأكل تلك العبادات وتلك الحسنات كما تأكل النار الحطب ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ) ؟ قَالُوا:

الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، قَالَ: (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) (رواه الترمذي)، ولما سأل رجلٌ رسولَ الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: (هِيَ فِي النَّارِ)، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: (هِيَ فِي الْجَنَّةِ) (رواه أحمد).

إن مكارم الأخلاق ليست قاصرةً على الفرد فقط، فهناك الأخلاق الفردية التي يلتزم بها الفرد من الأوامر والنواهي...إلخ، والأخلاق الأسرية بين الزوجين، وبين الأبناء والآباء، والأقارب والأرحام...إلخ، والأخلاق الاجتماعية داخل المجتمع في البيع والشراء والجوار والعمل ..إلخ ، والأخلاق الدولية بين الدول وبعضها، وأخلاق الحرب والسلم.

ومن الأمور التي تساعد العبد على حسن الخلق:

- الإخلاص لله تعالى. - الدعاء بحسن الخلق.
- مجاهدة النفس وشهواتها. - محاسبة النفس دائما.
- النظر إلى مآلات سوء الخلق وما يجره على الفرد والمجتمع من مفاسد.

التقـــوى

تقوى الله تعالى هي طريق الفلاح وعنوانه ، ووصية الله تعالى للأولين والآخرين ، ودعوة كل نبي إلى قومه ، وصفة من صفات المؤمنين، وفضيلة يجب على كل مسلم أن يتحلى بها طاعةً لله تعالى، وبناءً لمجتمع قوي متماسك ، بها تستقيم الحياة وتنصلح العلاقات بين أفراد المجتمع ، وتقوى الروابط بين الناس.

والتقوى دليل الإيمان وكماله في القلب وثمرته ، بها يعرف المؤمنون ، قال تعالى: { ... قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة:١١٢]. جمع الله تعالى بين التقوى والإيمان للفوز بولايته تعالى الخاصة بالمتقين دون غيرهم ، قال تعالى:{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}[يونس:٦٢-٦٣].

حقيقة التقوى:

وحقيقة التقوى: أن يعلم الإنسان أن الأمور كلها بيد اللّه تعالى ، فيعمل بطاعةِ اللهِ ، ويستحضر عظمته تعالى بامتثالِ أوامره ، واجتناب نواهيه والتورع عن الشبهات ، وعدم الإصرار على المعصية ، فيجعلَ الإنسان بينَهُ وبين ما حرّم الإسلام حاجبًا وحاجزًا ، وبينَ عذابِ اللهِ تعالى سِترًا ووقايةً ، فهي كلمة جامعة حقيقتها الإيمان بالله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) والعمل بشريعته.

وقد بيَّن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن التقوى محلها القلب ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) :

(لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)(صحيح مسلم). كما بيَّن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن العمل الصالح وحسن الخلق يحققان تقوى الله تعالى في القلوب ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (سنن الترمذي).

وتتحقق التقوى بحفظ الإنسان لجوارحه عما حرم الله ورسوله، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) فَقُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِي قَالَ:(لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) (رواه الحاكم).

التقوى في القرآن الكريم: وردت التقوى في القرآن الكريم بمعانٍ مختلفة ، منها : الطاعة، والعبادة، والخوف، والمراقبة، والإيمان، قال تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ

وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:١]، وقال تعالى:{...أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ}[النحل : ٢]. وقال سبحانه:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[الأعراف : ٩٦].

كما ورد ذكر التقوى في القرآن الكريم بصور متنوعة ، فتارة تأتي بصيغة وصية الله تعالى بها ، وتارة يأمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين أن يتحلوا بها في أقوالهم وأفعالهم، وتارة يمدح الله أهلها ، ويذكر صفاتهم ، ويبين ما أعده لهم من منزلة عظيمة.

فهي وصية الله للأولين والآخرين ، كما في قوله تعالى :{وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ}[النساء:١٣١]. فقد اتفقت دعوة جميع الأنبياء والمرسلين على الأمر بالتوحيد والعبادة والتقوى... قال تعالى عن نبي الله نوح (عليه السلام) :{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ}[المؤمنون:٢٣]، وقوله تعالى:{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}[الشعراء: ١٠٦ـ ١٠٨]. وقال تعالى عن نبي الله هود (عليه السلام) :{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ}[الأعراف:٦٥]، وقوله تعالى:{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}[الشعراء : ١٢٤ـ١٢٦].

وقال تعالى عن نبي الله صالح (عليه السلام):{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ

صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}[الشعراء: ١٤٤.١٤٢]. وقال تعالى عن نبي الله لوط (عليه السلام) :{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [الشعراء: ١٦١.١٦٣] .

وقال تعالى عن نبي الله شعيب (عليه السلام):{إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}[الشعراء: ١٧٧.١٧٩].

بل أمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) بالتقوى بصفة خاصة فقال سبحانه:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}[الأحزاب:١]. وأمر المؤمنين بها بصفة عامة في أمور دينهم ودنياهم من عبادات ومعاملات...إلخ ، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}[التوبة: ١١٩].

وقد بيَّن الله (عزّ وجلّ) ما أعده للمتقين من نعيم دائم بفضل طاعتهم لله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ، في قوله تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}[الدخان:٥١.٥٤]، وقوله عز وجل: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ* وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}[الذاريات: ١٥.١٩].

الترغيب في التقوى :

لقد رغَّب الله تعالى في التقوى بمرغبات كثيرة تعمل على تربية النفوس وتقويمها وإصلاح أمرها ، منها :

أولاً : الفوز بمحبة الله تعالى ومعيتهِ للمتقين ، قال تعالى:{بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}[آل عمران:٧٦] ، وقال عز وجل: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}[البقرة:١٩٤] .

ثانياً: المتقون هم أهل الكرامة والرفعة والمكانة العالية في الدنيا والآخرة ، قال تعالى:{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات:١٣].

ثالثاً: التقوى تورث صاحبها الجنة (دار المتقين)، قال تعالى:{وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ*جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ] [النحل:٣٠،٣١]، وقال تعالى:{لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ}[الزمر:٢٠]. وقال تعالى:{تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا}[مريم:٦٣].

رابعاً: التقوى تيسر الرزق الحلال ، وتفرج الكروب ، وتذهب متاعب الحياة وأزماتها ، قال تعالى:{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}[الطلاق: ٢،٣] .

خامساً: التقوى تيسر تحصيل العلم النافع ، قال تعالى:{واتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}[البقرة: ٢٨٢].

سادساً: **التقوى تجلب الرحمات والبركات من الأرض والسماوات** ، قال تعالى:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}[الأعراف: ٩٦].

سابعاً: **التقوى سبب في حفظ الذريةِ بعد الموت** ، قال تعالى:{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا}[النساء: ٩].

ثامناً: **بالتقوى تتحقق النجاة في الدنيا والآخرة** ، قال تعالى:{وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[الزمر:٦١].

تاسعاً: **بالتقوى يكفر الله تعالى السيئات**، **ويرفع الدرجات**، قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا}[الطلاق:٥].

عاشراً: **التقوى خير زاد يحقق سعادة الإنسان**، قال تعالى:{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}[البقرة:١٩٧]، وكتبَ عُمَرُ إلى ابنِهِ عبدِ اللهِ : أمَّا بعدُ ، فإني أوصيك بتقوى اللَّهِ (عزَّ وجلَّ)، فإنَّه من اتَّقاه وقاهُ، ومنْ أقرضَهُ جزاه ، ومنْ شكرهُ زاده ، فاجعلِ التَّقوى نصبَ عينيك وجلاء قلبك) (تفسير ابن رجب الحنبلي).

أثر التقوى في سلوك المتقين:

لتقوى الله تعالى أثرٌ كبير في نفوس المتقين وقلوبهم ، فهي تنير القلب والبصيرة، وتصون الإنسان وتحجبه عن معصية الله تعالى، وتجعله مراقبًا لله (عز وجل) في السر والعلن ، فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَر (رضي الله عنهما) بِرَاعِي غَنَمٍ فَقَالَ: يَا رَاعِيَ الْغَنَمِ، هَلْ مِنْ جَزْرَةٍ؟ فَقَالَ الرَّاعِي: لَيْسَ هَاهُنَا رَبُّهَا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: تَقُولُ لَهُ : أَكَلَهَا الذِّئْبُ فَرَفَعُ

الرَّاعِي رَأسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: فَأَيْنَ اللهُ؟، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَنَا وَاللهِ أَحَقُّ أَنْ أَقُولَ : فَأَيْنَ اللهُ ، فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِي وَاشْتَرَى الْغَنَمَ ، فَأَعْتَقَهُ وَأَعْطَاهُ الْغَنَمَ) (الجامع الصحيح للسنن والمسانيد).

كما أنها تحقق المهابة أمام الأعداء ، فعن جَابِر بن عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ) (رواه البخاري).

فتقوى الله تعالى هي القيادة الحقيقية للمجتمع الإسلامي ، بها يتحقق رغد العيش وتمام الصحة والعافية ، قال تعالى:{لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}[إبراهيم:٧]، وشكر الله تعالى دليل على تقواه.

الإيثـــــــار

الإيثـارُ خُلـقٌ عظـيمٌ مِـنْ أخـلاقِ الإسـلامِ ، وصـفة كريمـة يتميَّـزُ بهـا المسلم عـن غـيره مـن النـاسِ ، وهـوَ مـن أسمـى صـور الرُّقِـيِّ الأخلاقِـيِّ، والكمـالِ الإنسـانِيِّ، فمِـنْ خلالِـهِ يسـتطيعُ المـؤمنُ أَنْ ينتصر علـى نفسـه، ويتغلَّبُ عَلَى هواهُ طاعـةً للهِ تعالَى، وهـو مرتبـة عاليـة مِـن مراتـب البـذل والسخاء، ومنزلة عظيمة من منازل العطاء.

والإيثار: مصدر " آثر يُـؤْثِر إيثَارًا "، بمعنى: التَّقديم والاختيار والاختصاص ، فآثره إيثارًا : اختاره وفضله ، ويقال: آثره على نفسه ، والشيء بالشيء خصَّه به، ويقصد (بالإيثار) : أن يقدم الإنسان غيره ويفضله على نفسه فيما يحب ، وقال ابن مسكويه: (الإيثار : هو فضيلة للنفس بها يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذله لمن يستحقه) (تهذيب الأخلاق لابن مسكويه).

وهو ضد (الأثرة) والتي يقصد بها حبُّ الذات والأنانية ، والـتي نهانـا عنها النبي (صلى الله عليه وسلم)، فعَنْ هِشَامٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِلْأَنْصَارِ: (إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً؛ فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، وَمَوْعِدُكُمْ الْحَوْضُ) (متفق عليه).

الفرق بين الإيثار ، والسخاء ، والجود:

ذكر ابن القيم (رحمه الله) فروقًا بين كل من السخاء والجود والإيثار، مع أنها كلها أفعال بذل وعطاء ، فقال رحمه الله : " وهذا المنزل: هو

منزل الجود والسخاء والإحسان ، وسمي بمنزل الإيثار لأنه أعلى مراتبه ، فإن المراتب ثلاثة:

إحداها: أن لا ينقصه البذل ولا يصعب عليه فهو منزلة السخاء.

الثانية: أن يعطي الأكثر ويبقي له شيئا أو يبقى مثل ما أعطى فهو الجود.

الثالثة : أن يؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه وهي مرتبة الإيثار (مدارج السالكين).

وإذا نظرنا إلى هذا الخلق النبيل وجدنا أنه خلق من أخلاق سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، حيث قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها): (لَوْ شِئْنَا أَنْ نَشْبَعَ شَبِعْنَا ، وَلَكِنَّ مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ)، فكان (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُؤثِرُ غيره علَى نفسِهِ وعلَى أهْلِ بيتِهِ معَ شدةِ حاجتِهِمْ .

وها هو (صلى الله عليه وسلم) تأتيه امرأة بِبُرْدَةٍ ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْسُوكَ هَذِهِ. فَأَخَذَهَا النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَلَبِسَهَا، فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ هَذِهِ فَأَكْسُنِيهَا ، فَقَالَ: (نَعَمْ)، فَلَمَّا قَامَ النبي (صلى الله عليه وسلم)لاَمَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا : مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لاَ يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا). فكان (صلى الله عليه وسلم) يؤثر غيره على نفسه في

كل الأحوال .

ثم دعا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أصحابه إلى التحلي بخلق الإيثـار ليكون واقعًا سلوكيًّا وعمليًّا في حياتهم ، وذلك بمخالفة النفس ومقاومة الأنانية وحب الذات ، حيث قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ).

وقد مدح الله سبحانه وتعالى الصحابةَ الأولين من الأنصار على ما بذلوه من عطاء وسخاء، في صورة يعجز عن وصفها اللِّسان ، ويضعف عن التعبير عنها البيان ، تجاه إخوانهم المهاجرين (رضي الله عنهم جميعًا) حين قدموا المدينة مهاجرين إلى الله ورسوله ، حتى قال تعالى في شأنهم:{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[الحشر:٩]، فقد بيَّن سبحانه في هذه الآية أن الذي حمل الأنصار على التضحية التي وصلت إلى حد البذل والإيثار، إنما هو الإيمان النابع من سلامة الصدر والذي أثمر المحبة والمودة وما تلاه من بذل وإيثار.

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية : أن أَبا هُرَيْرَة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَنِي الْجَهْدُ فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ ؟ فَقَامَ

رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لَا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا ، قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ ، وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلَتْ ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) : {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}(رواه البخاري).

وإذا كان الأنصار قد ضربوا أمثلة في البذل والإيثار ، فقد ضرب المهاجرون أمثلة في العفة وعزة النفس ، فعَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ المَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ، فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، فَرَآهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَهْيَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: (فَمَا سُقْتَ فِيهَا؟) فَقَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ) فدل هذا على مدى عظم الأنصار وإيثارهم، ومدى عظم المهاجرين وعفتهم.

ولقد ضرب الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) أروع الأمثلة في تحقيق هذا الخلق العظيم وبذل الخير للغير رغم الحاجة إليه ، فصار هذا

الخلق سجية لهم ، فعن أَبِي هُرَيْرَة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: (مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟)، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَقَالَ: (قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ).

فقمة الإيثار أن يحب الإنسان لأخيه أكثر مما يحب لنفسه ، وأن يفضل منافع الغير ويقدمها على منافعه رغبة في إرضاء الله (عز وجل) وطمعًا في ثوابه ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: (أُهْدِيَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَأْسُ شَاةٍ ، فَقَالَ: إِنَّ أَخِي فُلَانًا وَعِيَالَهُ أَحْوَجُ إِلَى هَذَا مِنَّا ، قَالَ: فَبَعَثَه إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ بِهِ وَاحِدٌ إِلَى آخَرَ حَتَّى تَدَاوَلَتْهَا سَبْعَةُ أَبْيَاتٍ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى الْأَوَّلِ.

نماذج من الإيثار:

١. أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) تضرب لنا مثلاً في الإيثار بشيءٍ كانت تتمناه لنفسها ، فعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ اذْهَبْ إِلَى

أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) فَقُلْ: يَقْرَأُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيْكِ السَّلَامَ، ثُمَّ سَلْهَا أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيَّ، قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، فَلَأُوثِرَنَّهُ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَهُ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: أَذِنَتْ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَضْجَعِ، فَإِذَا قُبِضْتُ فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمُوا، ثُمَّ قُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَادْفِنُونِي، وَإِلَّا فَرُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ) (رواه البخاري).

٢. وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أيضًا: أنه اشتهى يومًا سمكةً، وكان قد نَقِهَ مِن مرضٍ فالتُمِسَت بالمدينة ، فلم توجد حتى وُجِدَت بعد مُدَّةٍ، واشْتُرِيَت بِدرهم ونصفٍ، فشُوِيَت وجيء بها على رغيف، فقام سائلٌ بالباب، فقال ابن عمر للغلام: (لفَّها برغيفها، وادفعها إليه ، فأبى الغلام، فردَّه وأمره بدفعها إليه ، ثمَّ جاء بها فوضعها بين يديه ، وقال: كُلْ هنيئًا يا أبا عبد الرَّحمن ، فقد أعطيته درهمًا وأخذتها، فقال: لفَّها وادفعها إليه، ولا تأخذ منه الدِّرهم) (رواه ابن عساكر).

٣. وعن حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ (رضي الله عنه) أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، وَعِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ارْتَأَوْا يَوْمَ الْيَرْمُوكِ، فَدَعَا الْحَارِثُ بِمَاءٍ لِيَشْرَبَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عِكْرِمَةُ، فَقَالَ الْحَارِثُ: ادْفَعُوهُ إِلَى عِكْرِمَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ: ادْفَعُوهُ إِلَى عَيَّاشٍ، فَمَا وَصَلَ إِلَى عَيَّاشٍ وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ حَتَّى مَاتُوا وَمَا ذَاقُوهُ) (رواه الحاكم في المستدرك).

٤. وهذا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يكشف لنا عن بعض السجايا التى كان عليها بعض أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فعنْ مَالِكِ الدَّارِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَخَذَ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي صُرَّةٍ ، ثُمَّ قَالَ لِلْغُلَامِ: اذْهَبْ بِهَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، ثُمَّ تَلَّهَ سَاعَةً فِي الْبَيْتِ حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ ، فَذَهَبَ بِهَا الْغُلَامُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَوَائِجِكَ، فَقَالَ: وَصَلَهُ اللَّهُ وَرَحِمَهُ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَيْ يَا جَارِيَةُ، اذْهَبِي بِهَذِهِ السَّبْعَةِ إِلَى فُلَانٍ، وَبِهَذِهِ الْخَمْسَةِ إِلَى فُلَانٍ، حَتَّى أَنْفَدَهَا، فَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَخْبَرَهُ، وَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَهَا لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ بِهَا إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، ثُمَّ تَلَّهَ فِي الْبَيْتِ سَاعَةً حَتَّى تَنْظُرَ إِلَى مَا يَصْنَعُ، فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: اجْعَلْ هَذَا فِي حَاجَتِكَ، فَقَالَ: وَصَلَهُ وَرَحِمَهُ، تَعَالَيْ يَا جَارِيَةُ، اذْهَبِي إِلَى فُلَانٍ بِكَذَا، وَإِلَى بَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا، وَإِلَى بَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا، فَاطَّلَعَتِ امْرَأَةُ مُعَاذٍ، فَقَالَتْ: وَنَحْنُ وَاللَّهِ مَسَاكِينُ، فَأَعْطِنَا، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْخِرْقَةِ إِلَّا دِينَارَانِ، فَدَحَا بِهِمَا، فَرَجَعَ الْغُلَامُ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ؛ فَسُرَّ بِذَلِكَ عُمَرُ،وَقَالَ: إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ) (رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية).

ثمرات الإيثار :

وللإيثار ثمرات عظيمة تعود بالخير والنفع على الفرد والمجتمع ، منها : أنه يجلب لصاحبه محبّة الناس ، ويُذهبُ عنه حقدهم وحسدهم ، ويزيده رفعة ومنزلة في الدنيا والآخرة ، فإن القلوب جبلت على حب

من أحسن إليها وتعظيم من يؤثرها ، مع ما يجلبه الإيثار من البركة في المال والولد ، فضلاً عما يجده صاحبه من الثواب الكبير والأجر العظيم والخير العَمِيم في الآخرة ، قال تعالى: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا}[الإنسان: ٦-٩]، ويقول سبحانه:{وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْرًا}[المزمل: ٢٠].

ومنها: أنه يسهم في تحسين العلاقات والروابط الإنسانية ، ويحافظ على تماسك الأفراد والمجتمعات ، فيتحقق التواد والتراحم والتآلف وغيرها من المعاني النبيلة التي تسهم في تقدم الشعوب وتحضرها.

أمور تعين العبد على الإيثار:

١. تقوى الله سبحانه وتعالى وحسن الظن به.

٢. التقرب إلى الله سبحانه وتعالى دائما بكل أنواع القرب والطاعات .

٣. كثرة الدعاء بالتوفيق لطاعته، وحسن عبادته وأن يحببه الله في الإيمان وفي الصفات الحميدة ليتحلى بها ، وأن يبغضه في المعاصي والذنوب والصفات الدنيئة ليجتنبها.

٤. محاولة البعد عن المجتمع المعروف بالشح والأثرة ، والتحول إلى مجتمع معروف بالجود والسخاء والإيثار وغيرها من جميل الصفات ، فإن مثل ذلك يحمل على الاقتداء والتأسي ، أو على الأقل المحاكاة والتشبه.

٥. محاولة التخلص من داء الاستعلاء والتكبر في الأرض بغير الحق ، وغرس خلق المحبة والود والتعاطف بين المسلم وأخيه المسلم، وذلك تطبيقاً فعلياً لهدي النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ(رضي الله عنه) قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) (رواه أحمد).

٦. تطهير القلب من الأحقاد والضغائن .

٧. معرفة نماذج لبعض من عرفوا بالإيثار وقراءة سيرهم وكيف كان إيثارهم وها نحن نسوق بعض مواقف للسلف الصالح (رضي الله عنهم) التي ربما نستشرف لها لنسير على دربهم ونقتدي بهم.

البـــر

البِـرُّ من الأخلاق التي تورث الطمأنينة في القلوب ، والألفة والمحبة بين الناس ، إنه خلق يمثل منهج حياة إنسانيَّة كريمة فاضلة ، فالإنسان البارّ هو الذي ارتقى بمداركه العقلانية ، ومشاعره الوجدانية ، والتوجيهات الربانية إلى مستوى التكريم الإلهي الذي أراده الله (عز وجل) للإنسان بقوله: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}[الإسراء: ٧٠].

والْبَرُّ (بفتح الباء) : اسم من أسماء الله (عزّ وجلّ) ، قال تعالى :{إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ}[الطور:٢٧]، قال ابن عباس (رضي الله عنه): (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ) يعني: اللطيف بعباده) (تفسير الطبري).

والبِرُّ (بكسر الباء) : اسم جامع للخير كله فيشمل الإيمان والتقوى والطاعة ومكارم الأخلاق . فهو لفظ جامع لكل ما يُطلب من المسلم ، من كلام لين، وخلق حسن يجمع القلوب والعقول ويؤلف بينها، فهو يشمل جميع أفعال الخير وأقواله التي تُطمئن النفوس والقلوب، وتَطمئن إليها النفوس والقلوب ، ومعاملة الخلق بمحاسن الأخلاق والإحسان إليهم وصلتهم بما أمر الله (تعالى) به ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ، وإدخال السرور عليهم وتفريج كروبهم ، فعَنْ نَوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ (رضي الله عنه) قَالَ: أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِالْمَدِينَةِ سَنَةً مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَّا الْمَسْأَلَةُ ، كَانَ أَحَدُنَا إِذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنْ شَيْءٍ ، قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ،

وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) (رواه مسلم)، ففي قوله (صلى الله عليه وسلم): (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ) تأكيد على أن البرَّ وحسنَ الخلق متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، و قد أشار الحق تبارك وتعالى إلى معنى البر بقوله سبحانه:{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}[البقرة:١٧٧].

كما أشار النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى معنى البر في أكثر من موضع منها : ما جاء عَنْ وَابِصَةَ الأَسَدِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ لَا أَدَعَ شَيْئًا مِنَ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَفْتُونَهُ ، فَجَعَلْتُ أَتَخَطَّاهُمْ، فَقَالُوا: إِلَيْكَ يَا وَابِصَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقُلْتُ: دَعُونِي فَأَدْنُوَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ أَدْنُوَ مِنْهُ قَالَ: (دَعُوا وَابِصَةَ ، ادْنُ يَا وَابِصَةُ) مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ : (يَا وَابِصَةُ أُخْبِرُكَ أَمْ تَسْأَلُنِي؟)، قُلْتُ: لَا، بَلْ أَخْبِرْنِي، فَقَالَ: (جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ)، فَقَالَ: نَعَمْ ، فَجَمَعَ أَنَامِلَهُ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِنَّ فِي صَدْرِي ، وَيَقُولُ: (يَا وَابِصَةُ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، (الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ

وَأَفْتَوْكَ) (رواه أحمد).

أنواع البر : للبر نوعان :

النوع الأول: برّ الإنسان مع ربه ويكون بالإيمان بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله ، وامتثال أمره ونهيه ، وتعظيم شعائره ، والاحتكام إلى شرعه قال تعالى:{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}[البقرة:١٧٧].

النوع الثاني: بر الإنسان مع جيرانه وأهله وجميع الخلق ، وهو نوعان: مادي، ومعنوي؛ ويكون بطيب الكلام، والتعاون والتودد بجميل القول والفعل ، وبذل المال فيما شرع الله تعالى وأمر ؛ تحقيقا لمجتمع متكافل يُعرف بحب الخير والإصلاح بين الناس، وحسن معاملتهم والإحسان إليهم وهذا دليل على حسن الخلق ورقّة الطّبع ، وهذا ما أكد عليه النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بقوله : (الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) (صحيح مسلم) ، وحسن الخلق لا يكون إلا بحفظ اللسان والجوارح، وكفّ الأذى بأنواعه والتخلق بأخلاق الإسلام، والتأدب بآدابه والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

وقد ورد لفظ البر في القرآن الكريم في مواضع عديدة ، تدور حول معاني الخير والعمل الصالح المتمثل في إقامة العدل والتخلق بحسن الخلق، وتؤكد على علاقته بالإيمان، قال سبحانه:{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[البقرة:٤٤].

ومن خلال ما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يتضح أن البر جاء على عدة معانٍ:

١. تارة يطلق لفظ البر ويراد به التقوى التي تشير إلى طاعة الله (تعالى) ومراقبته في السر والعلن ، وفعل الخيرات وترك المنكرات ، قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[البقرة:١٨٩]، وقوله تعالى:{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}[البقرة:١٧٧]، وقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}[المجادلة:٩]، في هذه الآية حذّر الإسلام من التناجي بما فيه إثم ومعصية لله والرسول ، وأمَر بالتناجي بالبر والتقوى، وجمع الله (عزّ وجلّ)

بينهما في قوله تعالى:{وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى} تطهيرًا للنفوس، وتصحيحًا للمفاهيم الخاطئة ، وتحقيقًا للتكافل والترابط والمحبة ، فالتزام التقوى فيه رِضَا الله ، والتزام البر فيه رضا الناس ، والسعيد هو من جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس.

٢. وتارة يجئ لفظ البر مقترنًا بلفظ الإيمان مشيرًا إلى معناه ، وأركانه قال تعالى:{وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}[البقرة:١٧٧].

٣. كما جاء البرُّ مقترنًا بأركان الإسلام ، وسائر الأعمال التي تقرب العبد من ربه (عز وجل) ، قال تعالى:{وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}[البقرة : ١٧٧].

ومما ورد في الأثر أن رَجُلاً جاء إِلَى أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه) فَسَأَلَهُ عَنِ الْإِيمَانِ ، فَقَرَأَ:{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} إِلَى قَوْلِهِ :{أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} قَالَ الرَّجُلُ: لَيْسَ عَنِ الْبِرِّ سَأَلْتُكَ ، فَقَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَسَأَلَهُ عَنِ الَّذِي سَأَلْتَنِي عَنْهُ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الَّذِي قَرَأْتُ عَلَيْكَ ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي قُلْتَ لِي ، فَلَمَّا أَبَى أَنْ يَرْضَى قَالَ لَهُ : (إِنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي إِذَا عَمِلَ الْحَسَنَةَ سَرَّتْهُ ، وَرَجَا ثَوَابَهَا ، وَإِذَا

عَمِلَ السَّيِّئَةَ سَاءَتْهُ وَخَافَ عِقَابَهَا) (تعظيم قدر الصلاة).

٤. وتارة يجئ لفظ البرِّ بمعنى طاعة الوالدين ورعاية حقوقهما قبل الوفاة وبعد الوفاة ، قال تعالى:{وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا}[مريم:١٤]، وقوله تعالى:{وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا}[مريم:٣٢].

٥. وتارة يجئ لفظ البر مقترنًا بالقسط (العدل)، وحسن المعاملة للمسلم وغير المسلم، قال تعالى:{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[الممتحنة:٨،٩]، فاللهُ تعالى أمر بحسن المعاملة والصلة للمسلمين ولغير المسلمين شريطة عدم الإساءة للدين أو المعتقدات ، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قُلْتُ:{إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: (نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ) (رواه البخاري).

٦. كما جاء لفظ البر في القرآن الكريم مقترنًا بلفظ الإصلاح بين الناس وتصديق الأيمان ، قال تعالى:{وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[البقرة:٢٢٤].

٧. وجاء لفظ البر في القرآن الكريم يشير إلى أنه صفة من صفات ملائكة الرحمن، قال تعالى:{فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ

* كِرَامٍ بَرَرَةٍ}[عبس:١٣-١٦] .

٨. وتارة يجئ لفظ البرِّ في القرآن بمعنى الجنة ، قال تعالى:{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}[آل عمران:٩٢]، بينت الآية أنه لن تدخلوا الجنة أو تفوزوا بها إلا إذا أنفقتم من كل نفيسٍ وغالٍ محبب إلى نفوسكم ، وكان السَّلف الصالح (رضي الله عنهم) أحرص الناس على تطبيق ذلك ، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يَقُولُ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ ، قَالَ أَنَسٌ : فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}[آل عمران:٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ:{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (بخْ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ) فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ) (رواه البخاري).

ولقد رغب القرآن الكريم في البر بمرغبات عديدة ، منها:

ما أعده الله تعالى من منزلة عالية للأبرار الذين صدّقوا الله ورسوله

بأداء الفرائض واجتناب المنهيات ، قال تعالى:{لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ}[آل عمران: ١٩٨].

والجنة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فعن أَبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (قَالَ اللهُ تَعَالَى: أعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَاقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ:{فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[السجدة:١٧] (متفق عَلَيْهِ)، وقوله تعالى:{إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا*عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا...}[الإنسان:٥-٢٢]، وقوله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ*خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ*عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ}[المطففين: ٢٢ -٢٨].

وللفوز بهذه المنزلة العالية نجد أن أهل الإيمان يدعون ربهم أن يتوفاهم مع الأبرار ، قال تعالى:{رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ}[آل عمران:١٩٣] .

ثمرات البر: للبر ثمرات عظيمة متنوعة ، منها :

أولا : أن البر يحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، كما أنه السبيل

للفوز بالجنة والنجاة من النار ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا) (متفق عليه).

ثانيا : أن البر سبب في طول العمر وبركته ، فعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ ، وَلاَ يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ ، وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلاَّ الْبِرُّ) (رواه أحمد).

ثالثا: أن البر يحقق محبة الناس وترابطهم، واطمئنان أنفسهم ، فعَنْ وَابِصَةَ الْأَسَدِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)... فقال: (الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ) (رواه أحمد) .

رابعا: أن البر دليل على حسن الخلق به تُهذب الأخلاق ، ويتعاون الأهل والجيران وتُوصل الأرحام، وتُصان الحقوق وتُؤدى الواجبات، كما أنه يحقق التقدم والاستقرار والأمن والأمان.

المـــراقبـــــة

المراقبة خلق جليل وحال عظيم ، وشرط من شروط كمال الإيمان ، يتحلى بها سعداء المؤمنين الذين كمل إيمانهم وتحقق بالله يقينهم. وهي تعني: دوام علم العبد وتيقّنه باطّلاع الحقّ سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه. (مدارج السالكين) .

والمراقبة حالة للقلب يثمرها العلم الجازم بأن الله أحاط علمه بكل معلوم لا يعزب عنه شيء ، وتثمر تلك الحالة أعمالاً في القلب من إحسان ومراقبة ، وفي الجوارح من إتقان وتجويد ، فالله مطّلعٌ على الضّمائر ، عالمٌ بالسّرائر ، وعلمه سبحانه وتعالى تامٌ محيطٌ بجميع الأشياء جليلُها وحقيرُها صغيرُها وكبيرُها ، رقيبٌ على أعمال العباد ، قائم على كلّ نفس بما كسبت ، وأنّ سرّ القلب في حقّه سبحانه وتعالى مكشوف ، فليستح المسلم من الله حق الحياء ، وليراقبه مراقبة من يعلم أنه يراه ، وليستحضر معيته (سبحانه وتعالى) في السر والعلن ، يقول تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[المجادلة: ٧].

المراقبة في القرآن الكريم:

لقد ورد الحديث عن مقام المراقبة في القرآن الكريم في آيات كثيرة ومواضع متعددة وأساليب متنوعة ، منها :

 إخباره سبحانه وتعالى عن عموم مشاهدته ، واطلاعه على جميع أحوال العباد في حركاتهم وسكناتهم ، وفي هذا دعوة لمراقبته سبحانه على الدوام ، فقال:{وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[يونس:٦١].

 إخباره سبحانه وتعالى بعلمه خائنة الأعين ، أي: مسارقتها النظر إلى ما حرم الله (عزّ وجلّ) وما تخفي القلوب ، قال تعالى:{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}[غافر:١٩]، وفيه تذكير باطلاعه على صغائر الذنوب فكيف بالكبائر؟!! وهو تعالى يعلم البواطن!!

 كذلك أخبر ربنا سبحانه وتعالى أنه مع خلقه لا يحجبه مكان ، ولا يخفى عليه شأن ، مطلع عليهم ومجازيهم بأعمالهم ، قال تعالى:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[الحديد: ٤]، وهذه المعية، معية العلم والاطلاع ، ولهذا توعد ووعد على المجازاة بالأعمال بقوله: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، أي: هو تعالى بصير بما يصدر منكم من الأعمال فمجازيكم عليها وحافظها عليكم.

 وأخبر (عزّ وجلّ) أنه يرصد أعمال العباد لَا يَفُوتُهُ منها شيء حَتَّى يُجَازِيَهُم بِهِا ، قال تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}[الفجر:١٤]، فليعلم العبد أن الله تعالى ناظر إليه ، مطلع عليه ، ولله درّ الشّاعر:

إذا ما خلوت الدّهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبنّ الله يغفل ساعة ... ولا أنّ ما تخفيه عنه يغيب

ألم تر أنّ اليوم أسرع ذاهب ... وأنّ غدًا للنّاظرين قريب

والمراقبةُ والإحسانُ قريبان في المعنى ففي كل منهما استحضار لعظمة الله (عزّ وجلّ)، وهو ما عبر عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث جبريل (عليه السلام) حين قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسانِ؟ قال: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّه كَأَنَّكَ تَراهُ ، فإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإِنَّهُ يَراكَ ...) (رواه مسلم)، فلسانُ حالِ العبدِ المراقب لله (عزّ وجلّ):" الله ناظر إليَّ، الله مطلع عليَّ" ، وفي حديث مُعاذِ بْنِ جبلٍ (رضيَ اللَّه عنه) عن رسولِ اللَّهِ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم) قال: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ) (رواهُ التِّرْمذيُّ).

على أن من يراقب الله (عزّ وجلّ) لا يجترئ على حدوده ولا معاصيه، قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:١]،وقال تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا}[الأحزاب:٥٢]، وعن ابنِ عبَّاسٍ (رضيَ اللَّه عنهمَا) قال: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم) يوْمًا فقال: (يَا غُلامُ إِنِّي أُعلِّمكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّه ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ...) (رواهُ التِّرمذيُّ)، فالله سبحانه هو الحفيظ ، القائم على كل نفس بما كسبت ، يكلأ الخلق بفضله ومنّه ، يفيض عليهم بعنايته وحفظه، فينبغي على العبد أن يحفظ ربه بمراقبته سبحانه، وملازمة تقواه ، واجتناب نواهيه، فيحفظه الله في نفسه وأهله، ودينه ودنياه لاسيما عند الموت ، إذ الجزاء من جنس العمل، قال تعالى:{وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ}[البقرة:٤٠]، وقال تعالى:{هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ} [الرَّحْمَنِ:٦٠].

والمراقبة : استحياء من نظر الله (عزّ وجلّ) للعبد واطلاعه عليه، وما يترتب على ذلك من الامتثال والاستقامة ، فعَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قال: قال رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ) قال: قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قال: (لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ) (رواه الترمذي).

نماذج في المراقبة:

لقد ضرب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نماذج عظيمة تخلق أصحابها بخلق المراقبة لله رب العالمين ، ومن ذلك:

قصة نبيِّ الله يوسف (عليه السلام) فيها من المراقبة ما فيها ، يقول الله تعالى:{وَرَاوَدَتْهُ الَتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقالتْ هَيْتَ لَكَ قال مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُخْلَصِينَ}[يوسف:٢٣-٢٤]، فهي امرأةٌ ذاتُ منصب وجمال ، وهي السيدة المطاعة ، ويوسف (عليه السلام) الغلام المأمور الضعيف ، ورغم ذلك حقق مقام المراقبة لله تعالى خير تحقيق ، فبعد أن راودته امرأة العزيز عن نفسه وتهيأت وتجملت له ، وأحكمت

غلق الأبواب ، قال لها بلسان الخائف من ربه، المستحضر عظمته تعالى أمام عينيه: {مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}.

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله نجد مثلاً آخر لمراقبة الله (عز وجل) ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابّا في الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقال: إنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُه مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا ففاضت عَيْنَاهُ) (متفقٌ عَلَيْهِ).

ومن النماذج الطيبة التي نستدعيها من تاريخنا الخالد نتيجة مراقبة الله (عز وجل) قصة تلك المرأة صاحبة الضمير الحي والحس الإيماني في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، حيث كان (رضي الله عنه) يتفقد المدينة ليلاً ، فاتكأ على جدار ، فسمع امرأة تقول لابنتها : قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء ، فقالت لها: يا أماه أو ما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته ؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء، فقالت لها: يا بنية قومي فامذقيه بالماء ، فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر، فقالت الصبية لأمها: والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا ، كل ذلك وأمير المؤمنين يسمع ، فسرَّه أمانة الفتاة ويقظة ضميرها ،

فاختارها زوجة لأحد أولاده ، وكان من ذريتها الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه).

وقد مَرَّ ابن عمر (رضي الله عنهما) براعي غنم فقال : يا راعي الغنم هل مِن جَزرة ؟ قال الراعي: ليس ها هنا ربها ، فقال ابن عمر : تقول أكلها الذئب ! فرفع الراعي رأسه إلى السماء ثم قال : فأين الله ؟ قال ابن عمر: فأنا والله أحق أن أقول فأين الله ، فاشترى ابن عمر الراعي واشترى الغنم فأعتقه وأعطاه الغنم. (رواه البيهقي في شُعب الإيمان ، وابن عساكر في تاريخ دمشق) .

مكانة المراقبة:

لمراقبة الله (عز وجل) مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة ، لا يعرفها إلا العالم بالله (عزّ وجلّ) وبعظيم صفاته ، أما أهل الغفلة عن الله فهم في دنيا الناس أموات ، فلا يستشعرون نظر الله إليهم ولا علمه سبحانه وتعالى بهم. قال ابن الجوزيّ: الحقّ (عزّ وجلّ) أقرب إلى عبده من حبل الوريد ، لكنّه عامل العبد معاملة الغائب عنه ، البعيد منه ، فأمر بقصد نيّته، ورفع اليدين إليه ، والسّؤال له ، فقلوب الجهّال تستشعر البعد ، ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحقّقت مراقبتهم للحاضر النّاظر لكفّوا عن الخطايا. والمتيقّظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة ، وكفتهم عن الانبساط) (صيد الخاطر).

والمراقبة الواجبة: هي المراقبة العامة التي تبدأ من قبل العمل بأن يراقب العبد قلبه وقصده ونيته ، هل هي لله أم لغيره سبحانه

وتعالى؟ فإن كان العمل خالصًا لله تعالى أمضاه ، وإلّا تركه، وهذا هو الإخلاص.

ثم يراقب العبد جوارحه وقلبه أثناء العمل ، مستشعرًا نظر الله إليه، فيحسنه ويتقنه على قدر وسعه وطاقته ، وكذلك يراقب العبد جوارجه بعد العمل فلا يعجب به ولا يتكبر على خلق الله. قال الحسن: (رحم الله عبدًا وقف عند همّه، فإن كان لله مضى ، وإن كان لغيره تأخّر) (إحياء علوم الدين)، فهذه مراقبة العبد لله (عز وجل) في الطّاعة ، وأما مراقبة العبد في المعصية تكون بالتّوبة والنّدم والإقلاع ، ومراقبته في المباح تكون بمراعاة الأدب ، والشّكر على النّعم ، فإنّه لا بدّ له من الشّكر عليها.

ومما يعين على المراقبة: أن يجتهد العبد في التعرف على أسماء الله تعالى وصفاته ليتصور عظمته سبحانه وسعة علمه وسمعه وبصره وإحاطته بأحوال الخلق؛ فيتولد عنده معنى الحياء والخوف والتعظيم والتوقير لله ، وكذلك كثرة الذكر باللسان يشعر المؤمن بقربه من الله تعالى ومراقبته ، والتفكر في شدة الحساب وأحوال الموقف بين يدي الله (عز وجل) يوم الآخرة ، ومذاكرة أحوال أهل المراقبة من الأنبياء والصديقين وأحوال السلف الصالح فهي مليئة بالعبر والعظات في هذا الباب ، كل هذه الأشياء تعين على المراقبة لله.

فلو أننا راقبنا الله (عز وجل) حق المراقبة لتغيرت سلوكيات وتصرفات المجتمع إلى الأفضل ؛ لأن الإنسان إذا ما استشعر معية الله ، وأنه سبحانه وتعالى مطلع عليه وعلى أفعاله ، وقاه الله (عز وجل) كثيرًا

من الشرور والمفاسد والآثام ، لذا قيل : (اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن عينه لحظة ، وشكرك لمن لا تنقطع نعمته عنك ، وطاعتك لمن لا تستغني عنه ، وخضوعك لمن لا تغيب عن ملكه وسلطانه) ، وذلك لأن الله (عز وجل) مراقب لحركات الإنسان وسكناته ، وأنه (سبحانه وتعالى) لا تأخذه سنة ولا نوم ، وأنه سبحانه {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}، وأنه (تعالى) قد يمهل ولكنه (عز وجل) لا يهمل أبدًا ، يقول سبحانه:{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}[إبراهيم: ٤٢].

حفــظ اللســـان

لقد خلق الله- تعالى- الإنسان في أحسن تقويم ، وصوَّره في أبدع صورة وأبهى مظهر ، وأودع فيه من جمال الخلقة ما يبهر العقول ، فكل عضو في جسم الإنسان آية من آيات الله (عز وجل) دالةٌ على كمال قدرته ، وعظمته وحكمته ، ويأتي اللسان على رأس هذه الأعضاء التي امتن الله (عز وجل) بها على الإنسان ، قال تعالى:{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ}[البلد:٨ ـ ٩]، فهو من أجلِّ النعم التي أنعم الله بها على الإنسان ، فبه المنطق والبيان ، وبه تتضح الحجة والبرهان ، قال تعالى: {الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}[الرحمن: ١- ٤]، فاللسان جزء صغير لكنه في جُرمه أو صلاحه كبير ، إذ هو ترجمان القلوب والأفكار ، له في الخير مجال ، وله في الشر أيضا مجال.

فالقدرة على الكلام والتعبير عما يريده الإنسان نعمة ، لا يقدّر فضلها، ولايعرف مكانتها إلا من حُرِمها ، ومن ثم فعلَى الإنسان أن يحمد ربّه ، ويقدر هذه النعمة التي أسبغها الله عليه ، وأنْ يعطيها حقها ، قال تعالى: {وَإِن تَعُدُّوْا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}[سورة إبراهيم:٣٤].

وقد ورد ذكر اللسان في القرآن الكريم في أكثر من خمس وعشرين موضعًا ، وهو سلاح ذو حدين ، وكلّ حدّ منهما له مهمة في النفع والضر.

واللسان يعد الركيزة الأساسية في نجاة الإنسان أو هلاكه ، فالكلمة تبني أو تهدم، ودخول الإنسان في الإسلام بكلمة ، قال تعالى:{.. فَأَنزلَ

اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا...}[الفتح:٢٦]، وخروج الإنسان من الإسلام بكلمة ، قال تعالى:{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا...}[التوبة:٧٤]، وكذلك بناء الأسرة بكلمة ، وهدمها بكلمة ، وكم من كلمة كانت سببًا في إشعال فتنة!! وكم من كلمة كانت سببًا في لمِّ الشمل!! وما أجمل إشارة القرآن الكريم حينما ضرب مثلاً للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة ، حيث قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}[إبراهيم :٢٤ -٢٧].

خطورة اللسان:

ولقد بَيَّن الحق سبحانه وتعالى في القرآن الكريم خطورة اللسان على الإنسان ، حيث جاء الأمْر الإلهي بحفظ اللسان ، فقال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[ق:١٦– ١٨].

وتشتد خطورة اللسان على جوارح الإنسان ، لأنها كلها مرتبطة به في الاستقامة والاعوجاج ، فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) –

رَفَعَهُ – قَالَ: (إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ ، فَتَقُولُ : اتَّقِ اللَّهَ فِينَا ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا ، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا) (رواه الترمذي).

ولقد فطن الصالحون لخطورة اللسان وعظم الكلمة فضربوا أروع الأمثلة في حفظهم لألسنتهم ، وخوفهم من آفات اللسان ، فقد روى سيدنا عُمَر بْن الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) أنه اطَّلَعَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ (رضي الله عنه) وَهُوَ يَمُدُّ لِسَانَهُ ، فقَالَ: مَا تَصْنَعُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ؟ قَالَ : إِنَّ هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلَّا يَشْكُو ذَرَبَ اللِّسَانِ عَلَى حِدَّتِهِ) (رواه البيهقي).

وَعن سَعِيد بْن إِيَاسٍ الْجُرَيْرِيّ ، عَنْ رَجُلٍ قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) قَائِمًا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ آخِذًا بِثَمَرَةِ لِسَانِهِ وَهُوَ يَقُولُ: " وَيْحَكَ قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ ، وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ " فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ مَا لِي أَرَاكَ آخِذًا بِثَمَرَةِ لِسَانِكَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ هُوَ عَلَى شَيْءٍ أَحْنَقَ مِنْهُ عَلَى لِسَانِهِ (فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل).

وقال الإمام عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) : اللّسان قوام البدن ، فإذا استقام اللّسان استقامت الجوارح ، وإذا اضطرب اللّسان لم تقم له جارحة) (رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت).

وهذا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) يقول: (وما من شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان). وَقَالَ الْحَسَنُ (رضي الله عنه) :

اللِّسَانُ أَمِيرُ الْبَدَنِ إِذَا جَنَى عَلَى الأَعْضَاءِ شَيْئًا جَنَتْ ، وَإِذَا عَفَّ عَفَّتْ .
ومن ثمَّ يتضح أن صيانة اللسان دليل على كمال الإيمان ، وحسن الإسلام ، وسبيل الوصول إلى الفردوس الأعلى ، قال تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}[المؤمنون:٣] إلى أن قال:{أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[المؤمنون:١٠-١١].

ولله درّ القائل:

احفَـظ لســـــانَكَ أيُّهـا الإنســـانُ *** لا يَلـدغَنَّـكَ إنَّه ثعبـــــانُ

كـم في المقــابِرِ من لديـــغِ لِســانِه *** كانت تهــابُ نِزالَهُ الشُجعـانُ

والمقصود بحفظ اللسان: هو حفظه عن النطق بما لا يسوغ شرعًا مما لا حاجة للمتكلم به.

أهمية حفظ اللسان:

إن حفظ اللسان من أحب الأعمال إلى الله (عز وجل) كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه أبو جحيفة مرفوعًا : (أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ حِفْظُ اللِّسَانِ) (رواه البيهقي في الشعب).

وحفظ اللسان فرض عين على كل مسلم ومسلمة لأنه من الإيمان، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَاليَومِ الآخرِ، فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ).

ومن ثم يجب على العاقل أن يحفظ لسانه ويتخير ألفاظه حتى لا

يقع في المهالك ؛ لأن اللسان يستر عقل الإنسان ، كما يستر الثوب الجسد فكثيرًا ما تسببت فلتات اللسان في هلاك الإنسان ، وكما قيل : كم كست فلتات الألسنة الحداد من ورائها ملابس الحداد.

والمقصود بالألسنة الحداد أي: الكلام البذئ الشديد والتطاول على الناس والتكلم في أعراضهم. وقد جاء ذكر هذا المعنى في القرآن الكريم، قال تعالى:{فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ}[الأحزاب :١٩] أي: آذوكم بكلام شديد ، والسلق: هو الأذى ببذاءة اللسان .

لذا فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يشدِّد في أمر اللسان، والرقابة عليه ، وحفظه عن الانفلات بغير حق ، أو إلحاق الأذى بأي شخص ، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ ، قَالَ: (لَقَدْ سَأَلْتَنِى عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ)، ثُمَّ قَالَ: (أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ! الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ)، قَالَ : ثُمَّ تَلاَ {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}[السجدة:١٦] حَتَّى بَلَغَ : {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[السجدة:١٧]، ثُمَّ قَالَ: (أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟) قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : (رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ)، ثُمَّ قَالَ: (أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ

كُلِّهِ)، قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ : فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: (كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا). فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ، فَقَالَ: (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) (رواه الترمذي)، وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنُ لَكُمُ الْجَنَّةَ : اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ) (صحيح ابن حبان).

آفات اللسان التي يجب الحذر منها:

١. **الكذب**: وهو مخالفةُ الخبرِ للواقع ، فهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، وهو من الخصال الذميمة التي حذر منها الإسلام أشد تحذير، حتى عدَّها النبيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) خصلة من خصال النفاق ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) قَالَ: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) (رواه البخاري) ، فالكذب جماع كل شر، وأصل كل ذمٍّ ؛ لسوء عاقبته، وخبث نتائجه.

٢. **الغيبة**: وهي ذكر المسلم أخاه بسوءٍ في غيبته ، وقد ورد النهي عنها في القرآن الكريم؛ لأنها تؤدي إلى قطع روابط الألفة والمحبة بين الناس، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ

لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات:١٢] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ)، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ، قَالَ: (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ) (رواه مسلم).

٣. **النميمة**: وهي نقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد بينهم ، الأمر الذي يؤدي إلى تقطيع الأواصر والعلاقة بين الناس ، وقد ورد النهي عنها في القرآن الكريم، قال تعالى: {وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ*هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ}[القلم:١٠-١١]، والنَّمام من شرار خلق الله (عز وجل)، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيد أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: (الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ تَعَالَى) ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ) (رواه أحمد).

٤. **السب والقذف لأعراض الشرفاء** ، وهو أمر يهدد بنيان المجتمع، ويؤدي لانتشار الفوضى بين أبناء الوطن الواحد ، قال تعالى:{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[النور:٣]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ*يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*

يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} [النور:٢٣ـ ٢٥]، فرمي الأبرياء بالباطل صناعة الجبناء ، وبضاعة لئام الطباع ، وتسلق مرضى النفوس ، مروجها مجرم في حق دينه ومجتمعه وأمته، مثير للاضطراب والفوضى في الأمة.

٥ـ **نشر الأخبار الكاذبة والشائعات الباطلة**، وهذا عمل لا يجيده إلا كل منافق لا يحب دينه ولا وطنه ولا بني جنسه.

٦ـ **قول الزور وشهادته** ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) (رواه البخاري).

٧ـ **السخرية والاستهزاء**: فقد يكون المُستهزَأُ به أكرم عند الله تعالى من المستهزِئ، فيكون قد ظلم نفسه بتحقير من وقَّره الله (تعالى) وكرَّمه، قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[الحجرات:١١] ، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ، تَنْبُو عَنْهُ أَعْيَنُ النَّاسِ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ) (رواه الحاكم في المستدرك).

فعلى المسلم العاقل أن يحفظ لسانه عن أذى الناس عامة والمسلمين خاصة ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما)

عن النَّبيّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (المُسْلِمُ منْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ). ويتحقق ذلك من خلال أمرين :

الأول: البعد عن كل ماورد النهي عنه في القرآن والسنة ، من الغِيبة والنميمة ، والسخرية ، والكذب والبهتان ، والسبِّ والبذاءة ، وشهادة الزور ، وغير ذلك مما يتعلق بأذى اللسان ، قال تعالى: {وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ}[الحجرات:١٢]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ: (ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ) قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: (إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ) (رواه مسلم).

وكذلك نهى الاسلام عن النميمة، والتي يقصد بها السعي بين الناس بالكلام بقصد الوقيعة بينه قال تعالى:{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ}[القلم:١٠-١١]، وعن حُذَيْفَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ) (متفق عَلَيْهِ).

وقد نهى نبينا (صلَّى الله عليه وسلَّم) عن السَّب والقذف وعن الكلام القبيح الذي يؤذي الناس ويؤلمهم ، لأن هذا يتعارض مع الإيمان بالله (عز وجل) ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلاَ اللَّعَّانِ، وَلاَ الفَاحِشِ ، وَلاَ البَذِيءِ) (رواه الترمذي).

حتى الريح والحيوان ، فقد نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) أيضًا عن سبابها ، فعن ابنِ عباس (رضي الله عنهما) : أن رجلاً لَعَنَ الريحَ وفي ـ رواية ـ : إنَّ رجلاً نازعَتْهُ الريحُ رداءَه على عهدِ النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) فلعَنَها، فقال النبيّ (صلى الله عليه وسلم) : (لا تَلْعَنْها فإنَّها مأمُورَةٌ، وإنه مَنْ لَعَنَ شيئًا ليسَ له بأهْلٍ رَجَعَتِ اللعنةُ عليه) (رواه أبو داود).

الثاني: الصمت وعدم الكلام إلا بما فيه الخير والنفع ، ولوأننا تأملنا آفات اللسان لعَلِمْنا أن الإنسان منَّا إذا أطلق لسانه لم يسلم، وعند ذلك نعرف سرَّ قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (من صَمَت نَجا) (رواه الترمذي)، وقال تعالى: {لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[النساء :١١٤]. وعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: (قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: (هَذَا) (رواه الترمذي).

فاللسان يجب أن يتخلى ويتحلى ، يتخلى عن الكلام البذئ، وكل مانهانا عنه الشرع الحنيف ، مما يرتكبه اللسان من جُرْمٍ ، ويتحقق ذلك عن طريق الصمت ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم) قَال: (...وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوم الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ) .

فإذا كان الإعراض عن الكلام المباح أفضل فمن باب أولى ترك الكلام الذي لا يفيد ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ) (رواه الترمذي)، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ) (رواه الطبراني).

بينما يكون تحلي اللسان بالذكر وبالكلام الطيب، فعن عبد الله بن بسر (رضي الله عنه) أنَّ رجلاً قَالَ: يَا رسولَ الله، إنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَليَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبثُ بِهِ؟ قَالَ: (لا يَزالُ لِسَانُكَ رَطباً مِنْ ذِكْرِ الله) (رواه الترمذي).

فكل من حفظ لسانه وصان نفسه عن الحرام فهو في طريق النجاة والفلاح، وهذا ما أخبرنا به الصادق المصدوق (صلى الله عليه وسلم)، فعن سهل بن سعد (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ) (متفق عَلَيْهِ). فحري بالمسلم أن يضبط لسانه ، ويسأل نفسه قبل أن يتحدث عن جدوى الحديث وفائدته ، فإن كان خيرًا تكلم ، وإلا سكت، والسكوت في هذه الحالة عبادة يؤجر عليها.

الكلمة الطيبة

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان بنعم كثيرة لا تُعُد ولا تحصى، قال تعالى:{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[النحل:١٨]، ومن أعظم نعم الله (عز وجل) على الإنسان نعمة البيان، قال تعالى: {الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}[الرحمن:١ـ ٤]، فبكلمة يدخل الإنسان الإسلام ، وبكلمة يخرج منه، وبها يدخل الجنة ، وبها يُحرم منها، وبكلمة تُستحل الفروج ، وبكلمة تُحرّم ، وبكلمة تُبنى أُسر ، وبأخرى تُهدم ، وبكلمة تتقدم الأمم ، و بكلمة تتأخر .

فالكلمة عنوان الإنسان ، ووسيلة اتصاله بالآخر ، فهي إما أن تبلغ بالإنسان أرقى الدرجات ، أو تهوي به في أسفل الدركات ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) (رواه البخاري).

وقد جاءت الآيات القرآنية الكريمة تدعونا إلى الكلمة الطيبة لجميع الناس دون تفرقة بينهم ، قال تعالى:{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}[البقرة:٨٣]، وقال:{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[الإسراء:٥٣]. فالكلمة الطيبة تحفظ المودة ، وتديم الصحبة، وتحول العدوّ إلى صديق ، وتقلب الضغائن إلى محبة ، وتمنعُ كيدَ الشيطان ، قال تعالى:{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}[فصلت:٣٤] . وقال تعالى:{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} [المؤمنون: ٩٦].

كما أن الكلمة الطيبة تؤلِّفُ القلوبَ ، وتُصلح النفوسَ ، وتُذهب الأحزانَ، وتُزيل الغضبَ، وتُشعر بالرضا والسعادة لا سيما إذا رافقتها ابتسامة صادقة ، فعن أبى ذرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ) (رواه الترمذي)، وقد جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) الكلمة الطيبة دليلًا على إيمان صاحبها فقال: (... وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) (رواه البخاري). ومن ثمَّ فإن الكلمة الطيبة سبب في الخير الكثير ، فبالكلمة الطيبة تدوم الألفة بين الآباء والأبناء ، وبها يمتلك الآباء قلوب الأبناء ويستميلونهم.

ولقد أعطانا القرآن الكريم نماذج كثيرة لأثر الكلمة الطيبة على نفوس الأبناء ، ومن ذلك قصة إبراهيم مع ولده إسماعيل (عليهما السلام)، وكذلك يعقوب (عليه السلام) مع أولاده ، ولقمان الحكيم مع ابنه. فبها تكون مودَّة الأبناء بالآباء ، قال تعالى: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}[الإسراء: ٢٣].

ولا يخفَى ما للكلمة من أثرٍ طيِّبٍ في العلاقة بين الجيران ، فالإحسان إلى الجيران بالكلمة يكون سببًا في دخول الجنة، والإساءةُ إليهم قد تكون سببًا في دخول النار ، فعن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)

قالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَّدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)، قَالُوا: وَفُلَانَةٌ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَّدَّقُ بِأَثْوَارٍ، وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) (الأدب المفرد).

وللكلمة أيضًا أثرها الطيب في حسن العلاقة بين المسلم وغيره ، قال تعالى:{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[آل عمران:٦٤]، وحتى مع الأعداء أمرنا الله بها، قال تعالى:{اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[طه:٤٣-٤٤]، تصدَّى رجلٌ للرشيد فقال: إني أريد أن أغلظ عليك في المقال ، فهل أنت محتمل؟ قال: لا ؛ لأن الله تعالى أرسل من هو خير منك إلى من كان شرًّا مني! فقال :{فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[طه: ٤٤] (محاضرات الأدباء).

وبها تكون دعوة المخالفين والتحدث معهم بالحسنى، قال تعالى:{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[العنكبوت:٤٦].

على أن الكلمة الطيبة للفقراء تكون إحسانًا أفضل من عطاء يتبعه مَنٌّ وأذى، قال تعالى:{قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ

غَنِيٌّ حَلِيمٌ}[البقرة:٢٦٣].

وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يكره الكلمة الخبيثة حتى مع الحيوان، فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ، عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ، إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَتَضَايَقَ بِهِمِ الْجَبَلُ، فَقَالَتْ: حَلْ، اللهُمَّ الْعَنْهَا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ) (رواه مسلم).

كما نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن اللعن حتى وإن كان ذلك للريح ، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ رَجُلًا نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِدَاءَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَلَعَنَهَا ـ فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا تَلْعَنْهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ) (رواه الترمذي).

على أن الكلمة الخبيثة تسبب الفرقة والتنافر بين أبناء المجتمع الواحد مما يهدد وحدة النسيج الاجتماعي ، فيؤدي إلى تشرذم المجتمع وتشتته ، وهذا هو السبب في ظهور كثير من الآفات التي بسببها تقطعت الأرحام، وساء الجوار، ففسدت العلاقات الاجتماعية بين الجميع ، والتي منها على سبيل المثال لا الحصر ، الغِيبة ، والنميمة ، وشهادة الزور ، والجدال بالباطل، والكذب، والقذف ، والسباب واللعان بأساليب عديدة فيها خروج عن أقل قواعد الأدب ، مع أن المسلم ليس باللعَّان ولا الطعَّان ولا الفاحش ولا البذيء، كما في الصحيح عَنْ ابن مسعود (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنَّ الْمُؤْمِنَ

لَيْسَ بِاللَّعَّانِ، وَلَا الطَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ) (رواه الترمذي).

فحريٌّ بالمسلم أن يضبط لسانه، ويحفظه من الزلل وأن يستعمله فيما فيه مصلحة ، فإن كان خيرًا تكلم وإلا سكت فالسكوت في هذه الحالة عبادة ، ولقد ذكر الحق سبحانه وتعالى من صفات المؤمنين الإعراض عن اللغو : وهو الكلام الذي لا نفع فيه فقال:{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}[المؤمنون: ٣]، ومن هنا ندرك أن الواجب الشرعي هنا لا يتمثل فقط في قول الخير والإمساك عن الشر ، بل في اجتناب اللغو الذي لا فائدة فيه.

ولما كان للكلمة خطورة كبيرة حث الإسلام على حفظ اللسان ، وعدم إطلاق العنان له، فكل ما يصدر عنه من أقوال محسوب له أو عليه، قال تعالى:{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[ق:١٨]، فاللسان أميرٌ على الجوارح ، فإن استقام استقامت وإن اعوجّ اعوجّت، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ قَالَ سَائِرُ الْجَسَدِ لِلِّسَانِ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، إِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، إِذَا اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا) (رواه الترمذي).

وقد بيَّن (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ بن جبل (رضي الله عنه) أن اللسان هو المعوَّل عليه في إدخال الناس الجنة أو النار ، يقول (رضي الله عنه): كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي سَفَرٍ ، فَأَصْبَحْتُ قَرِيبًا مِنْهُ...وفيه...ثُمَّ قَالَ : (أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟)، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: (اكْفُفْ عَلَيْكَ هَذَا)، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

أَوَ إِنَّا لمؤاخذون بِمَا نَتَكَلَّمُ؟ قَالَ: (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ . أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ . إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ) (رواه الإمام أحمد).

فما أحوج مجتمعنا الآن إلى الكلمة الطيبة ؛ لما لها من أثر طيب ، حيث الألفة والمحبة ، وإذابة الفرقة والشحناء ، فالكلمة الطيبة لها أثرها الطيب في صلاح الأعمال ومغفرة الذنوب ، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[الأحزاب:٧٠-٧١].

فما أجمل الكلمة الطيبة التي تجعل الحياة مملوءة بالرحمة والمودة والمحبة بين الناس!!! ما أطيب الكلمة الطيبة التي تجمع ولا تفرق وتكون سبيلًا للألفة لا الفرقة !! فليكن كل منا صاحب كلمة طيبة ؛ لأنها تعبّر عن حقيقة قلب صاحبها ، فقد قال يحيى بن معاذ : القلوب كالقدور تغلي بما فيها ، وألسنتها مغارفها ، فانظر إلى الرجل حين يتكلم فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه ،حلو .. حامض .. عذب .. أجاج .. وغير ذلك، ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه. (حلية الأولياء).

سلامة الصدر

من نعم الله التى لا تعد ولا تحصى على عباده أن أرسل إليهم رسولا يهديهم بإذن ربه إلى صراطه المستقيم ، قال تعالى :{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[آل عمران: ١٦٤]. وجعله الله رحمة للعالمين، فقال سبحانه:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[الأنبياء:١٠٧]، كما جعله سبحانه وتعالى قدوة لنا ، فقال سبحانه: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١] .

ومن أهم المبادئ التي أراد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يغرسها في قلوب أصحابه وأمته من بعده أن قلوب العباد هي موضع نظر الحق سبحانه وتعالى وعنايته ، ومن ثم فيجب الإهتمام بها ، إذ أن سلامة الصدور تعد الطهارة الباطنية والروحية في الإسلام ، فعنْ أبي هريرةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (إنَّ الله لا ينْظُرُ إِلى أجْسَامِكُمْ، ولا إِلى صُوَرِكمْ ، وَلَكن ينْظُرُ إلى قُلُوبِكمْ وأعمالكم) (رواه مسلم) ، وإذا كانت الأعمال الصالحة مطلوبة ومأمور بها ، إلا أن مدارها على حسن النية، وقبولها متوقف على مدى الإخلاص فيها، فعن أمير المؤمِنين عمرَ بنِ الخطابِ (رضي الله عنه) قالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يقُولُ : (إنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ

إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) (مُتَّفَقٌ عَلَيه).

ويقصد بسلامة الصدر : نقاء القلب ، وخُلوُّه من كل ضغينة أوحقدٍ أوغلٍّ أو حسدٍ على أحد من المسلمين ، ومن ثَمّ فهي دليل على صفاء القلب ، وحسن السريرة ، وطيب النفس، وبها يمتلأ القلب إيمانًا ويقينًا، وتقوى ومحبة ورحمة.

وقد حظيت طهارة القلب وسلامة الصدر في الإسلام بعناية كبيرة، فسلامة الصدر وطهارته ركيزة أساسية في إيمان العبد ، يترتب عليها أمور كثيرةٌ تتعلق بحال المجتمع المسلم من تعاون ومحبة وود واحترام ؛ لأن الصدر السليم، أوالقلب السليم هو الذي لا يحمل غشًّا ولا غلًّا ولا حقدًا ولا حسدًا ولا ضغينةً ولا كراهيةً ولا بغضاء لأحدٍ من المسلمين ، فما أحوجنا إلى صدور سليمة ، وأفئدة مطمئنة ؛ لأن القلوب هي منبع المشاعر والعواطف ، وموطن الأخلاق ، فإذا صلَحت صلَحت كلُّ الأعمال والأخلاق ، وإذا فسدت فسدت كلُّ الأعمال والأخلاق ، فعن النعمان بن بشيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ : سَمِعْتُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبَهاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ في الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فِيهِ، ألاَ وَإنَّ لكُلّ مَلِكٍ حِمَىً، ألاَ وَإنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، ألاَ وَإنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَت صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألاَ وَهِيَ القَلْبُ) (متفقٌ عَلَيْهِ).

كما أكدّ النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث آخر على أهمية استقامة القلب، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلاَ يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ) (رواه أحمد).

وقد ضرب النبي (صلى الله عليه وسلم) مثلا قويًّا لأصحابه (رضوان الله عليهم) في سلامة الصدر وطهارة القلب ، حين نهاهم عن النميمة ونقل الكلام من أحدٍ إلى أحد ، لئلاَّ يقعَ بينهما عداوةٌ ، فعن ابن مسعودٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (لا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فإِنِّي أُحِبُّ أنْ أخْرُجَ إِلَيْكُمْ وأنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ) (رواه أَبُو داود والترمذي).

كما كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) حريصًا على المسارعة في مساعدة أصحابه للوصول بهم إلى أفضل حال من سلامة الصدر وحسن الظن، وهذا يؤكد أهمية القدوة وأثرها على الأتباع والصحب بل والناس أجمعين ، وهذه القدوة تكون في الأخلاق عامة ، وفي سلامة الصدر خاصة ، لأن هذا الخلق يحتاج إلى مجاهدة عظيمة ، ومخالفة لهواجس النفس ووساوس الشيطان ، ومن هذا ما روي عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ (رَضيَ اللهُ عَنها) قالتْ : كان النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ لأَنْقَلِبَ فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأنْصَارِ (رضيَ اللهُ عَنهُما)، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبيَّ (صلى

الله عليه وسلم) أَسْرَعَا. فقال (صلى الله عليه وسلم) : (عَلَى رِسْلِكُمَا ، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ) فَقَالاَ : سُبْحانَ اللهِ يَا رسولَ اللهِ ، فقالَ : (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيْتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرّاً ـ أَوْ قَالَ : شَيْئًا) (متفق عليه)، ويتضح هذا في موقف النبي (صلى الله عليه وسلم) مع الأنصار حينما وجدوا في أنفسهم من قسمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للغنائم ، فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِى قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِى الأَنْصَارِ مِنْهَا شَىْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَىُّ مِنَ الأَنْصَارِ فِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِىَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَوْمَهُ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِى أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَىْءِ الَّذِى أَصَبْتَ ، قَسَمْتَ فِى قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِى قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُ فِى هَذَا الْحَيِّ مِنَ الأَنْصَارِ شَىْءٌ. قَال: (فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟). قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلاَّ امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِى، وَمَا أَنَا! قَالَ : (فَاجْمَعْ لِى قَوْمَكَ فِى هَذِهِ الْحَظِيرَةِ). قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ الأَنْصَارَ فِى تِلْكَ الْحَظِيرَةِ ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ ، فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَىُّ مِنَ الأَنْصَارِ. قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِى هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ : (يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِى عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِى أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ

ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ). قَالُوا بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ، قَالَ: (أَلاَ تُجِيبُونَنِى يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ). قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ، قَالَ : (أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّباً فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلاً فَآسَيْنَاكَ ، أَوَجَدْتُمْ فِى أَنْفُسِكُم يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِى لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا ووَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلاَمِكُمْ! أَفَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِى رِحَالِكُمْ ، فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءا مِنَ الأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ). قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَتَفَرَّقُوا) (رواه أحمد).

لقد استحقت سلامة الصدر أن تأخذ هذا الاهتمام وتنال هذه العناية في الإسلام ، لأنها من صفات أهل الجنة الذين طهرت قلوبهم وصفت سرائرهم وسلمت صدورهم ، حيث قال الله تعالى في شأنهم: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}[الحجر:٤٧]، وأكد النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك فيما رواه أبوهُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) عَنِ النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : (أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّىٍّ فِى

السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لاَ تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَحَاسُدَ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ الْعَظْمِ وَاللَّحْمِ) (رواه البخاري).

إن سلامة الصدر وطهارة القلب سمة من سمات الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، فهم أطهر الناس قلوبًا، وأحسنهم سريرة، وأسلمهم صدورًا، فها هو سيدنا إبراهيم (عليه السلام) كان ذا قلب سليم، قال تعالى في شأنه:{وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيم} [الصافات:٨٣– ٨٤]، وكذا سائر الأنبياء (عليهم السلام).

وبلغ كمال هذا الخلق مع سيد الخلق نبينا (صلى الله عليه وسلم) فقد منَّ الله عليه بانشراح الصدر، وسلامة القلب، وطهارة السريرة ، قال تعالي:{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ* وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}[الشرح: ١– ٤].

كما ضرب الصحابة (رضوان الله عليهم) أروعَ الأمثلة في سلامة الصدور ، وطهارة القلوب ، فكان لهم حظٌ وافرٌ ونصيبٌ كبيرٌ من هذه الصفة ، فكانوا (رضوان الله عليهم) صفًّا واحدًا، هدفهم ومقصدهم واحد كل منهم يحمل هَمَّ أخيه فيحزن لحزنه ويفرح لفرحه ، قال تعالى في وصف الأنصار:{وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩].

إن حال المسلمين اليوم وواقعهم ليشهد أن من أهم أسباب ما هم فيه من تباغضٍ وفرقةٍ وتناحرٍ فقدهم لخلق سلامة الصدر.

من الأمور التي تعين المسلم على سلامة صدره:

١. اليقين بالله تعالى ، والرضا بقضائه ، والتعلق به ، والتعرف عليه سبحانه، فإن من عرف الله أحبه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) (رواه مسلم).

٢. الإستجابة لأوامر الله تعالى والمسارعة في طاعته ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُون}[الأنفال: ٢٤].

٣. التضرع إلى الله سبحانه وتعالى وكثرة الدعاء مع الإخلاص فيه.

٤.كثرة قراءة القرآن الكريم مع تدبر معانيه وفهم مقاصده بقدر الإمكان، قال تعالى :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}[يونس:٥٧]، فكلما أقبل العبدُ على كتاب الله - تلاوة وحفظًا ، وتدبرًا وفهمًا - سلم صدره ، وطهر قلبه.

٥. إصلاح ذات البَيْن ، فإن فساد ذات البين هي العقبة العضال التي يترتب عليها تفاقم الصراعات ، ونشوب العداوات التي توغر الصدور، وتملأ القلوب حقدًا وكراهية وبغضاءَ، وحال المؤمن ينبغي أن يكون بخلاف ذلك تمامًا، قال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [الحجرات:١٠]، ورحم الله القائل:

إنَّ القـلـوبَ إذا تنـافَـر وُدُّهـا ** مِثلُ الزجـاجـةِ كسـرُهـا لا يُجـبَـرُ.

٦. الإحسان إلى الفقراء والمساكين واليتامى، قال تعالى:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}[التوبة :١٠٣].

٧. حسن الظن بالناس ، وحمل كلامهم ومواقفهم على أحسن المحامل وأفضلها، لأن سوء الظن بالناس يغرس الحقد والكراهية في النفوس، ومن ثم فقد ذمه الشرع وحرمه الإسلام ، واعتبره كذبًا وإثمًا ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات:١٢] ، وعن أَبي هريرة (رضي الله عنه) : أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إيَّاكُمْ والظَّنَّ ، فإنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ) (متفق عَلَيْهِ)، وقال عمر (رضي الله عنه) : (وَلَا تَظُنَنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا)(رواه أحمد في الزهد).

٨. التماس الأعذار للناس، وإقالة عثراتهم، والتغاضي عن زلاتهم ، لأن كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون كما جاء في الحديث، وقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ (رحمه الله) : (إِذَا بَلَغَكَ عَنْ أَخِيكَ الشَّيْءُ تُنْكِرُهُ فَالْتَمِسْ لَهُ عُذْرًا وَاحِدًا إِلَى سَبْعِينَ عُذْرًا ، فَإِنْ أَصَبْتَهُ وَإِلَّا قُلْ: لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا لَا أَعْرِفُهُ).

٩. محبة الخير للمسلمين، وكراهية الشر لهم ، وهذا من كمال الإيمان الذي يحقق سلامة الصدر ، فعن أنس (رضي الله عنه) عن النَّبيّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (لاَ يُؤمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ مَا يُحِبُّ لنَفْسِهِ) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ).

١٠. البعد عن التباغض والتحاسد والتنافس من أجل الدنيا ؛ فهذا كله من شأنه أنه يغرس الضغائن في الصدور ، ويتسبب في الهجر والقطيعة بين المسلمين ، عن أنس (رضي الله عنه) : أنَّ النَّبيّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ تَقَاطَعُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ) (متفق عَلَيْهِ).

إن سلامة الصدر خلق رفيع ينبغى أن يتحلى به كل مؤمن ، لما له من فوائد وآثارَعظيمة يظهر أثرها على صاحبها في الدنيا والآخرة ، **من هذه الفوائد والآثار ما يلي :**

١ـ أن سلامة الصدر سبب لقبول الأعمال، فعن أَبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (تُفْتَحُ أبْوابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الإثْنَيْنِ ويَوْمَ الخَمْيسِ ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئا ، إلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بينهُ وَبَيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ فَيُقَالُ: أنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا! أَنْظِرُوا هَذَينِ حَتَّى يَصْطَلِحَا !) (رواه مسلم).

٢ـ أنه سبب للفوز برضا الله تعالى ودخول الجنة ، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : (يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِثْلَ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى ، فَلَمَّا قَامَ

النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي ، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ ، قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا ، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ ، قُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ : يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ : فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا ، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ) (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح).

٣ـ سلامة الصدر تجلب النصر على العدو ، قال تعالى:{هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ}[الأنفال:٦٢،٦٣]، فسلامة الصدور من أهم أسباب ائتلاف قلوب المؤمنين، والتى كانت سببًا ـ بإذن الله ـ في نصر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومن معه على الأعداء.

٤. سلامة الصدر دليل على كمال الإيمان وحسن الخلق ، فعَنْ سيدنا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟. قَالَ: (كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ). قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ ؟ قَالَ: (هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لاَ إِثْمَ فِيهِ وَلاَ بَغْيَ وَلاَ غِلَّ وَلاَ حَسَدَ) (رواه ابن ماجه).

٥. سلامة الصدر تورث المحبة في قلوب العباد، فيتحقق بها السعادة والتعاون بين المسلمين ، كما يتحقق بها الراحة في الدنيا والعيشة الآمنة القانعة الراضية ، والدرجات العلا في الآخرة .

وغير ذلك من الفوائد والآثار العظيمة التى يضيق المقام عن حصرها .

غـض البصــــر

نعمة البصر من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان ، ومن جليل إحسانه سبحانه وتعالى ، بها يهتدي المرء في سبيله وطريقه ، وبها يعيش الإنسان حياته بصورة ميسرة مستقلة ، تساعده على السعي في الأرض وعمارتها والقيام بالخلافة فيها ، وتساعده على القيام بواجب العبودية لله (عزّ وجلّ).

وقد امتن الله تعالى بهذه النعمة على عباده في آياتٍ كثيرة، منها: قوله سبحانه:{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[النحل:٧٨]، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ} [المؤمنون: ٧٨]، وقال تعالى:{قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ}[الملك:٢٣].

ونعمة البصر نعمة جليلة لا يكافئها عمل الليل والنهار وإن بلغ خمسمائة عام ، فقد جاء في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (خَرَجَ مِنْ عِنْدِي خَلِيلِي جِبْرِيلُ آنِفًا فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ إنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ عَبَدَ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فِي الْبَحْرِ، عَرْضُهُ وَطُولُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا فِي ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَالْبَحْرُ مُحِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةُ آلَافِ فَرْسَخٍ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَأَخْرَجَ لَهُ عَيْنًا عَذْبَةً بِعَرْضِ الْأُصْبُعِ تَنبِضُّ بِمَاءٍ عَذْبٍ فَيَسْتَنْقِعُ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ وَشَجَرَةَ رُمَّانٍ تُخْرِجُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ رُمَّانَةً يَتَعَبَّدُ يَوْمَهُ ، فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ فَأَصَابَ

الْوُضُوءَ وَأَخَذَ تِلْكَ الرُّمَّانَةَ فَأَكَلَهَا ثُمَّ قَامَ لِصَلَاتِهِ ، فَسَأَلَ رَبَّهُ عَنْ وَقْتِ الْأَجْلِ أَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا وَأَنْ لَا يَجْعَلَ لِلْأَرْضِ وَلَا لِشَيْءٍ يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ سَبِيلًا حَتَّى يَبْعَثَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ ، قَالَ: فَفَعَلَ فَنَحْنُ نَمُرُّ عَلَيْهِ إِذَا هَبَطْنَا وَإِذَا عَرَجْنَا، فَنَجِدُ لَهُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ : أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي فَيَقُولُ: رَبِّ بَلْ بِعَمَلِي فَيَقُولُ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ بَلْ بِعَمَلِي، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: قَايِسُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ ، فَتُوجَدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلًا عَلَيْهِ) (رواه الحاكم).

على أن سنة الله (عز وجل) في النعم أن كل نعمة إنما تبقى وتزيد بالشكر ، وتضمحل وتزول بالجحود واستعمالها في المعاصي، قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم:٧]، لذا كان من دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يديم عليه نعمة السمع والبصر ما دام حيًّا ، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهؤلاء الدَّعَوات: (اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بأَسْمَاعِنا، وَأَبْصَارِنَا، وقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلاَ تَجْعَلْ مُصيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا ،

وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا) (رواه الترمذي).

وغض البصر من الآداب والأخلاق التي حثَّ عليها ديننا الحنيف ، فقد أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) باجتناب المواطن التي تؤدي إلى النظر المحرم ، ومنها : الجلوس في طرقات المسلمين، لما فيه من الفتن، فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ (رضي الله عنه) عَنِ النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ في الطُّرُقَاتِ). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم): (فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ). قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلاَمِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ)(رواه مسلم).

وأصل الغضّ: الخفض والكفّ والكسر ، والإغضاء: إدناء الجفون، ومعنى غض البصر: أن يغمض المسلم بصره عمّا حُرّم عليه ، ولا ينظر إلّا لما أبيح له النّظر إليه ، فإن اتّفق أن وقع البصر على محرّم من غير قصد صرفه سريعًا، والبصر هو أوسع الأبواب الموصلة إلى القلب ، وأقصر طرق الحواسّ إليه ، ومن أجل ذلك كثر السّقوط من جهة إطلاق البصر، وجريمة الفتنة المترتبة على إطلاقه ، ووجب التّحذير منه ، وتأكَّد وجوب غضّه عن جميع المحرّمات ، وعن كلّ ما يخشى منه الفتنة والضلال.

وقد جاء الأمر من الله (عزّ وجلّ) بغض البصر عامًّا في الرجال والنساء على السواء ، وذلك لخطر النظر الفاحش من كلا الطرفين للآخر، ولما في ذلك من فوائد دينية ودنيوية ، ولأجل هذا دعا الإسلام أتباعه

إلى غض البصر ، فقال تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا}[النور:٣٠،٣١]. فَالرَّجُل والمَرْأَة مَأْمُورَانِ بغَضِّ البَصَرِ عَمَّا يُثِيرُ الشَّهْوَةَ أَوْ يُسَبِّبُ الافْتِتَانِ ، وعلى ذلك فلو غض الإنسان بصره لاطمأنت نفسه وهدأ قلبه وسكن فؤاده.

وقد راعى الإسلام في الإنسان الخطأ غير المقصود ، فلم يغفل ما قد يقع من الناس بدون قصد منهم، لذا أمر من نظر إلى امرأة أجنبية أن يصرف بصره عنها ولا يتمادى، لما رواه مسلم في صحيحه عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله (رضي الله عنه) قال: (سَأَلْتُ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وسلم) عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي) (رواه مسلم)، وعَنِ بُرَيْدَةَ بن الحصيب عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (يَا عَلِيُّ لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ) (رواه الترمذي).

على أن النظر إلى محل الشهوة يوقع الإنسان في المحظور ، فهو من باب خطوات الشيطان الذي يأخد بالأيسر ثم الأكبر حتى يصل بالمسلم إلى الكبائر ثم الكفر البواح ، فلينتبه المسلم لعاقبة نظره ، وليعلم أن النظر يثير الشهوات الكامنة التي لو وجد لها سبيلا وتمكن من إنفاذها لكان النظرُ سببَ الفواحش ، فلينتبه العبد لخطوات الشيطان ، قال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا

زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور:٢١].

ولما كانت النظرة بريد الزنا جاء وصفها بأنها سهم من سهام إبليس يصاب به المرء فيقع في مصيدته ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : قال الله (عزّ وجلّ) : (إِنَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ، مَنْ تَرَكَهَا مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ) (رواه الحاكم في المستدرك) ، ولله درّ القائل:

كل الحوادث مبداها من النظر *** ومعظم النّار من مستصغر الشررِ
كم نظرةٍ بلغت من قلبِ صاحبها *** كمبلغ السهم بلا قوسٍ ولا وترِ
والعبد ما دام ذا طرفٍ يُقلّبه في *** أعين الغيدِ موقوفٌ على الخطرِ
يسرُ مقلتَه ما ضرَّ مُهجتَه *** لا مرحبًا بسرورٍ عاد بالضررِ

وكذلك جاء الأمر من النبي (صلى الله عليه وسلم) بغض النظر عن العورة وعن محل الشهوة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلاَ المَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ المَرْأَةِ ، وَلاَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ في ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، وَلاَ تُفْضي المَرْأَةُ إِلَى المَرْأَةِ في الثَّوْبِ الواحِدِ) (رواه مسلم).

والنظر المحرم المنهي عنه يتناول النظر إلى الأموال واللباس وغير ذلك من متاع الدنيا بِشَرهٍ وحسدٍ ، قال تعالى: {لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر:٨٨]، وقال تعالى:{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ

زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}[طه:١٣١].

أمور تعين على غض البصر:

١. الزواج ، فعن عَبْد اللَّهِ بن مسعود (رضي الله عنه) عن رَسُول اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال : (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) (رواه مسلم).

٢. استحضار مراقبة الله تعالى للإنسان ، فليكن لسان حاله: الله ناظر إليّ الله مطلع عليّ، قال تعالى:{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}[غافر: ١٩].

٣. الخوف من السؤال أمام الله (عز وجل)؟ قال تعالى:{إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}[الإسراء: ٣٦] .

٤. مجاهدة النفس وتعويدها على غض البصر والصبر على ذلك.

٥. اجتناب الأماكن التي يخشى الإنسان فيها من فتنة النظر كالجلوس في الطرقات أو الأسواق.

٦. صحبة الأخيار ، فإن المرء على دين خليله.

كظــم الغيـــظ

كظم الغيظ من أهم الأخلاق التي يجب أن يبدأ الإنسان في تعلمها منذ الصغر ؛ لما لها من آثار إيجابية على الفرد والمجتمع.

وبمجرد أن تُذكرَ كلمة " الغيظ" يأتي في الذهن مباشرة أنها تعبّر عن ألمٍ نفسي يحدث إذا أوذي المرء في بدنه أو عرضه أو ماله ، ومعلوم أن النفس الإنسانية تنفعل وتتأثر بما تسمع وترى ، مما يجعلها تريد أن تردَّ الإيذاء الواقع عليها ، وهذا في حد ذاته انفعال طبيعي لها ، إلا أن النصوص القرآنية المشرفة ، والنصوص النبوية المباركة تدعونا إلى كفّ انفعال النفس عن عقاب مَنْ أذاها ، فنمنع الجوارح ونصون اللسان عن الأذى والإساءة ، ونلتزم الأدب في السلوك.

ومن هنا فإن المقصود من كظم الغيظ: هو عدم إظهار أثره على الجوارح بقول أو فعل، أي : كفها عما يعبر عن هذا الغيظ بسبٍّ أو ضرب أو نحوهما للتشفي والانتقام.

وقد جاءت الآياتُ القرآنية الكريمة تدعو إلى كظم الغيظ وضبط النفس ، فقد أثنى الله (عز وجل) على هذه الطائفة التي من صفاتها "كظم الغيظ"، فقال:{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ}[آل عمران : ١٣٣،١٣٤] ، وقال تعالى :{وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ*وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ

عَظِيمٍ}[فصّلت: ٣٤،٣٥]. قال الزَّجَّاج : (وما يُلَقَّى هذه الفِعلة وهذه الحالة - وهي دفع السيئة بالحسنة - إلا الذِين صبروا على كظم الغيظ، واحتمال المكروه) (فتح القدير للشوكاني)، وقال تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ}[النَّحل:١٢٦] فبنظرة عميقة في أحداث غزوة أحد نجد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد شبّه مقتل سيدنا حمزة (رضي الله عنه) بأنها أفظع ما لقي؛ مما دفعه (صلى الله عليه وسلم) أن يقول - كما ذكر المفسرون: (وَاللَّهِ لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ)، إلا أنه (صلى الله عليه وسلم) – مع انفعال النفس لذلك الحدث المؤلم – ضرب لنا أنموذجًا رائعًا في كظم الغيظ ليأخذ ذروة هذا الحدث المؤلم وقمته في واحد من أحب الناس إليه وفي أكبر حادث أغضبه، وينزل قول الحق:{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ}[النحل: ١٢٦] .

وكظم الغيظ هو طريق يوصل إلى دخول الجنة بغير حساب؛ فإن من تميّز بكظم الغيظ يكون في عداد الصابرين، لما تتحمله نفسه من مشقة الألم الذي تعرض له، قال تعالى:{وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا} [فصلت:٣٥]، أي: كظموا الغيظ.

فضل كظم الغيظ:

لقد جاءت الأحاديث النبوية تبين فضل كاظم الغيظ؛ ليؤكد الشرع أن هذه الصفة تكون سببًا في تصفية بواعث الحقد والبغض والكراهية، وتؤسس لقبول الآخر ، وتمهّد للعفو عنه ، فينعكس ذلك على سائر أفراد

المجتمع بالرحمة والمحبة والمودة ، فعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا - وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ - دَعَاهُ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ) (رواه أبو داود)، فقوله (صلى الله عليه وسلم) (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا) أي: امتص غضبًا كامنًا فيه واحتمله وصبر عليه (وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ)، أي: يمضيه (دَعَاهُ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ) أي: قربه الحق سبحانه وبيّن فضله أمام الناس، وأثنى عليه وباهى به، ويقال في حقه هذا الذي صدرت منه هذه الخصلة العظيمة (حَتَّى يُخَيِّرَهُ) أي: يجعله مخيرًا (مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ). أي: في أخذ أيهن شاء ، وهو كناية عن إدخاله الجنة وإيصاله الدرجة الرفيعة بسبب كظمه للغيظ.

ومن هنا قال الطيبي: (وإنما حُمِد الكظم لأنه قهْرٌ للنفس الأمارة بالسوء، ولذلك مدحهم الله تعالى بقوله: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}[آل عمران:١٣٤]، ومن نهى نفسه عن هواها فإن الجنة مأواه والحور العين جزاه) (تحفة الأحوذي، وعون المعبود).

ومما ورد كذلك في كظم الغيظ ما روي عن جَارِيَةَ بن قُدَامَةَ أنه سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي قَوْلا يَنْفَعُنِي وَأَقْلِلْ لَعَلِّي أَعِيهِ، قَالَ: (لا تَغْضَبْ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ مِرَارًا يَقُولُ: لا تَغْضَبْ) (رواه أحمد)، وعن أبيّ بن كعب أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُشْرَفَ لَهُ بنيَانٌ، وَأَنْ تُرْفَعَ لَهُ دَرَجَاتٌ،

فَلْيَعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِ مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلْ مَنْ قَطَعَهُ) (أخرجه الطبراني)، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) (متفق عليه)، فهذا الحديث يؤكد على أن القوي بحق هو الذي يملك نفسه عند الغضب.

ومن فوائد كظم الغيظ: أن صاحبه قد قهر الشيطان وغلبه ، فعن أنس (رضي الله عنه) أنَّ النَّبي (صلى الله عليه وسلم): مرَّ بقوم يَصْطَرِعون فقال: ما هذا ؟ فقالوا : يا رسول الله ، فلانٌ الصَّريع، لا ينتدِب له أحدٌ إلَّا صَرَعه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ: رَجُلٌ ظَلَمَهُ رَجُلٌ فَكَظَمَ غَيْظَهُ فَغَلَبَهُ وَغَلَبَ شَيْطَانَهُ وَغَلَبَ شَيْطَانَ صاحبه) (أخرجه البزار)، وقال ابن عبد البر: (مَن كَظَم غَيْظَه وردَّ غَضَبه، أخزى شيطانه، وسَلِمت مروءته ودينه) (التمهيد لابن عبد البر).

نماذج للكاظمين الغيظ:

١. عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ) (رواه البخاري)، فهذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدفع السيئة بالحسنة ، ويتحمل هذا التصرف الذي يؤذي النفس، بل ويعطيه النبي (صلى الله عليه وسلم) عطاءً ليتألف قلبه به.

٢. وعن عبد الله (رضي الله عنه) قال: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أُنَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنْ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ) (رواه البخاري) .

٣. ومن هذه المواقف أيضًا : ما روي عن أبي برزة (رضي الله عنه) قال: (كُنْتُ عِنْدَ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ) فَتَغَيَّظَ عَلَى رَجُلٍ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ: تَأْذَنُ لِى يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَضْرِبُ عُنُقَهُ، قَالَ: فَأَذْهَبَتْ كَلِمَتِي غَضَبَهُ، فَقَامَ : فَدَخَلَ فَأَرْسَلَ إِلَىَّ، فَقَالَ: مَا الَّذِى قُلْتَ آنِفًا؟ قُلْتُ ائْذَنْ لِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: أَكُنْتَ فَاعِلاً لَوْ أَمَرْتُكَ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: لاَ وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِبَشَرٍ بَعْدَ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) (رواه أبو داود والبزار).

٤. ومن جملة المواقف التي تدل على أخلاق الصحابة (رضي الله عنهم) ما ورد عن سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه لما غضب على من قال له: ما تقضي بالحق، فاحمر وجهه. قيل له: يا أمير المؤمنين ألم تسمع الله يقول:{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩] وهذا من الجاهلين؟ فقال: صدقت فكأنما كان نارًا فأطفئت) (فيض القدير).

ثمرات كظم الغيظ:

١. كظم الغيظ دليل على قوة النفس وقهر شهوة الغضب .

٢.دليل على تقوى الله وإيثار وعده بالجنّة .

٣.كاظم الغيظ يأمنه النّاس فيألفونه ويقتربون منه ولا يتحاشونه .

٤.كظم الغيظ يشيع بين النّاس جوّ الصّفاء والوداد والحبّ والإخاء.

٥.كظم الغيظ دليل على الصّبر والعفو .

٦.فيه عظم الثّواب يوم العرض على ربّ الأرباب .

٧.الجزاء من جنس العمل ، من ضيّق على نفسه حين الغضب وسّع الله في ثوابه .

٨.من كظم غيظا ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة .

٩.كظم الغيظ عاقبته استقرار الإيمان في النّفس (نضرة النعيم).

المحبـــــة

من الأخلاق الإسلامية العالية التي تعزز السلم والأمن المجتمعي، وتحفظ الروابط والعلاقات بين أفراد المجتمع بل البلدان والأمم ، خلق المحبة.

والمحبة لغة: مشتقة من الحُبّ الذي هو ضد البغض، وأصل هذه المادة (ح ب ب) يدل على اللزوم والثبات والدوام، ولذا أطلق على سيدنا أسامة بن زيد بن حارثة (رضي الله عنهما) الحبّ بن الحبّ من كثرة ملازمته للنبيّ (صلى الله عليه وسلم) هو وأبوه، و قيل: أطلق عليهما ذلك من حُب النبي (صلى الله عليه وسلم) لهما (معاجم اللغة بتصرف وزيادة).

وعرفها علماء الاصطلاح بتعريفات متعددة وكلها متقاربة : فقال الراغب: المحبة ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرًا . وقال الكفوي: المحبة إفراط الرضا. وقال النووي: المحبة الميل إلى ما يوافق المحب. وقال الهروي: المحبَّة تعلق القلب بين الهمة والأنس، فِي البَذْل وَالمنْع على الإِفْرَاد.

مكانتهـــا ومنزلتها:

١. المحبة خلق يقذفه الله في قلب العبد ، قال قتادة: ذكر لنا أنَّ كعبًا كان يقول: إنَّما تأتي المحبَّة من السَّماء، قال: إنَّ اللَّه تبارك وتعالى إذا أحبَّ عبدًا قذف حبَّه في قلوب الملائكة، وقذفته الملائكة في قلوب النَّاس، وإذا أبغض عبدًا فمثل ذلك، لا يملكه بعضهم لبعض. قال تعالي:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم:٩٦] ، قال عليٌّ بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس (رضي الله عنهما) في تفسيرها: حُبًّا، وقال مجاهد: محبَّةً في المسلمين في الدُّنيا. وقال مقاتل: يقول يجعل محبتهم في قلوب المؤمنين فيحبونهم. (تفسير الطبري، وتفسير مقاتل)، وقال تعالى:{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي} [طه:٣٩] ، قال الإمام الطبري: إنَّ اللَّه ألقى محبَّته على موسى...فحبَّبه إلى آسية امرأة فرعون ، حتَّى تبنَّته وغذَّته وربَّته، وإلى فرعون حتَّى كفَّ عنه عاديته وشرَّه. وقد قيل: إنَّما قيل: وألقيت عليك محبّةً منِّي، لأنَّه حبَّبه إلى كلِّ من رآه. (تفسير الطبري).

٢. في المحبة قطع للنزاعات والخلافات ، واستقرار للسلم والأمن الاجتماعي، وتعامل بالفضل، وغنية عن تطبيق العدل، فالعدل خليفة المحبة ولا يحتاج لتطبيقه إلا عند النزاعات والاختلافات، قال الإمام الرّاغب: (لو تحابَّ النّاس ، وتعاملوا بالمحبَّة لاستغنوا بها عن العدل، فقد قيل: العدل خليفة المحبَّة يُستعمل حيث لا توجد المحبَّة... وكلُّ قوم إذا تحابُّوا تواصلوا، وإذا تواصلوا تعاونوا، وإذا تعاونوا عملوا، وإذا عملوا عمَّروا، وإذا عمَّروا"من العمران" عمَّروا "من طول العمر"وبورك لهم) (الذريعة إلى مكارم الشريعة).

٣. المحبة تلحق المرء بمن أحب ، وخصوصًا إذا كان أحبابه من الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين، فعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله

كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) (متفق عليه) ، قال ابن بطال: (فدلَّ هذا أنَّ من أحبَّ عبدًا في الله، فإنَّ الله جامع بينه وبينه في جنته ومُدخِله مُدخَله، وإن قصر عن عمله، وهذا معنى قوله: (ولم يلحق بهم). يعني في العمل والمنزلة، وبيان هذا المعنى : أنه لما كان المحبُّ للصالحين وإنما أحبهم من أجل طاعتهم لله ، وكانت المحبَّة عملًا من أعمال القلوب واعتقادًا لها، أثاب الله معتقد ذلك ثواب الصالحين؛ إذ النية هي الأصل، والعمل تابع لها، والله يؤتي فضله من يشاء) (شرح صحيح البخاري).

أنواع المحبـــة: للمحبة أنواع ثلاثة هي:

محبة اللّه تعالى: والمراد بها من ناحية العبد : أن يهب العبد إرادته، وعزمه، وأفعاله، ونفسه، وماله، ووقته لله عزّ وجلّ، ويجعل كل ذلك حبا في مرضاته.

ومن الأسباب الجالبة لمحبة اللّه تعالى:

١. قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه، فالقرآن هو كلام الله تعالى، والإقبال على قراءته وترديده دليل على المحبة ، وجالب لها ، فمن أحب شيئا أكثر من الكلام معه.

٢. متابعة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، والاستجابة لأوامره ، قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[آل عمران:٣١]، وقال تعالى:{فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ

أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[القصص:٥٠].

٣. الرحمة والشفقة والتواضع لأهل الإيمان، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[المائدة:٥٤].

٤. التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قال: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ..) (رواه البخاري).

٥. دوام ذكر الله تعالى باللسان والقلب ، فنصيب العبد من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر ، فمن أحبّ شيئا أكثر من ذكره.

٦. إيثار طاعته سبحانه وأوامره عند غلبات الهوى، والتغلب على نزغات الشيطان والنفس البشرية.

٧. معرفة أسمائه سبحانه وتعالى وصفاته ، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لامحالة.

٨. التفكر في نعمه الباطنة والظاهرة. فإنها توقف الإنسان على مشاهدة

برّ الله وإحسانه، وهذا داعٍ إلى محبته (عزّ وجلّ)، فالقلوب مفطورة على محبة من أحسن إليها .

٩. الخلوة وقت السحر ، هذا الوقت الذي ينادي فيه على عباده هل من تائب؟ هل من مستغفر...لمناجاته وتلاوة كلامه ، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه ، فمن أقوى علامات المحبة الخلوة بالمحبوب .

١٠. تذكر ما ورد في الكتاب والسنة من رؤية أهل الجنة لربهم وزيارتهم له واجتماعهم يوم المزيد فإن ذلك يجلب المحبة لله تعالى.

محبة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فإن محبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من لوازم الإيمان ، لقوله (صلى الله عليه وسلم) فيما رواه البخاري في صحيحه ، عن أنسِ بنِ مالكٍ (رضي الله عنه) قال: قال النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) : (لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أَحبَّ إليه من والدِه ، وولدِه ، والناسِ أجمعينَ).

ومن علاماتها:

١. تعزيره ، وتوقيره (صلى الله عليه وسلم) ، وهذا يتمثل اليوم في توقير آوامره ، وسنته (صلى الله عليه وسلم) ، قال تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}[الفتح:٨-٩].

٢. كثرة الصلاة والسلام عليه (صلى الله عليه وسلم) ، وهذا يدخل تحت كثرة ذكره (صلى الله عليه وسلم) ، قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ

عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[الأحزاب:٥٦].

٣. الذب والدفاع عنه (صلى الله عليه وسلم) وعن سنته، وشرعه ونصرهما بكل ما أمكن، قال تعالى:{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}[الحشر:٨]، وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: (غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، يَعْنِي: أَصْحَابَهُ ـ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ. قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا صَنَعَ. قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ) (رواه البخاري).

٥. التحاكم إلى شريعته وشرعه ، والرضا به ، قال تعالى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[النساء:٦٥]، ومما يدل على أن التحاكم إلى شريعته وشرعه من علامات محبته (صلى الله عليه وسلم) أن هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا

إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء:٦١].

٥. محبة صحابته (صلى الله عليه وسلم) ، فعن عبد الله بن مغفل (رضي الله عنه) : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (اللَّهَ اللَّهَ فِى أَصْحَابِى اللَّهَ اللَّهَ فِى أَصْحَابِى لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِى فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّى أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِى أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِى وَمَنْ آذَانِى فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ) (رواه الترمذي).

محبة الخلق: فحبّ الخير لهم من كمال الإيمان، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (رواه البخاري)، ومن تلك المحبة محبة الهداية إلى الحق والصراط المستقيم لجميع الأخوة والأخوات في الإنسانية ، والمحبة للخلق طريق لدخول الجنة، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) (رواه مسلم) ومعنى الحديث: لا يكمل ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب ، والتحاب لا يتحقق إلا بإفشاء السلام، وفي هذا حث عظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين جميعا من عرفت ومن لم تعرف.

من فوائـــد المحبة:

١. المحب لإخوانه بصدق وإخلاص لوجه الله ، لا لغرض آخر يحظى بمحبة الله عزّ وجلّ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى

الله عليه وسلم) قال: (أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ ، قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ . قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ: لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ) (رواه مسلم) (فأرصد) أي أقعده يرقبه (على مدرجته) والمدرجة : هي الطريق سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها أي: يمضون ويمشون (تربها) أي : تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك .

٢. تظهر آثار المحبة عند الشدائد والكربات.

٣. المحبة في الله سبب للاستظلال بظل عرش الرحمن يوم القيامة ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ ، الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِى الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِى اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)(متفق عليه).

٤. المحبة من كمال الإيمان ، وحسن الإسلام ، وطريق لدخول الجنة كما تقدم وكفى بذلك فائدة.

التفـــــاؤل

من القيم العظيمة التي دعا إليها الإسلام ، وحثّ عليها ، ونبّه إلى أنها جوهر الحياة (قيمة التفاؤل) ، فالتفاؤل عبادة عظيمة ، تعطي النفس الثقة في قدر الله (عز وجل) ، وأنه لا يجري في ملك الله تعالى إلا ما أراد الله ، ومن ثم يحسن العبد الظن بالله (عز وجل) ، ويتحقق معاني الأمل والتفاؤل، بعيدًا عن اليأس والإحباط.

والتفاؤل والفأل الحسن: هو كل كلمة صالحة ، حين يسمعها الإنسان يسر لها ، وينشرح صدره، ويطمئن قلبُه، وتسكن نفسه، ويمتلأ أملاً باستقبال الخير، وتتحرك نوازع نفسه إلى كل ما هو خير ، فتعلوا الجوانب المعنوية والوجدانية فيه. فالتفاؤل يساعد في إصلاح الجانب النفسي لدى الإنسان ، ويرفع من معنوياته ويضفي على نفسه الإحساس والشعور بالرضا.

والتفاؤل: الأمل ، وهو نظرة مستبشرة نحو الغد وتوقع الأفضل دائما، وضد التفاؤل: التشاؤم ، وهو اليأس والفشل ، فالمتفائل قرينه النجاح ، أما المتشائم فقرينه الفشل والعجز ، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) استعاذ بالله من العجز ، فعن أَنَس بْن مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يَقُولُ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ) (صحيح البخاري).

وقد حرّم الإسلام اليأس والإحباط ، فقال تعالى:{ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف:٨٧]، ولا

شك أن اليأس علامة على الفتور والهزيمة النفسية والكسل والانكسار .

إذن فبالتفاؤل تكون البُشرى بالخير ، وتكون تقوية الإرادة نحو العمل والأمل واستقبال الخير من الله تعالى ، ومن أجل ذلك كان الأثر الأكبر للكلمة الطيبة في سائر الأقوال والأفعال والمعاملات نحو توجيه السلوك للأمل والخير ، وكان البعد عن الكلمة الخبيثة ، وعن الشر وقول السوء والتشاؤم سلامة للفرد والمجتمع ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ : (لاَ طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: (الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ) (رواه مُسْلِم).

إن التفاؤل هو السراج الذي يضيئ حياة الناس وقت الظلام، ومخرجهم وقت اشتداد الأزمات ، ومن روائع الحكم :" تفاءَلُوا بالخير تجدوه"، لأن التفاؤلَ يدفعُ صاحبه نحو العطاء والتقدُّم ، والعمل والنجاح ، ومن هنا فإنه ينبغي على الإنسان المؤمن ألا يعرف اليأس طريقه إليه ، فالإيمان الحق هو الذى يبعث الأمل فى القلوب ؛ لذا حثنا ديننا الحنيف على الأمل ، وربى أتباعه على التفاؤل.

التفاؤل في حياة الأنبياء (عليهم السلام):

الأنبياء هم أكثر الناس تفاؤلًا لأنهم أكثر الناس معرفة بالله (عز وجل)، ولقد سجل القرآن الكريم جانبًا من تفاؤلهم ، وحسن ظنهم بالله سبحانه ، منها:

١. تفاؤل الخليل إبراهيم (عليه السلام) ، فقد بلغ من العمر ما بلغ ، ورغم

أنه حُرِمَ من نعمة الولد إلا أنه لم ييأس ، وإنما كان عنده تفاؤل وحسن ظن بالله (عز وجل) فتوجه إلى الله تعالى قائلا : {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ}[الصَّافَّاتِ:١٠٠]، قال الحافظ ابن كثير: فَأَعْطَاهُ اللَّهُ إِسْحَاقَ وَزَادَهُ يَعْقُوبَ نَافِلَةً (تفسير القرآن العظيم لابن كثير).

٢. وزكريا (عليه السلام) بلغ أيضا من الكبر عتيا ، ولم يحزن أو يفقد الأمل في الله ، ولما رأى من آيات الله ما رأى على مريم (عليها السلام) قال: {رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء * فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ} [آل عمران: ٣٨-٣٩].

٣. وكذلك يعقوب (عليه السلام) يفقد ولده يوسف (عليه السلام) ، ومن بعده يفقد أخاه ، فلم يتملك اليأس منه ، بل قال لأبنائه:{يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}[يُوسُفَ: ٨٧].

التفاؤل في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم):

وإذا نظرنا إلى حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) وجدنا أنها كانتْ مليئة بالتفاؤل، لأن التفاؤل من الصفات النبيلة والأخلاق العظيمة التي تمثلت في سيد الخلق (صلى الله عليه وسلم) ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) متفائلا في كل أحواله ، في وقت عسره ويسره ، وسلمه وحربه. وكان (صلى الله عليه وسلم) يحب الفأل في أمره كله حتى في الصوت الذي يسمعه كان (صلى الله عليه وسلم) يتفاءل به ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سَمِعَ صَوْتًا فَأَعْجَبَهُ ، فَقَالَ : (قَدْ أَخَذْنَا فَأْلَكَ مِنْ فِيكَ) (رواه أحمد)، وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) فَقُلْتُ: يَا أُمَّتَاهُ ، حَدِّثِينِي شَيْئًا سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (الطَّيْرُ تَجْرِي بِقَدَرٍ)، وَكَانَ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ الْحَسَنُ (رواه أحمد) ، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِىَّ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ لاَ يَتَطَيَّرُ مِنْ شَىْءٍ ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلاً سَأَلَ عَنِ اسْمِهِ فَإِذَا أَعْجَبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ وَرُؤِىَ بِشْرُ ذَلِكَ في وَجْهِهِ ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُؤِىَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِى وَجْهِهِ ، وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنِ اسْمِهَا فَإِنْ أَعْجَبَهُ اسْمُهَا فَرِحَ بِهَا وَرُؤِىَ بِشْرُ ذَلِكَ فِى وَجْهِهِ وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهَا رُؤِىَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ في وَجْهِهِ) (رواه أبو داود).

وقد كان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يحب الفأل الحسن، ويكره التشاؤم والطيرة ، ففي مسند الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة قال:كان رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يحب الفأل الحسن، ويكره الطيرة.

ونهى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن الطيرة، فقال: لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة) (متفق عليه). وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لا طِيَرة، وخيْرُها الفأْلُ)، قالوا: وما الفأْلُ يا رسول الله؟ قال: (الكلمة الصالحةُ يسمعها أحدُكم)، وفي رواية أخرى: (لا طِيَرة، ويعجبني الفأْلُ: الكلمة الحسنة ، الكلمة الطيبة)، وفي رواية: (وأحبُّ الفأْلَ

الصالح). والطيرة- بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن -: هي التشاؤم بالشيء ، وأصله أنهم كانوا في الجاهلية إذا خرجوا لحاجة فإن رأوا الطير طار عن يمينهم، فرحوا به، واستمروا، وإذا طار عن يسارهم، تشاءموا به ورجعوا، وربما هيجوا الطير لتطير، فيعتمدوا ذلك، فكان يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضر.

وإنما كان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يعجبه الفأل، لأن التشاؤم سوء ظن باللهِ تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حُسنُ ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) (متفق عليه).

ولقد ضرب (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أروع المثل للأمة في حسن الظن بالله والثقة في وعوده ، ففي أشد الأزمات يبشر المؤمنين بالفتح والنصر والتمكين، فعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: إِنّ اللهَ زوي لِيَ الأَرْضَ ، فَرَأَيْت مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا فَإِنّ أُمّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ. (أخرجه مسلم وأحمد). كما نهى (صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن تقنيط وتيئيس المرء لمن حوله مهما كانت الظروف والأحوال، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِذَا سَمِعْتَ الرّجُلَ يَقُولُ: هَلَكَ النّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ)، وفي رواية: (إِذَا سَمِعتُمْ رَجُلاً يَقُولُ: قَدْ هَلَكَ النّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ، يَقُولُ اللهُ: إِنّهُ هُوَ هَالِكٌ) (أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، ومسلم).

ومن المواقف التي تجلت فيها قيمة التفاؤل في حياته (صلى الله عليه وسلم) :

 أثناء الدعوة في مكة : رغم شدة الأذى والألم بكل صوره ، لم يفارقه (صلى الله عليه وسلم) التفاؤل ، وكان يبثه إلى أصحابه ، فعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ (رضي الله عنه) قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) وَهْوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، قُلْنَا لَهُ : أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا ، قَالَ : (كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُون) (رواه البخاري).

 يوم الأحزاب، فلقد اجتمعت كلمة الشرك على القضاء على الإسلام وأهله ، والمسلمون محاصرون في المدينة ، قال تعالى مصورًا حال المؤمنين يوم الأحزاب: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ

جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا *هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً}[الأحزاب: ٩-١١] ، فكان التفاؤل هو شعار النبي (صلى الله عليه وسلم) ؛ لأنه نابع عن الثقة في الله عز وجل ، فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الخَنْدَقِ لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: (بِسْمِ اللَّهِ) ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا) ، ثُمَّ قَالَ: (بِسْمِ اللَّهِ) ، وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا)، ثُمَّ قَالَ:(بِسْمِ اللَّهِ)، وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا) (رواه أحمد).

ومن ثم فإن الإسلام يرفض التشاؤم ، لأنّه سمة المنهزمين ، ويدعو إلى التفاؤل الحسن لأنّه حال المنتصرين ، بل إن الله (عز وجل) يتعامل مع خلقه على قدر تفاؤلهم وظنهم به ، فمن حسن ظنه بالله واستبشر بالخير وأيقن أن الله يقدّر له الخير كان له من الخير على قدر ظنه بالله ،

ومن ظن بالله غير ذلك كان له أيضا على مثل ما ظن به في الله . قال تعالى في الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي بي ، إن ظن بي خيرًا فله ، وإن ظن بي شرًّا فله) (رواه مسلم) .

ثمرات التفاؤل:

إن للتفاؤل ثمرات في حياة الإنسان مهما كانت الظروف والأحوال، فبه تتجدد الحياة ، ويزيد الإنتاج والعطاء ، وبه يتغلب المرء على المعوقات والصعاب ، فهو النظرة الإيجابية التي تنطلق من الإيمان بالقضاء والقدر ، ومن آثار التفاؤل:

١. أنه يربي في الإنسان حسن الظن بالله تعالى، وهذا بلا شك يدعو إلى الإقبال على الله تعالى بالعبادة وبالطلب والرجاء .

٢. أنه يبعث في النفس السرور والراحة والطمأنينة، فلا يخاف المؤمن على رزقه ويدفعها إلى أن تؤمّل في الله تعالى بتحقيق رجائها وقبول دعائها .

٣. وفي التفاؤل اقتداء بسيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، حيث إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يعجبه الفأل الحسن، ويتفاءل في سائر أحواله .

٤. أن التفاؤل يؤدي إلى إنجاز العمل وكثرة الإنتاج.

إن الناس اليوم بحاجة ماسة إلى مَن يبثُّ في نفوسهم الأمل والتفاؤل، ويُيسِّر لهم طريق الخير.

الاستغفــار وأســـراره

الاستغفار: مأخوذ من مادة (غ ف ر) التي تدل على الستر في الغالب الأعم، فالغفر الستر، والغفر والغفران بمعنى (واحد)، قال ابن منظور: أصل الغفر التغطية والستر.(لسان العرب).

والاستغفار : طلب المغفرة للذنوب إما بالدعاء وإما التوبة وإما بغيرهما من الطاعة. (الفروق اللغوية بتصرف)، وذكر ابن القيم (رحمه الله) أن الاستغفار : هو طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس أنه الستر، فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له. (مدارج السالكين).

مكانتـــــه:

لقد دعانا الله (عز وجل) إلى الاستغفار وأمرنا بالمسابقة والمسارعة إليه، فقال تعالى:{وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[البقرة:٢٢١]، وقال تعالى:{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}[آل عمران:١٣٣]، وقال سبحانه :{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}[الحديد:٢١]، والمغفرة الواردة في الآيات السابقة لا تأتي إلا بطلب الاستغفار قولا أو عملا ، وعبّر عن الاستغفار بلازمه حثًّا على المسارعة إليه.

ولبيان منزلة الاستغفار ومكانته قرنه الله (عز وجل) بالعديد من

العبادات والطاعات، والحكمة في ذلك الإرشاد إلى التواضع ، وعدم العجب بالطاعة، وإظهار التقصير في العبادة بالنسبة لجلال الحق وعظمته، فقرنه بالأمر بتوحيده، فقال تعالى:{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد:١٩].

فقد قرنه (سبحانه وتعالى) بالصلاة والزكاة وقراءة القرآن، والسعي على المعاش، قال تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المزمل:٢٠].

وقرنه (سبحانه وتعالى) بمناسك الحج وشعائره ، فقال تعالى:{ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة:١٩٩].

وقرنه (سبحانه وتعالى) بالصبر والتسبيح بالحمد، فقال تعالى:{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} [غافر:٥٥]، وقال تعالى:{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر:٣].

وقد علمنا النبي (صلى الله عليه وسلم) **أن نستغفر الله (عز وجل) بعد الانتهاء من العبادة والطاعة**، فعن ثوبان (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال: (اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ ، وَمِنْك السَّلَامُ ، تَبَارَكْت يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (رواه مسلم).

إن الاستغفار من أعظم أخلاق الأنبياء والمرسلين، فقد كانت ألسنتهم رطبة به دائما ؛ فآدم وحواء (عليهما السلام)، يقول تعالى على لسانهما: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين} [الأعراف:٢٣] ، ونوح (عليه السلام) يقول تعالى على لسانه:{رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا}[نوح:٢٨]، والخليل إبراهيم (عليه السلام) يقول تعالى على لسانه:{رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} [إبراهيم:٤١] ، والكليم موسى (عليه السلام) يقول تعالى على لسانه: {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [القصص:١٦]، وداود (عليه السلام) يقول تعالى في حقه:{وَظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ راكِعاً وَأَنابَ}، وسليمان (عليه السلام) يقول تعالى عنه:{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ وَأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ * قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}[ص:٣٤-٣٥]، وقد صحّ عن النبيّ (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يستغفر الله (عزّ وجلّ) في اليوم أكثر من سبعين مرة.

من مواطــن الاستغفــار:

الاستغفار هو دأب الصالحين ، وهو مستحبٌ في كل حال، ويكون أشد استحبابًا في المواطن الآتية:

١. **عند النوم**: فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشَهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ وَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي ، وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ) (متفق عليه).

٢.**وبعد الوضوء**: فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، كُتِبَ فِي رَقٍّ ثُمَّ طُبِعَ بِطَابَعٍ فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) (رواه النسائي).

٣.**وبعد الصلاة فرضا كانت أو نفلا**: فعن ثوبان (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال: (اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ ، وَمِنْك السَّلَامُ ، تَبَارَكْت يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (رواه مسلم)، وعن أبي بكر (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا؛ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ}[آل عمران:١٣٥] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ) (رواه أبوداود).

٤. **في حلق الذكر**: فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ

الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ الله (عَزَّ وَجَلَّ) وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) (رواه مسلم).

٥.**وعند ركوب الدابة** (**أو أي وسيلة انتقال حديثة**): فعن عَلِيّ (رضي الله عنه) أنه أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ؛ قَالَ: (بِسْمِ اللَّهِ) ثَلَاثًا، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: (الحَمْدُ لِلَّهِ)، ثُمَّ قَالَ: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} [الزخرف:١٤]، ثُمَّ قَالَ: (الحَمْدُ لِلَّهِ) ثَلَاثًا، (اللَّهُ أَكْبَرُ) ثَلَاثًا، (سُبْحَانَكَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)، ثُمَّ ضَحِكَ. فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) صَنَعَ كَمَا صَنَعْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ

ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟). قَالَ: (إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ) (رواه الترمذي).

٦.**وعند النوازل**: فعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: خسفت الشمس، فقام النبي (صلى الله عليه وسلم) فزعا، يخشى أن تكون الساعة ، فأتى المسجد، فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله، وقال: (هَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ ، لاَ تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ، وَدُعَائِهِ، وَاسْتِغْفَارِهِ) (متفق عليه).

٧.**وعند الانتهاء من مجالس الأصدقاء**: فعن أبي برزة الأسلمي (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا جلس في المجلس فأراد أن يقوم ، قال: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ). فقالوا: يا رسول الله ، إنك لتقول الآن كلاما ما كنت تقوله فيما خلا، فقال: هَذَا كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجَالِسِ) (رواه الدارمي).

٨.**ولمن يلتزم أوامر هذا الدين**، **ويساعد في أعمال الخير**: فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) في حديث طويل...أن النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) لما أراد أن يبني مسجده قال: (يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا) قَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالْخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ،

فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الْحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَالنَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ) (متفق عليه).

٩.**وعند اقتراف الذنوب والمعاصي**: فعن بريدة بن الحصيب (رضي الله عنه) قال: جاء ماعز بن مالك (رضي الله عنه) إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله طهرني. فقال: (وَيْحَكَ ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ). قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء، فقال: يا رسول الله طهرني، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ). قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء، فقال: يا رسول الله، طهرني، فقال النبيُّ (صلى الله عليه وسلم): مثل ذلك...) (رواه مسلم).(ويحك) ويح: كلمة ترحم وتوجع، تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها.

١٠.**وعند المحتضرين**: فعن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: دخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على أبي سلمة وقد شقّ بصره، فأغمضه، ثم قال: (إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ) فضج ناس من أهله، فقال: (لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ) ثم قال: (اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ) (رواه مسلم).

١١.**وعند الصلاة على الجنازة**: فعن عوف بن مالك (رضي الله عنه) قال: صَلَى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على جنازة ، فحفظت من دعائه

وهو يقول: (اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ـ أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ). قال: حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت) (رواه مسلم).

١٢.**وعند زيارة القبور**: فعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) في حديث طويل...أن النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) قال لها : (فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ فَنَادَانِي، فَأَخْفَاهُ مِنْكِ، فَأَجَبْتُهُ، فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ) (رواه مسلم).

من فوائد الاستغفار:

١. **يكفر فلتات اللسان**، **وحدته**: فعن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) قال: يا رسول الله، إني ذرِب اللسان ـ أي: حاد اللسان ـ، وإن عامة ذلك على أهلي، فقال: (أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ؟، إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ فِي الْيَوْمِ ـ أَوْ فِي الْيَوْمِ والليلة ـ مِائَةَ مَرَّةٍ) (رواه النسائي).

٢. **يكفر غفلات القلب عن ذكر الله**: فعن الأغر المزني (رضي الله عنه)، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ) (رواه مسلم).

٣. **سبب في صنوف النعم**، **ومن أسباب المدد**، **والقوة**: فقد قال الله تعالى على لسان نوح (عليه السلام) ناصحًا ، ومرشدًا لقومه : {فَقُلْتُ

اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا}[نوح:١٠-١٢]، وقال تعالى على لسان هود (عليه السلام) وهو ينصح لقومه أيضا، ويرشدهم: {وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ}[هود:٥٢].

٤. **من أسباب الرحمة، ورفع البلاء**: فقد قال الله تعالى على لسان صالح (عليه السلام) : {قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[النمل:٤٦]، ويقول تعالى مخاطبا النبيَّ (صلى الله عليه وسلم):{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}[الأنفال:٣٣].

٥. **نوع من أنوع الصدقة المعنوية**: فعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ، وَحَمِدَ اللهَ، وَهَلَّلَ اللهَ، وَسَبَّحَ اللهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ السُّلَامَى، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ) (رواه مسلم). ومن ثم فلا غنى للمسلم عن الاستغفار في كل أحواله.

الإصـــــــلاح

من الأخلاق العظيمة التي تحافظ على روابط المجتمع وألفته، وتديم مودته ومحبته، وتدفع عنه النقم والبلايا ، خلق الإصلاح.

والإصلاح مشتق من مادة (ص ل ح) التي هي ضد الفساد. (لسان العرب) ، والمقصود به في الشريعة الإسلامية: العمل على إزالة أسباب الفساد والشقاق من الأنفس والمجتمعات، والسعي للتقارب بين الناس.

مكانته:

وللإصلاح في الشريعة الإسلامية منزلة عالية ، ومكانة سامية، والمتأمل في آيات الإصلاح في القرآن الكريم يجد أن كلمة الإصلاح وردت بمشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة، والإكثار من ذكر الشيء يدل على العناية به ، ويدل كذلك على شرفه وعلو مكانته، ودليل على أن الإسلام يهدف إلى تحقيق قيمة الإصلاح بين الناس في عقيدتهم، وسلوكهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم.

لذا كان **الإصلاح دعوة جميع الأنبياء والمرسلين** (**عليهم السلام**)، فكانت دعوتهم إصلاح الكون من الفساد والمعاصي، ومن سائر الأمراض الاجتماعية التي تفشت في المجتمعات ، فهذا خطيب الأنبياء شعيب (عليه السلام) يعالج الفساد العقدي الذي كان منتشرًا في قومه والذي أدى إلى الفساد الاقتصادي، يقول الله تعالى على لسانه:{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

مُحِيطٍ*وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}[هود:٨٤ـ٨٨].

وهذا نبي الله صالح (عليه السلام) يأمر قومه بعدم اتباع المفسدين، مما يعني الإصلاح واتباع المصلحين، فيقول الله على لسانه:{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} [الشعراء:١٥٠ـ١٥٢].

والإصلاح وصية نبي الله موسى (عليه السلام) لأخيه هارون (عليه السلام) حيث يقول له: {اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ١٤٢]، ولم يبخل نبي الله موسى (عليه السلام) بالنصيحة لقارون الذي فُتن بماله واستغله في الإفساد في الأرض، فقال له:{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[القصص:٧٧]، فالإصلاح رسالة جميع الأنبياء والمرسلين.

ولقد ربط القرآن الكريم بين الإيمان بالله (عز وجل) والإصلاح، فقال تعالى:{فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[الأنعام:٤٨].

وربط بين التقوى والإصلاح، فقال تعالى:{فَمَن اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[الأعراف:٣٥].

وربط بين التوبة والإصلاح، فقال تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا}[البقرة:١٦٠]، وقال تعالى:{فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا}[النساء:١٦]، وقال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[النور:٥]، فالإصلاح إذًا هو ثمرة الإيمان والتقوى والتوبة.

إن الإصلاح هو الحصن الحصين لبقاء المجتمعات، والحفاظ عليها، فلو تركت المجتمعات بدون إصلاح ، وبدون أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وبدون أخذ على يد الجناة والعصاة والمذنبين لفسدت وهلكت، وعاجلها الله بعقابه ، قال تعالى:{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[آل عمران:١٠٤]، وقال تعالى:{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[هود:١١٧]، وعن أبي بكر (رضي الله عنه) أنه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا أيها الناس ، إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها:{عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}[المائدة:١٠٥]، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ) (رواه أبو داود)، وعن زينب بنت جحش (رضي الله عنها) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) دخل عليها فزعا يقول: (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ). وحلق بإصبعه

الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ) (متفق عليه).

ولقد أباح الشرع الشريف الكذب مع أنه من كبائر الذنوب ، من أجل الإصلاح بين الناس حتى تتحقق الألفة والترابط بين الأفراد والمجتمعات ، وقطعًا لدابر الفساد، فعن أم كلثوم بنت عقبة (رضي الله عنها) أنها سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَيَنْمِي خَيْرًا ، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا) (متفق عليه واللفظ للبخاري).

أنواع الإصلاح:

١. **إصلاح النفس الإنسانية لك وللغير**: والأولى إصلاحها يكون بعبادة الله سبحانه وتعالى، والثانية بالدعوة إليه سبحانه وإلى صراطه المستقيم، قال تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى*وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}[الأعلى:١٤-١٥]، وقال تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}[الشمس:٩-١٠]، وقال تعالى:{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[النحل:١٢٥]، وقال تعالى:{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[فصلت:٣٣]، ويدخل في ذلك إصلاح المجتمعات، وذلك بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأخذ على يد الظالم، والحدود، والعقوبات، قال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[آل عمران:١٠٤].

٢. **إصلاح ذات البين:** وهذا نوع خاص من النوع السابق ، و (ذات) بمعنى: صاحبة ، و (البين) من ألفاظ الأضداد التي تحتمل المعنى وعكسه، وهي تفسر بتفسيرين، الأول: بمعنى الفراق والفرقة ، وعلى هذا يكون معنى إصلاح ذات البين: إزالة أسباب الفرقة والتقاطع بين المؤمنين ، إما بردّ الحقوق إلى أصحابها ، أو بالتسامح والعفو ، أو بالتراضي على وجه من الوجوه ، أو بالتزاور والتلاقي ، أو بالهبة والهدية...إلخ ، وبهذا الإصلاح يذهب البين وتنحل عقد الفُرقة.

والثاني: بمعنى الوصل، والتحابب، والتعارف، والتآلف بين المسلمين، وإصلاحها على هذا المعنى يكون برأب ما تصدع منها، وإزالة الفساد الذي دبّ إليها بسبب الخصام والتنازع على أمر من أمور الدنيا. (الأخلاق الإسلامية وأسسها بتصرف)، قال تعالى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[الأنفال:١]، وهذا النوع من الإصلاح يندرج تحته صور متعددة:

منها: **الإصلاح بين المتقاتلين**، قال تعالى:{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[الحجرات:٩].

ومنها: **إصلاح الزوج أو الإصلاح بين الزوجين**، قال تعالى:{وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي

أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[البقرة:٢٢٨]، وقال تعالى:{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا}[النساء:٣٤ ، ٣٥].

ومنها: **الإصلاح بين الورثة عند الاختلاف في قسمة الميراث**، قال تعالى:{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[البقرة:١٨٠ - ١٨٢].

ومنها: **الإصلاح بين الناس عموما، في كافة القضايا والخلافات** ، قال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[الحجرات:١٠].

٣. **إصلاح أمور وأحوال الفئات الضعيفة:** كإصلاح أحوال اليتامى ، قال تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ

فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[البقرة:٢٢٠]، وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ عَالَ ابْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ بَنَاتٍ، أَوْ أُخْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ أَخَوَاتٍ، حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُوتَ عَنْهُنَّ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ)، وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى. (رواه أحمد). (من عال) أي: قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما. (يبن) أي: ينفصلن عنه بتزويج أو موت.

من فوائد الإصلاح:

١. الإصلاح فيه رضا الله ، ورضا رسوله (صلى الله عليه وسلم)، قال تعالى:{لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً}[النساء:١١٤]، وعن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأبي أيوب: (يَا أَبَا أَيُّوبَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى عَمَلٍ يَرْضَاه اللَّهُ وَرَسُولُهُ) قَالَ : بَلَى ، قَالَ : (تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا، وَتُقَارِبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا) (رواه الطبراني في الكبير).

٢. الاشتغال بالإصلاح أفضل من الاشتغال بنوافل العبادات والطاعات ؛ فهو باب عظيم من أبواب الحسنات ، ويشهد له آية النساء السابقة ، وما جاء عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ). قالوا: بلى. قال: (صَلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ) (رواه الترمذي)، (الحالقة) تحلق الدين.

٣. الإصلاح نوع من أنواع الصدقة على النفس ، ونوع من أنواع الشكر لله على آلائه ونعمائه، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) (متفق عليه)، (سلامى) أصله عظام الأصابع وسائر الكفِّ ، ثم استعمل في جميع عظام البدن . (تعدل بين الاثنين) أي: تصلح بينهما بالعدل.

٤. الإصلاح لا تستقيم الحياة إلا به ، فلو تركت النزاعات والخلافات بدون إصلاح لعمت الفوضى في المجتمع ، وانتشرت الضغائن والأحقاد، وتقطعت أواصر الحب والمودة والرحمة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات ، ولا تصلح المجتمعات إلا به كما هو مبين في مكانته، فبدونه يستشري الفساد، وقسوة القلب ، وتضيع القيم الإنسانية الرفيعة.

٥. الإصلاح من أسباب مغفرة الذنوب وستر العيوب، قال تعالى:{وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[الأنعام:٥٤].

٦- الإصلاح من أسباب الرحمة في الدنيا والآخرة ، وكفى بذلك فائدة، قال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[الحجرات:١٠].

الاستقـــامـــة

الاستقامة على شرع الله تعالى منزلة عظيمة من منازل الدين، وركيزة هامة من ركائز الإيمان بالله (عز وجل)، يجب على كل مسلم السعي لتحصيلها والثبات عليها، وحقيقتها: مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل. [التعريفات للجرجاني]، وقال عمرُ بنُ الخطاب (رضي الله عنه): الاستقامةُ أن تَسْتَقِيمَ على الأمْرِ والنَّهْي، ولا تروغ رَوَغَان الثَّعلب (تفسير البغوي)، فهي سلوك الصراط المستقيم ، من غير ميل عنه يمنة ولا يسرة ، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها ، الظاهرة والباطنة ، وترك المنهيات كلها ، الظاهرة والباطنة (جامع العلوم والحكم) ، قال الآلوسي في روح المعاني: والاستقامة كلمة جامعة لكل ما يتعلق بالعلم والعمل وسائر الأخلاق، أمر الله (عز وجل) بها أنبياءه ورسله ، قال تعالى: {فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [يونس: ٨٩] ، وأمر بها النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) بقوله: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[سورة هود :١١٢].

ولأثرالاستقامة في إصلاح الفرد والمجتمع حثّ النبي (صلى الله عليه وسلم) الأمة عليها ، فعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال (صلى الله عليه وسلم) : (قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ) (رواه مسلم)، وهذا الحديث يعد من جوامع كلمه (صلَّى الله عليه وسلَّم) حيث جمع النبي (صلى الله عليه وسلم) فيه الدين كلَّه، ولذا بوَّب الإمام النَّووي

على الحديث بقوله : باب جامع أوْصاف الإسلام ، فجماع الخير في الاستقامة بعد الإيمان، وهي خير كرامة.

والاستقامة ينبغي أن تكون خالصة لله (عز وجل) من حيث الالتزام بها لأنها قانون إلهي، قال تعالى : { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ} [فصلت : ٦] فقوله تعالى: {فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ}دعوة صريحة واضحة في الاستجابة لله (عز وجل) في كل ما أمر ونهى ، وفي قوله تعالى:{وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا}[سورة الجن:١٦]. يبين رب العزة أثر الاستقامة على أمره ، وما أعده للمستقيمين من الإغداق عليهم بالنعم الكثيرة، والعطاء الوفير.

وقد وضّح رسولنا (صلى الله عليه وسلم) سبل الاستقامة بقوله: (لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ) (رواه أحمد). وفي حجة الوداع يعطي النبي (صلى الله عليه وسلم) الأمة ركائز رئيسة قبل توديعها ، فيقول: (إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فلن تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ) (رواه البيهقي في السنن الكبرى) . وحتى يستطيع كل واحد منا أن يكون إنسانًا مستقيمًا في سلوكه، ناضجًا في تفكيره ، عفيفًا في أسلوبه ، فلا بد وأن يبدأ ذلك بتأسيس وتنشئة الأجيال عليها ، لنصل إلى جيلٍ معتدلٍ في التفكير والسلوك .

ثمرات الاستقامة

نزول السكينة على أهل الاستقامة ، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ

قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ}[فصلت:٣٠]، فالملائكة تتنزَّل عليهم بالسُّرور والبشرى في مواطن عصيبة ، قال وكيع: البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت ، وفي القبر ، وعند البعث . (تفسير القرطبي).

١. **البشرى بالجنة** ، قال تعالى: {وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} .

٢. **سعة الرزق في الدنيا** ، قال تعالى:{وَأَلَّوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْناهُمْ مَاءً غَدَقاً}[الجن: ١٦] ، والمراد بذلك سعة الرِّزق ، قال سيدنا عمر بن الخطَّاب (رضِي الله عنْه) : " أيْنما كان الماء كان المال".

٣. **انشراح الصدر والحياة الطيبة:** قال تعالى:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل: ٩٧].

مقومات تعين على الاستقامة ، منها :

١. **فعل الطاعات والاجتهاد فيها ومجاهدة النفس عليها** ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) (رواه البخاري).

٢. **الإخلاص في العلم والعمل:** قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}[الرُّومِ: ٣٠].

٣. **الدُّعاء**:قال تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[الفاتحة: ٦].

٤. **الإكثار من قراءة القرآن**: قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}[الإسراء: ٩] ، وقال تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ} [التَّكْوِير: ٢٧-٢٨].

٥. **مجالسة الصالحين**: قال تعالى:{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا}[هود: ١١٢].

معوقات في طريق الاستقامة:

كما أن للاستقامة مقومات تعين العبد عليها فإنَّ لها معوقاتٍ تقف في طريق العبد لتمنعه من الاستقامة ، منها:

١. **الاستهانة بالمعصية**: فإن العبد متى استهان بالمعاصي واستباحها كان ذلك سببًا في مرَض قلبِه وبُعْده عن ربّه ، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ) (رواه أحمد)، وقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ : "بِقَدْرِ مَا يَصْغَرُ الذَّنْبُ عِنْدَكَ يَعْظُمُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَبِقَدْرِ مَا يَعْظُمُ عِنْدَكَ يَصْغَرُ عِنْدَ اللَّهِ " (الجواب الكافي لابن القيم).

٢. **الانشغال بالدنيا عن الآخرة**: فالإنسان لو انشغل بالدنيا عن الآخرة أبعدته عن الطريق المستقيم حتى تهلكه ، فعن عَمْرِو بْن عَوْفٍ (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ

أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُم) (رواه البخاري).

٣. **مجالسة العصاة والمفسدين** ، قال تعالى:{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} [هود: ١١٣].

٤. **التسويف**: ومعناه التأخير في تنفيذ المطلوب بدون مبرر شرعي ، وهذا من الأماني ، كيف يؤجل التوبة لغد وهو لا يملك الغد؟ قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [الْمُنَافِقُونَ: ٩].

٥. **الاغترار بالأعمال الصالحة** ، فكم من طاعة أهلكت صاحبها إذا اغتر بها وفرح، قال تعالى:{أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}[الأعراف:٩٩]، فأهل الاستقامة يفعلون الطاعة وقلوبهم وجلة من عدم قبولها ، قال تعالى: { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ }[الْمُؤْمِنُونَ:٦٠] ، فقد سَأَلت السيدة عائشة (رضوان الله عليها) رَسُول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) عَن هَذِه الْآيَة ، قَالَت: هم الَّذين يشربون الْخمر وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: (لَا يَا ابْنة الصّديق، وَلَكنهُمْ الَّذين يَصُومُونَ وَيصلونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وهم يخَافُونَ أَلا يقبل مِنْهُم) (رواه الترمذي).

٦. **دخول الهوى في القلب**: ولا بد أن يُعلم أن الهوى إذا دخل في

الشيء فسد، وتكون نتيجته وخيمة.

إن الاستقامة في الحياة هي أقصر الطرق وأعدلها للوصول إلى الغاية الأسمى وهي رضا الله (عز وجل) ، أما الخروج عنها فلن ينتج إلا الشقاء في الدنيا والآخرة.

الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكـــر

من الأخلاق الإسلامية العظيمة التي لا بد منها لصلاح الأفراد والمجتمعات خلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمعروف : من العُرف ، ويقصد به كل خير تعرفه وتطمئن إليه النفس، وهو اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس ، وكل ما ندب إليه الشرع ، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات.

والمنكر : من النُكر ضد المعروف ، ويقصد به كل شر لا تعرفه النفس ولا تطمئن إليه، وهو كل ما قبحه الشرع وحرمه ونهى عنه.(نضرة النعيم).

وقد عرفهما علماء الاصطلاح بتعريفات متقاربة ولا تخرج عن المعنى اللغوي كثيرًا ، فقيل: الأمر بالمعروف: هو الإرشاد إلى المراشد المنجية، والنهي عن المنكر: الزجر عما لا يلائم في الشريعة. وقيل: الأمر بالمعروف الدلالة على الخير ، والنهي عن المنكر : المنع عن الشر ، وقيل: الأمر بالمعروف: أمر بما يوافق الكتاب والسنة ، والنهي عن المنكر : نهي عما تميل إليه النفس والشهوة. وقيل: الأمر بالمعروف : الإشارة إلى ما يرضي الله تعالى من أقوال العبد وأفعاله. والنهي عن المنكر: تقبيح ما تنفر عنه الشريعة والعفة وهو ما لا يجوز في شرع الله تعالى. (التعريفات للجرجاني)

وحاصل هذه التعريفات يدل على عظم وأهمية هذا الخلق الجليل الذي تسود به قيمُ المودة والرحمة في المجتمع .

أهمية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:

١. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صورة من صور الإصلاح ، حتى إن كثيرًا من العلماء عدّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الركن السادس من الأركان التي يقوم ويبنى عليها الدين الإسلامي.

٢. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم مهام الأنبياء والمرسلين، وكلّف الله تعالى به جميع الأمم ، قال تعالى:{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}[النحل:٣٦]، وقال تعالى:{لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ*يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ}[آل عمران:١١٣-١١٤].

٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخصّ صفات النبي (صلى الله عليه وسلم)؛ وقد نصّ عليه الحق تبارك وتعالى في الكتب السماوية السابقة عند الحديث عن صفات النبي (صلى الله عليه وسلم) ، حيث قال: {وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ

وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[الأعراف: ١٥٦ـ١٥٧].

٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخصّ صفات المؤمنين وقدمه الحق تبارك وتعالى على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فقال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[التوبة:٧١]، وكتب رجل من أهل العراق إلى ابن الزبير حين بويع فقال له : (سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ لِأَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ وَأَهْلِ الْخَيْرِ عَلَامَةً يُعْرَفُونَ بِهَا وَتُعْرَفُ فِيهِمْ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّمَا مَثَلُ الْإِمَامِ مَثَلُ السُّوقِ يَأْتِيهِ مَا زَكَّى فِيهِ فَإِنْ كَانَ بَرًّا جَاءَهُ أَهْلُ الْبِرِّ بِبِرِّهِمْ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا جَاءَهُ أَهْلُ الْفُجُورِ بِفُجُورِهِمْ) (الزهد لهناد بن السرّي).

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أسباب خيرية الأمة، قال تعالى:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}[آل عمران:١١٠].

٦. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمان المجتمعات ، فلو ترك كل إنسان يفعل وما يريد لهلكت المجتمعات وفسدت ، واضمحل أمر الدين ، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة واستشرى الفساد، والنبي (صلى

الله عليه وسلم) يقول: (مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا) (رواه البخاري).

٧. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه أمانٌ للأمة من العذاب ، فعن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ) (رواه الترمذي).

٨. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أسباب النصر والتمكين في الأرض، والقضاء على الأعداء ، قال تعالى:{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ*الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج:٣٩-٤١].

٩. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه نجاة من الهلاك ، والعذاب، والعقاب ، قال تعالى:{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا

يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}[المائدة:٧٨، ٧٩]، وقال تعالى:{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}[الأعراف:١٦٥].

١٠. في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تهيئة للبيئة المناسبة لنمو الآداب والفضائل، واختفاء المنكرات والرذائل ، وتربية الضمير العفيف والوجدان اليقظ، وتكوين الرأي العام المسلم الحر الذي يحرس آداب الأمة وفضائلها وأخلاقها وحقوقها ويجعل لها شخصية وسلطانًا هو أقوى من القوة وأنفذ من القانون.

آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أولا: **بعض آداب الآمر الناهي**:

١. أن يخلص في أمره ونهيه لوجه الله ، فلا يكون أمره ونهيه للرياء والسمعة، أو الفخر والمباهاة.

٢. أن يكون عالمًا بما يأمر به وينهى عنه ففاقد الشيء لا يعطيه.

٣. أن يكون قادرًا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يكلف به العاجز.

٤. أن لا يتجسس ، ولا يتحسس المنكر حتى ينهى عنه.

ثانيا: **بعض ما يشترط في الشيء المنهي عنه**:

١. أن يكون مجمعًا على إنكاره لا خلاف فيه ، فلا ينكر في المسائل الخلافية.

٢. أن يكون المنكر موجودًا في الحال.

٣. أن يكون المنكر ظاهرًا لا يحتاج في إنكاره إلى تجسس ولا تحسس

كما تقدم، فقد روي أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) تسلق دار رجل، فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن كنتُ أنا قد عصيتُ الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه. فقال عمر: وما هي؟. فقال الرجل: قد قال تعالى:{وَلَا تَجَسَّسُوا} [الحجرات:١٢]، وقد تجسست ، وقال تعالى:{وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا} [البقرة:١٨٩]، وقد تسورت من السطح. وقال تعالى:{لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا}[النور:٢٧]، وما سلمت. فتركه عمرُ وشرط عليه التوبة. (إحياء علوم الدين بتصرف).

٤. أن لا يترتب على إنكار الشيء ضرر أكبر ، أو مساو له.

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المرتبة الأولى: التعرف بدون تجسس ولا تحسس، ولاتسمّع...إلخ كما تقدم، وإنما يكون التعرف بالإخبار ، قال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}[الحجرات:١٢].

المرتبة الثانية: التعريف: فبعض الناس قد يقع في المنكر بجهله وإذا عرف أن ما فعله منكرا تركه ، فهؤلاء يجب تعريفهم المنكرات باللطف من غير عنف، وهذا هو دور الدعاة إلى الله ، قال تعالى:{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[فصلت:٣٣].

المرتبة الثالثة: النهي: بالنصح، والوعظ، والتخويف بالله (عزّ وجلّ)، وذلك فيمن يقدم على المنكر وهو عالم بكونه منكرا، أو فيمن يصر عليه بعد أن عرف كونه منكرا، كالذي يواظب على الزنا، وشرب الخمر، أو على ظلم الناس ، أو على اغتياب المسلمين...إلخ ، فينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى ، وتلقى على مسامعه آيات وأحاديث الوعيد التي تحذر من هذا المنكر ، وتُحكَى له سيرة السلف ، وعبادة المتقين، وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب ، بل ينظر إليه نظر المترحم عليه ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه ، إذ المسلمون كنفس واحدة ، ويمثل لهذا بحوار إبراهيم (عليه السلام) مع أبيه وقومه من عبّاد الأصنام، قال تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا}[مريم:٤١-٤٨].

وقال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ* قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ *

قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [الشعراء: ٦٩ ـ ٨٣].

المرتبة الرابعة والأخيرة: التغيير باليد : وهذا موكول لأولي الأمر من الحكام والأمراء ومن يقوم مقامهم بالطريقة التي يرونها صالحة في ذلك، كإزالة المنكرات بتكسيرها وتخريبها ، أو بحبس أو تعزير ، أو حتى بضرب أهل المنكر كما كان يفعل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بدرته (عصا خفيفة)، وقد تصل هذه المرتبة إلى جمع الأعوان ، والأعداد من الرجال واستخدام السلاح ، وإزهاق الأرواح كما هو الواقع الآن في محاربة الإرهابيين في أراضي سيناء ، أو اقتحام أوكار تجار المخدرات، والبلطجية ، وقطّاع الطرق ، فعن طارق بن شهاب (رضي الله عنه) قال: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان. فقام إليه رجل، فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال: قد ترك ما هنالك، فقال أبو سعيد (الخدري) : أما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) (رواه مسلم).

تحــري الحـــلال

إن السعي في الأرض لطلب الرزق مطلب شرعي أمر به ديننا الحنيف ، وهو أمرٌ فطري ، وهو حتم واجب على كل قادر محتاج إليه، به تعمر الأرض وتتحقق خلافة الإنسان فيها ، قال تعالى:{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}[البقرة:٣٠]، ويحفظ المرء به مروءته وكرامته ، لذا حثَّ القرآن الكريم من خلال آياته على السعي على المعاش والعمل ، وجاء الأمرُ بالانتشار في الأرض طلبًا للرزق الحلال بعد الأمر بالصلاة ، يقول تعالى:{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[الجمعة:١٠] ، وقال تعالى:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}[الملك:١٥]. وكان سيدنا عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ : (اللَّهُمّ إِنِّي أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ ، وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي، فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ وَأَنتَ خَيْرُ الرّازِقِين).

وليعلم العبد أن أفضل ما أكله ما كان من سعيه وكدِّه وتعبه هو ، فلا ينتظر عطية ولا هبة ولا يتطفل على أحد ، فعن المقدام بنِ مَعْدِ يكرِبَ (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أنْ يَأكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِه ، وَإِنَّ نَبيَّ الله دَاوُدَ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يَأكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) (رواه البخاري).

ولقد جاء الوعيـد الشـديد من النبي (صلى الله عليه وسلم) لمـــن

تقاعس عن السعي وخلَد للكسل والراحة واطمأنّ إليها ، فضيَّع نفسه وسأل الناس وتكففهم ، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنَّ النَّبيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لاَ تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى الله تَعَالَى وَلَيْسَ في وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ) (متفقٌ عَلَيْهِ). المُزْعَةُ : القِطْعَةُ .

كما حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من سوء العاقبة لكل من تكاسل؛ فضيع من هم تحت ولايته ، فأهملهم وتركهم بلا عائل ولا نفقة؛ حتى ضاعوا في غياهب الفقر ، وذل الحاجة والمسألة ، فتكون النتيجة أن تتلقفهم يد الضلال والإجرام والفساد ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُول الله (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالمَرْءِ إثْمَاً أنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ) (رواه أَبُو داود)، وفي لفظ مسلم: (كَفَى بِالمَرْءِ إثْمَاً أنْ يحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ)، فلو لم يعمل المسلمُ من جرم إلا أنه حبس القوت عن أهله ، أو ترك السعي عليهم وتركهم يتكففون الناس ويطلبون بأنفسهم الأقوات على ضعفهم وصغرهم لكفاه ذلك الجرم أن يتبوأ به من سخط الله وغضبه مبلغًا.

ولقد جاء الأمر في القرآن الكريم بتحرى المال الحلال ، فلا يصح أن يأكل المسلم حرامًا، أو أن يُطعم أحدًا ممن يسعى عليهم ذلك ، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[المؤمنون:٥١]، وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[البقرة:١٧٢]. وذلك لما لتحري الحلال من أثر طيب في قبول العبادة ، فالله (عز وجل) طيب لا

يقبل إلا طيبًا ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تعالى:{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[المؤمنون:٥١] ، وَقَالَ تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}[البقرة:١٧٢] ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟)، فالمال الحلال والكسب الطيب يشرح الصدر ، ويكسب الطمأنينة ، ويعين على الطاعة.

ولقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الحلال في مجمله ظاهر واضح ، وبينه وبين الحرام أمور يعلمها أهل العلم ، ثم بيّن أن طلب الحلال وترك الحرام واجب محتم ، وأن تناول الحرام له عواقب سوء منها: فساد القلب وقسوته ، فعَنِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ (رَضي الله عنهُما) قال: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يقولُ : (إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وإنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ ، وبَينَهُما أُمُورٌ مُشتَبهاتٌ ، لا يَعْلَمُهنّ كثيرٌ مِن النَّاسِ، فَمَن اتَّقى الشُّبهاتِ استبرأ لِدينِهِ وعِرضِه، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ وَقَعَ في الحَرَامِ، كالرَّاعي يَرعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يَرتَعَ فيهِ ، ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وإنَّ حِمَى اللهِ محارِمُهُ ، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضغَةً إذا صلَحَتْ صلَحَ الجَسَدُ كلُّه ، وإذَا فَسَدَت فسَدَ الجَسَدُ كلُّه، ألا وهِيَ القَلبُ) (متفق عليه).

وكذلك حذرت الشريعة الإسلامية من الكسب الحرام لما له من آثار وخيمة على الأمة سواء على دينها أو قيمها أو أخلاقها.

ومن ثمَّ حرمت الشريعة الإسلامية كل صور المعاملات المحرمة التي من شأنها أن توغر الصدور ، وتفسد العلاقة بين المسلمين ، وتكون سببًا في عرقلة التنمية الاقتصادية ، فقد حرَّم الإسلام الربا بوصفه أولى العقبات في التنمية الاقتصادية ، ووسيلة سهلة لسرقة أموال الناس دون عمل، وسدَّ الطريق على كل من يحاول استثمار ماله عن طريق الربا، فحرّم قليله وكثيره ، يقول تعالى:{وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} [البقرة:٢٧٥]، ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِين * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة: ٢٧٨– ٢٧٩]، فهذا وعيد شديد لمَن لم يَنتهِ عن الرِّبا.

وكذلك أعلن الرسول (صلى الله عليه وسلم) حربه على الربا والمرابين ، وبيّن خطره على المجتمع ، فقال: (إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَة، فقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ)، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (لعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا ، ومُوكِلَه ، وشَاهِدَيْه ، وكَاتِبَهُ) ، فآكِل الربا مَلعون، واللعنَةُ: هي الطرد مِن رحمة الله (عزّ وجلّ) ، فعلينا بتقوى الله (سبحانه وتعالى) وأكْل الحلال، والبُعد عن أكل الحَرام ، والتعامل بالربا الذي يُطرَد آكِلُه من رحمة الله تعالى.

وكذلك حرمت الشريعة الإسلامية (الغش في التعامل بين المسلمين)، فقد أكد القرآن الكريم حرمة هذه الآفة الخطيرة ، وتوعد عليها بالويل

والخسران، لمن يتلاعب بالوزن والكيل ، فقال سبحانه: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} [المطففين:١– ٣].

فالغش خيانة وخداع ، وهو حرام بإجماع المسلمين ، وفاعله مذموم عقلاً وشرعًا ، وقد ثبت تحريم الغش بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فعموم الآيات التي تنهى عن أكل أموال الناس بالباطل، ومنها قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}[النساء:٢٩].وأما السنة فقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على تحريم الغش، ومنها قوله (صلى الله عليه وسلم):(مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا) (سنن الترمذي).

فوائد الكسب الحلال: ولكسب الحلال والسعي عليه فوائدُ جمَّةٌ جاءت بها السنة المطهرة ، منها:

١. أن السعي على الحلال سبب من أسباب قبول الدعاء واستجابة الرجاء ، وقبول العمل الصالح ، فالله (عز وجل) لا يقبل دعاء من دعاه ورجاء من رجاه ؛ إلا إذا كان طيّبَ المأكل والملبس والمشرب ، فالله (عزّ وجلّ) طيب لا يقبل إلا طيبًا من الأقوال والأعمال والنيات ، فلا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبا طاهرًا من المفسدات كلِّها ، كالرياء والعُجب ، ولا من الأموال إلا ما كان طيبًا حلالًا، طيب في كسبه، طيب في قصده، طيب في إحسانه وإتمام العمل على الوجه الأكمل بقدر الطاقة.

٢. السعي على طلب الحلال هو سعي في سبيل الله ، فالعبد يؤجر عليه ، لو مات في سعيه لكان موته في طاعة ، فعَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَجُلٌ ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ) (رواه الطبراني في الكبير).

٣. السعي في طلب الحلال من أسباب المغفرة للذنوب، فهو امتثال لأمر الله بالعفة وكفاية النفس والأهل ، فعن المقدام بن معد يكرب ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَا أَكَلَ رَجُلٌ طَعَامًا قَطُّ أَحَلَّ مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ ، مَنْ بَاتَ كَالًّا مِنْ عَمَلِهِ بَاتَ مَغْفُورًا لَهُ) (رواه الطبراني).

٤. السعي على الحلال سبب في الإنبات الطيب للذرية والأهل، فالعبد يَجِدُّ في السعي والطلب دافعه الأول لذلك الولد وإن كان لا يشعر ، لذا تجد الرجل العقيم يسعي في الأرض بتراخي لا يصارع على الدنيا، فليعلم العبدُ أن ولده الذي كان سببًا في خروجه يسعى ويصارع الناسَ في طلب الدنيا لن ينتفع به في دنيا ولا في آخرته إن أنفق عليه الحرام، ففي الحديث أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ إِنَّهُ لاَ يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلاَّ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ) (رواه الترمذي)،

فما نبت من حرام يؤول حاله إلى ما يستحق به النار من العمل والسعي الطالح، فكأنَّ صاحب الكسب الحرام إنما ينشئ عبادًا فسقة طغاة بنفقته الحرام عليهم ، فالخبيث ينبت خبيثًا ، فلا ينعم ببرهم في الدنيا ، ولا ينتفع بدعائهم ولا عملهم بعد وفاته ، لأن الله (عز وجل) قال:{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}[المائدة:٢٧]، وهم ليسوا من المتقين ، فلا يقبل لهم دعاء إن دعوا لأبيهم ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ) (رواه الترمذي).

ومن ثم فيجب على المسلم أن يتحرى الحلال في كسبه ونفقته وما يُدخله على نفسه وأهله ، وليحتسب سعيه في سبيل الله ، وليعلم أن أهله أمانة ، يسأل عنها يوم القيامة ، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : (كَانَ لأبي بَكر الصديق (رضي الله عنه) غُلاَمٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ ، فَجَاءَ يَوْماً بِشَيءٍ ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ الغُلامُ: تَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بكر: وَمَا هُوَ ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ في الجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ، إِلاَّ أَنّي خَدَعْتُهُ ، فَلَقِيَنِي، فَأَعْطَانِي لِذلِكَ ، هَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ)(رواه البخاري)، والخَرَاجُ: شَيْءٌ يَجْعَلُهُ السَّيِّدُ عَلَى عَبْدِهِ يُؤَدِّيهِ كُلَّ يَومٍ ، وَباقِي كَسْبِهِ يَكُونُ لِلْعَبْدِ. فيجب على العبد أن يتحرى الحلال ويطلبه ، ويبتعد عن الحرام وطرقه ، وليعلم أن في الحلال عطايا جمة، وأن في الحرام بلايا مستترة. نسأل الله تعالى من فضله وعطاياه.

التعـــاون على البـــر والتقـــوى

من الأخلاق الإسلامية العالية التي تدعو إلى الود والمحبة والترابط بين جميع أفراد المجتمع خلق التعاون على البرّ والتقوى ، فهو من ضروريات الحياة ، ولا تتحقق الأعمال ولا تبنى الأوطان ، ولا يعمر الكون إلا عن طريق التعاون ، جعله الله تعالى فطرة في جميع مخلوقاته، فكل المخلوقات تتحد وتتعاون في جمع طعامها وصدّ أعدائها، والإنسان أولى بالتعاون لما ميزه الله به من عقل وفكر .

والتعاون سلوك اجتماعي وحضاري يدل على التجانس والترابط بين أفراد الأُمّة الواحدة ، ويمثل شكلاً من أشكال التآخي والتآزر الاجتماعي في مواجهة التحديات والصعاب.

والتعاون من العون : وهو المظاهرة والمساعدة على الشيء. (لسان العرب) ، ومعناه في الشرع لا يختلف عن معناه اللّغويّ ، ومن ثمّ يمكن تعريف صفة التّعاون بأنّها : أن يظاهر المسلم أخاه ويعينه في فعل الخيرات ، وعلى طاعة الله (عزّ وجلّ) وتجنّب معصيته (نضرة النعيم).

وقد حرص الإسلام على دعم أواصر المحبة بين أفراد المجتمع مما يمنحه قوة وتماسكًا ، ويشيع روح التعاون بين الناس ، ويزيد المجتمع ثباتًا واستقرارًا .

التعاون ضرورة اجتماعية ، ودينية:

ولما كان الإنسان كائنًا اجتماعيًّا بطبعه ، فطره الله (عزّ وجلّ) على التعايش والتعاون مع الآخرين ، ولايستطيع إنسان مهما بلغ من أسباب

الرفاهية والرقيِّ والتقدم أن يعيش منعزلاً عن بيئته ومجتمعه ، فلكي تستقيم حياته لا بد له من التعاون مع غيره. إنه يعبر عن ضرورة التعاون بين الناس حتى يستطيعوا أن يحققوا ما يصبون إليه من أهداف، لأن الفرد لا يستطيع أن يحقق ذلك وحده ، كما أن اليد الواحدة لا تستطيع أن تصفق إلا إذا انضمت إليها اليد الأخرى. (قيم منسية للأستاذ الدكتور/ محمود حمدي زقزوق).

وكما أن التعاون ضرورة اجتماعية فهو أيضًا ضرورة دينية ، فالنهوض بالدعوة الإسلامية لا يتأتى من فرد بمفرده ، والدفاع عن الأعراض والمقدسات والحرمات ـ لا يتأتي أيضًا من فرد بمفرده بل لابد من تعاون المجتمع أجمع لتحقيق ذلك ، ولله درّ المتنبي حينما قال:

الناس للناس من بدو وحـاضـرة ** بعض لبعض وإن لم يشعـروا خدم

ومَن تأمَّل مقاصدَ الشّرع في العبادات ، والمعاملات ، والآدابِ ، الأخلاق، والأوامِر والنّواهي ، تبيّن أن له مقصدًا كبيرًا وغاية عُظمى، وهي جمعُ الكلِمة وغرسُ المحبّة وزرعُ الأُلفة ونشر المودّة بين أفرادِ الأمّة، والحثّ على التناصُر والتعاون ، والبعدُ عن أسباب العداوة والبغضاء وما يحمِل على الكراهة والشّحناء ، وما يثير الأحقادَ والأضغان ، والتحذيرُ الشديد مِن الطّعن في المسلمين والتّشهير بهم وإساءةِ الظنِّ بهم واتهامهم ببدعةٍ.

التعاون في القرآن الكريم:

١. لقد أمرنا القرآن الكريم بالتعاون على البرّ والتقوى صراحة ، من أجل التراحم ، والتعاطف ، والتحاب ، والتآلف والتوادّ وحثَّ على ذلك، فقال

تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[المائدة:٢]. قال الماورديُّ: ندب الله (سبحانه) إلى التَّعاون بالبرِّ ، وقرنه بالتَّقوى له؛ لأنَّ في التَّقوى رضا الله تعالى، وفي البرِّ رضا النَّاس، ومَن جمع بين رضا الله تعالى ورضا النَّاس فقد تمَّت سعادته، وعمَّت نعمته. (تفسير القرطبي).

٢. ونبيّ الله موسى (عليه السلام) يطلب من الله (عزّ وجلّ) أن يرسل معه أخاه هرون وزيرًا ليعاونه ويساعده في أمور الدعوة، وحكم بني إسرائيل، قال تعالى:{وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي}[طه:٢٩-٣٢] ومعنى:{اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي}أي: أحكم به قوَّتي، واجعله شريكي في أمر الرِّسالة ؛ حتى نتعاون على أدائها على الوجه الذي يؤدِّي إلى أحسن الغايات ، ويوصل إلى الغرض على أجمل السُّبل (تفسير المراغي).

٣. ونبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام) يتعاونان في بناء الكعبة ، قال تعالى:{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[البقرة:١٢٧]، كذلك عاون إسماعيل (عليه السلام) أباه إبراهيم (عليه السلام) في تنفيذ الأمر الإلهي بذبحه ، قال تعالى:{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}[الصافات:١٠٢].

٤. وذو القرنين يتعاون مع أمة من الأمم في بناء سدّ عظيم ، قال تعالى:

{ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}[الكهف:٩٢ ـ ٩٧].

ويتجلى التعاون على البر والخير بين المسلمين في صورة ما أجملها وما أرقّها في قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (متفق عليه). فمن منَّا بحث عن فقير فأطعمه ؟ ومن منَّا وجد يتيمًا فآواه؟، ومن منَّا رأى عريانًا فكساه؟

النبي (صلى الله عليه وسلم) والتطبيق العملي للتعاون على البر والتقوى:

١. النبي (صلى الله عليه وسلم) يعاون صحابته (رضي الله عنهم) في بناء المسجد النبوي بالمدينة ترغيبا في العمل فيه ؛ حتى يقول قائلهم: لَئِنْ قَعَدْنَا والنبيُّ يعملُ ... لذاك منا العمل المضلِّلُ (سيرة ابن هشام).

٢. النبي (صلى الله عليه وسلم) يعاون الصحابة (رضي الله عنهم) في حفر الخندق بالمدينة قبيل غزوة الأحزاب، فعن البراء بن عازب (رضي الله

عنه) قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم الأحزاب ينقل التراب ، وقد وارى الترابُ بياض بطنه، وهو يقول: (لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا ، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا ، إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا) (متفق عليه).

من صور التعاون على البر والتقوى في السنة النبوية:

١. **معاونة الخدم** : فيما كلفوا به من أعمال، فعن المعرور بن سويد قال: مررنا بأبي ذرّ (رضي الله عنه) بالربذة (مكان قرب المدينة) وعليه برد وعلى غلامه مثله، فقلنا: يا أبا ذرٍّ لو جمعت بينهما كانت حلة. فقال: إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام ، وكانت أمه أعجمية فعيّرته بأمّه، فشكاني إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فلقيت النبيّ (صلى الله عليه وسلم) فقال: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ) قلت: يا رسول الله من سبّ الرجال سبوا أباه وأمّه ، قال: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ) (متفق عليه).

٢. **معاونة الزوج** في أمور البيت وشئون المعيشة ، فعن الأسود بن يزيد النخعي قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ (رضي الله عنها): مَا كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: (كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ) (رواه البخاري)، ولما سئلت السيدة عائشة (رضي الله عنها) : هل كان رسول الله (صلى الله عليه

وسلم) يعمل في بيته شيئًا؟ قالت : (نَعَمْ كَانَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ) (رواه أحمد).

٣. **معاونة الزوج**: على أمور الحياة ، وشئون المعيشة، فعن عروة بن الزبير عن أمّه؛ أسماء بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما) قالت: تَزَوَّجَنِى الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِى الأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلاَ مَمْلُوكٍ ، وَلاَ شَىْءٍ غَيْرَ فَرَسِهِ ، قَالَتْ: فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ ، وَأَكْفِيهِ مَئُونَتَهُ، وَأَسُوسُهُ، وَأَدُقُّ النَّوَى لِنَاضِحِهِ، وَأَعْلِفُهُ، وَأَسْتَقِى الْمَاءَ، وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ، وَأَعْجِنُ. وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وَكَانَ يَخْبِزُ لِى جَارَاتٌ مِنَ الأَنْصَارِ. وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ ، قَالَتْ: وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِى أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) عَلَى رَأْسِي وَهْيَ عَلَى ثُلُثَي فَرْسَخٍ..) (رواه مسلم).

وعن ثوبان (رضي الله عنه) قال: لما أنزلت {والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}[التوبة:٣٤] قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: قد نزل في الذهب والفضة ما نزل، فلو أنا علمنا أيّ المال خير اتخذناه؟ فقال : (أَفْضَلُهُ لِسَانًا ذَاكِرًا ، وَقَلْبًا شَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُهُ عَلَى إِيمَانِهِ) (رواه أحمد)، فرضا الزوجة بحياة زوجها ومعيشته، ومعاونته، وخدمته كما تقدم في حديث السيدة أسماء (رضي الله عنها) من إعانة الزوجة لزوجها ؛ فلا تكلفه ما لا يطيق فيعاملها بما يغضب الله ، أو يضطر للحرام لكي يرضيها فينقص إيمانه.

٤. **معاونة المظلومين ، والمعتدى عليهم في رد حقوقهم إليهم**: فقد جاء رجل إلى النبيّ (صلى الله عليه وسلم) فقال: الرجل يأتيني فيريد مالي؟ قال: (ذَكِّرْهُ بِاللَّهِ) قال: فإن لم يذكر؟ قال: (فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَنْ حَوْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِين) قال: فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين؟ قال: (فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِالسُّلْطَانِ) قال: فإن نأى السلطان عني؟ قال: (قَاتِلْ دُونَ مَالِكَ حَتَّى تَكُونَ مِنْ شُهَدَاءِ الآخِرَةِ ، أَوْ تَمْنَعَ مَالَكَ) (رواه النسائي).

٥. **معاونة الظالم**: بالأخذ على يديه ، ورده عن ظلمه ، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا) قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ: (تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْه) (رواه البخاري)، قال ابن بطَّال: (والنُّصرة عند العرب : الإعانة والتَّأييد ، وقد فسَّره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنَّ نصر الظالم منعه مِن الظُّلم ؛ لأنَّه إذا تركته على ظلمه؛ ولم تكُفه عنه أدَّاه ذلك إلى أن يُقْتَصَّ منه ، فمنعك له مما يوجب عليه القصاص نصر له . (شرح صحيح البخاري).

٦. **معاونة الغارمين** : بأداء الديون والحقوق عنهم ، فعن قبيصة بن المخارق الهلالي (رضي الله عنه) قال: تحَمّلت حمالة ، فأتيتُ النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) فسألته فيها ، فقال: (أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ ، فَإِمَّا أَنْ نَحْمِلَهَا ، وَإِمَّا أَنْ نُعِينَكَ فِيهَا) ، وَقَالَ: (إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ: لِرَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةَ قَوْمٍ ، فَيَسْأَلُ فِيهَا حَتَّى يُؤَدِّيَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ ، فَيَسْأَلُ فِيهَا حَتَّى يُصِيبَ قَوَامًا مِنْ عَيْشٍ، أَوْ

سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ ، فَيَسْأَلُ حَتَّى يُصِيبَ قَوَامًا مِنْ عَيْشٍ، أَوْ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ، ثُمَّ يُمْسِكُ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْمَسَائِلِ سُحْتًا ، يَا قَبِيصَةُ يَأْكُلُهُ صَاحِبُهُ سُحْتًا) (رواه مسلم وأحمد).

٧. **معاونة الفقراء** ، **وذوى الفاقة**: بإعطائهم ما يسدّ جوعتهم ، ويواري عورتهم ...إلخ ، فعن سلمة بن الأكوع (رضى الله عنه) قال: قال النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ ضَحَّى مِنْكُمْ، فَلاَ يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثَالِثَةٍ، وَفِي بَيْتِهِ مِنْهُ شَيئٌ) فلمّا كان العام المقبل، قالوا: يا رسول الله، نفعل كمّا فعلنا عام الماضي؟، قال: (كُلُوا، وَأَطْعِمُوا، وَادَّخِرُوا، فَإِنَّ ذَلِكَ الْعَامَ كَانَ بِالنَّاسِ جَهْدٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ تُعِينُوا فِيهَا) (رواه البخاري)، وعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ؛ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ) (متفق عليه).

فكلّ مَن أعان مؤمنًا على عمل برٍّ فللمُعِين عليه أجر مثل العامل، فكذلك مَن فطَّر صائمًا ، أو قوَّاه على صومه ، وكذلك مَن أعان حاجًّا ، أو معتمرًا بما يتقوى به على حجِّه أو عمرته حتى يأتي ذلك على تمامه فله مثل أجره. وكذلك سائر أعمال البرِّ ، وإذا كان ذلك بحكم المعونة على أعمال البرِّ فمثله المعونة على معاصي الله وما يكرهه الله ، للمعين عليها مِن الوزر والإثم مثل ما لعاملها. (عمدة القاري).

فوائد التعاون على البر والتقوى: للتعاون على البر والتقوى فوائد عديدة تعود بالنفع على الفرد والمجتمع ، ومن ذلك:

١. التعاون على البرّ والتقوي من مثقلات الموازين يوم القيامة ، فعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ). فقالوا: يا نبي الله ، فمن لم يجد؟. قال: (يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ). قالوا: فإن لم يجد؟ قال: (يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ). قالوا: فإن لم يجد؟ قال: (فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ) (متفق عليه)، وعن أبي ذرّ (رضي الله عنه) قال: سألت النبي (صلى الله عليه وسلم) أيُّ العمل أفضل؟ قال: (إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ). قلت: فأيُّ الرقاب أفضل؟. قال : (أَغْلاَهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا). قلت: فإن لم أفعل؟ قال: (تُعِينُ صَانِعًا ، أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ). قال: فإن لم أفعل؟ قال: (تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ) (متفق عليه).

٢. التعاون على البرّ والتقوي طريق إلى معاونة الله (عزّ وجلّ) ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) (رواه مسلم).

٣. التعاون على البرّ والتقوي يساعد على إنجاز الأعمال في أقصر وقت

وأقل جهد ، والوصول إلى الغرض بسرعة وإتقان.

٤. التعاون على البرّ والتقوي فيه جمع بين رضا الله (عزّ وجلّ) ورضا الناس.

٥. التعاون على البرّ والتقوي ينزع الحقد ، والغلّ ، والحسد بين المؤمنين ويزرع الألفة والمحبة ، والترابط بين الصفّ المسلم ؛ فيصبح كالبنيان يشدُّ بعضه بعضا ، كما صحّ عن النبيّ (صلى الله عليه وسلم).

٦. في التعاون على البرّ والتقوي إنجازٌ للأمور العظيمة ، والمشاريع الضخمة كما في بناء الكعبة ، وسدّ ذي القرنين.

٧. التعاون على البرّ والتقوي طريق لدفع الظلم والعدوان لما يحدثه من وحدة وألفة بين المتعاونين.

الــرضــــــا

الرضا نعمة من أعظم نعم الله (عز وجل) على الإنسان ، فهي منة ربانية عظيمة ، ومنحة إلهية جليلة ، وعبادةٌ قلبيَّة رفيعة الشأن ، ودرجة إيمانيَّة عالية ، لا ينالها إلا من عَمُر قلبه بالإيمـان ، وعرف ربه حق المعرفـة ، والتزم بالأوامر واجتنب النـواهي ، وعزفت نفســه عن الدنيا بملذاتها حتى استوى عنده حجرها بمدرها.

والرضا ضد السخط ، ورضا العبد عن الله تعالى ألا يكره ما يجرى به قضاؤُه، ورضا الله تعالى عن العبد: أَن يراه مؤتمرًا لأَمره ، منتهيًا عن نهيه، والرّضوان: هو الرضا الأكبر ، ولما كان أعظم الرضا هو رضا الله تعالى خص لفظ الرضوان فى القرآن بما كان من الله تعالى ، قال سبحانه: {يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانًا}[الفتح:٢٩]، وقال تعالى: {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ} [التوبة: ٢١] (نضرة النعيم بتصرف).

فالرضا أساس من أسس الإسلام وكمال الإيمان ، فلا يكتمل إسلام العبد ولا يتذوق طعم الإيمان حتى يرضى بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبيًّا ورسولاً ، فعن الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً) (رواه مسلم) ، وبنظرة عميقة في كلام سيدنا رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) ندرك أن الرِّضا بالله تعالى متضمّن للرّضا بمحبَّته وحده، وخوفه ورجائه والإِنابة إِليه ، وذلك يتضمّن عبادته والإِخلاص له.

بل أقسم الله (عز وجل) بأن الوصول لدرجة كمال الإيمان مرهون بالرضا والتسليم والإذعان المطلق لكتاب الله تعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) وخاصة عند النوازل ، وهذه هي حقيقةُ الرِّضا عن الله (عز وجل) ، قال تعالى:{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[النساء:٦٥].

كما أن نعمة الرضا تقرب العبد من ربه ، وتبعده عن سخطه سبحانه وتعالى ، قال لقمان الحكيم موصيًا ابنه: (أوصيك بخصال تقرّبك من الله وتباعدك من سخطه : أن تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وأن ترضى بقدر الله فيما أحببت وكرهت) (مدارج السالكين لابن القيم).

وجدير بالذكر أن الحق سبحانه وتعالى لا يختار لعبده إلا الأفضل والأصلح له ، فالأرزاق بيد الله ، ومقاديرها عند الله ، وأن الفقر قد يكون أفضل للإنسان من الغنى. فمن العباد من لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغناه الله تعالى لفسدت حياته ، ومنهم من لا يصلحه إلا الغنى ، ولو أفقره الله تعالى لفسد حاله ، ومنهم من لا يصلحه إلا الصحة ولو مرض لفسد حاله ، ومنهم من لا يصلحه إلا المرض ولو أعطاه الله الصحة والقوة لفسدت حياته ، ومن ثمَّ فيجب أن يقنع الإنسان ويرضى بما قدره الله تعالى له ، سواء أعطاه أم منعه ، فكل ما يصيبه خير له ، لأنه بقدر الله تعالى وحكمه، فعن أبي يحيى صهيب بن سنانٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ

أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) (رواه مسلم) ، فالخير كل الخير في الرضا عن الله (عز وجل)، والشر كل الشر في السخط والجزع وعدم الرضا ، فإذا رضي العبد بما قدر الله له ارتفع إلى أعلى درجات الإيمان ، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ: (ذِرْوَةُ الْإِيمَانِ أَرْبَعٌ : الصَّبْرُ لِلْحكمِ ، وَالرِّضَا بِالْقَدَرِ ، وَالْإِخْلَاصُ لِلتَّوَكُّلِ ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ) (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

والرضا عن الله عز وجل نوعان:

الأول: الرضا بفعل المأمور به واجتناب ما ورد النهي عنه ، وهذا هو حال المؤمن التقي النقي، فلسان حاله هو قول الله تعالى: {وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}[البقرة: ٢٨٥] ، وقوله تعالى: {اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ}[التوبة:٦٢]، وهذا النوع من أنواع الرضا واجب على كل مسلم أن يبذل في تحصيله النفس والنفيس، قال تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ}[البقرة: ٢٠٧]، وقال سبحانه: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ}[التوبة: ٥٩].

والنوع الثاني: الرضا بالقضاء ، فالإنسان بين حالين ، حال السلب وحال العطاء ، فعند العطاء عليه الشكر ، وعند السلب والمنع عليه الرضا والصبر ، ويصل العبد إلى نعمة الرضا بقوَّةِ إيمانه وحُسن اتِّصالِهِ بالله عز وجل ، وبالصبر والذكر وحسن الطاعة والمحافظة على العبادة ، وهذا هو

الطريق الذي رسمه الله تعالى لحصول الرضا ، قال تعالى: {فاصبر على مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشمس وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَآءِ الليل فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النهار لَعَلَّكَ ترضى} [طه:١٣٠] ، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَالَ: (عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ) (رواه ابن ماجه في سننه).

وأما الرضا بنبيه (صلَّى الله عليه وسلَّم) رسولاً : فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه ، بحيث يكون أولى به من نفسه ، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ، ولا يحاكم إلا إليه ، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة (بصائر ذوي التمييز). ومن ثم فإن أجَلِّ المقامات وأعلاها الرضا بقضاء الله تعالى وقدره .

إن الإنسان بدون الرضا يقع فريسة لليأس والإحباط، فتحيط به الهموم والغموم من كل مكان، ولنعلم جميعًا أن الرضا لا يعني الاستسلام أو اليأس وتبلد المشاعر ، وغير ذلك من مظاهر السلبية ، فهذا خداع للنفس ومفهوم خاطئ عن الرضا ، فالإسلام الحنيف يحض على العمل ويشجع عليه ، ويكره الكسل والكسالى والعالة على غيرهم، فالرضا دافع للعمل والإنتاج ، وهو من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين ، وهو مفتاح كل خير ، ويمنع صاحبه عن ارتكاب أي شر .

على أن الأخذ بالأسباب لا ينافي الرضا ، بل إنه من تمامه ، فالله عز وجل اقتضت حكمته وقدرته أنه جل جلاله أراد بنا أشياء ، وأراد منا

أشياء ، فما أراده بنا أخفاه عنا ، وما أراده منا أظهره وأمرنا بالقيام به والمحافظة عليه ، فعلينا أن نرضى بما أراده لنا ونعمل فيما أراده منا .

وفي حياة الرسل والأنبياء (عليهم السلام) والصالحين صور مشرقة في تحقيقهم لكمال الرضا عن الله عز وجل ، فكان الرضا غاية سيدنا موسى الكليم (عليه السلام) ، قال تعالى حاكيًا عنه: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}[طه: ٨٤] أي: عجلت إليك شوقًا إلى رضاك ومحبتك، وقال لنبيه ومصطفاه (صلى الله عليه وسلم):{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [سورة الضحى:٥].

وهذا نبينا (صلى الله عليه وسلم) عاش ألوانًا من الفاقة والحاجة فواجهها بالرضا والقناعة ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا ، فَقُلْتُ: لَا يَا رَبِّ ، وَلَكِنْ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا ، فَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ ، وَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَدَعَوْتُكَ) (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

ولقد ضرب لنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى في الرضا عن الله عز وجل، وحياته (صلى الله عليه وسلم) تعبر عن كمال الرضا وتمامه وتحقيقه في أكمل صورة وأبهى مشهد ، فبالرغم من كونه حبيب الله وسيد ولد آدم ولا فخر إلا أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يطلب الدنيا أو نعيمها ، ورضي بما قسمه الله له من معاش الدنيا ، فعَنْ ابن مسعود (رضي الله عنه) قَالَ: اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

عَلَى حَصِيرٍ ، فَأَثَّرَ فِي جَنْبِهِ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ ، جَعَلْتُ أَمْسَحُ جَنْبَهُ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا آذَنْتَنَا حَتَّى نَبْسُطَ لَكَ عَلَى الْحَصِيرِ شَيْئًا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ ظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا) (رواه أحمد).

كما علمنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم كيف نستقبل قدر الله ، فحين مات ولده إبراهيم وهو طفل صغير ، لم يفصل هذا القدر عن مُجريه ، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ (رضي الله عنه): وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: (يَابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ)، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ: (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلا نَقُولُ إِلا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ) (متفق عليه)، وهو بذلك يعلمنا (صلَّى الله عليه وسلَّم) ألا نفصل القدر عن مجريه وهو الله (عز وجل) ، ففي الإيمان بقدرته تعالى واستطاعته ومشيئته وإرادته وعلمه الأزلي رضًا بالله.

وهذا ما ينبغي أن نتحقق به، فكل ما نتعرض له، علينا استقباله بنفس راضية، وأن الله (عز وجل) لا يريد بنا إلا كل ماهو خير ، ففي الرضا اطمئنان القلوب وسكينتها، ويقين صادق بأن ما عند الله هو الخير.

صفحات مشرقة في حياة أهل الرضا:

يحكي لنا القرآن ماكان من أم موسى (عليه السلام) من رضًا ويقين واستسلام لقضاء الله (عز وجل) ، وذلك في قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: ٧].

هذا الموقف العظيم يبرز لنا جانبًا من جوانب الاستسلام لأوامر الله والانقياد له والرضا بما قضاه وقدّره ، ومع تعلق قلب الأم برضيعها ، إلا أنها تضرب أنموذجًا مثاليًّا في الثقة واليقين والرضا بقضاء الله ، وتلقي بولدها في اليمّ ، ولأنها رضيت بالله مع تمام الثقة واليقين به (عزّ وجَل)؛ كانت المكافأة من الله (عزّ وجلّ) ابتداءً، فبالرغم من أن آل فرعون هم الذين التقطوه، وحاولت امرأة فرعون أن تأتي له بالمرضعات ، إلا أنه (عليه السلام) لم يرض بأي مرضعة أتته، وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ} [القصص:١٢]،وكانت حكمة الله تتجلى في قيمة اليقين والثقة من أم موسى بالله (عزّ وجَل)، فردّه إلى أمه: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [القصص:١٣]، فمع اليقين والرضا بما قدّره الله (عزّ وجَل) يكون تحقيق الوعد الإلهي لمن أيقن به ووثق فيه (جلّ وعلا)، وسبق أنْ وعدها الله: {إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ} [القصص:٧]، وها هو أوانُ تحقق الوعد الأول، وهو بُشْرى بتحقُّق الوعد الثاني: {وَجَاعِلُوهُ مِنَ المرسلين} [القصص:٧]، لكن هذا في مستقبل الأيام، وسوف يتحقق أيضًا.

ومن أجمل ما روي في الرضا عن الله (عز وجل) من قصص الصحابة والتابعين، ما جاء عن سيدنا سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) حين قدم إلى مكة ، وقد كان كفَّ بصره ، جاءه الناس يهرعون إليه ، كل واحد يسأله أن يدعو له ، فيدعو لهذا ولهذا ، وكان مجاب الدعوة ، قال عبد الله بن السائب : فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني ، وقال: أنت قارئ أهل مكة؟ قلت: نعم ، فقلت له: يا عم ، أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك ، فردَّ الله عليك بصرك. فتبسم وقال: يا بُني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري .

وما جاء عن عروة بن الزبير (رضي الله عنه) فعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِوَادِي الْقُرَى وَجَدَ فِي رِجْلِهِ شَيْئًا فَظَهَرَتْ بِهِ قَرْحَةٌ وَكَانُوا عَلَى رَوَاحِلَ فَأَرَادُوهُ عَلَى أَنْ يَرْكَبَ مَحْمَلًا فَأَبَى عَلَيْهِمْ ثُمَّ غَلَبُوهُ فَرَحَلُوا نَاقَةً لَهُ بِمَحْمَلٍ فَرَكِبَهَا وَلَمْ يَرْكَبْ مَحْمَلًا قَبْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَصْبَحَ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا}[فاطر: ٢] حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا فَقَالَ: لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي هَذِهِ الْمَحَامِلِ بِنِعْمَةٍ لَا يُؤَدُّونَ شُكْرَهَا وَتَرَقَّى فِي رِجْلِهِ الْوَجَعُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى الْوَلِيدِ ، فَلَمَّا رَآهُ الْوَلِيدُ قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اقْطَعْهَا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَالَغَ فَوْقَ ذَلِكَ ، قَالَ: فَدُونَكَ قَالَ: فَدَعَا لَهُ الطَّبِيبَ فَقَالَ لَهُ: اشْرَبِ الْمُرْقِدَ (المخدر) قَالَ لَا أَشْرَبُ مُرْقِدًا أَبَدًا، قَالَ: فَعَذَرَهَا الطَّبِيبُ وَاحْتَاطَ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّحْمِ الْحَيِّ مَخَافَةَ أَنْ يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ ضُرٌّ فَيَرْقَى فَأَخَذَ مِنْشَارًا فَأَمَسَّهُ بِالنَّارِ وَاتَّكَأَ لَهُ عُرْوَةُ فَقَطَعَهَا مِنْ نِصْفِ

السَّاقِ فَمَا زَادَ عَلَى أَنْ يَقُولَ: حَسْ حَسْ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ : مَا رَأَيْتُ شَيْخًا قَطُّ أَصْبَرَ مِنْ هَذَا ، وَأُصِيبَ عُرْوَةُ بِابْنٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ وَدَخَلَ اصْطَبْلَ دَوَابٍّ مِنَ اللَّيْلِ لِيَبُولَ فَرَكَضَتْهُ بَغْلَةٌ فَقَتَلَتْهُ وَكَانَ مِنْ أَحَبِّ وَلَدِهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يُسْمَعْ مِنْ عُرْوَةَ فِي ذَلِكَ كَلِمَةٌ حَتَّى رَجَعَ ، فَلَمَّا كَانَ بِوَادِي الْقُرَى قَالَ: {لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا}[الكهف:٦٢] اللَّهُمَّ كَانَ لِي بَنُونَ سَبْعَةٌ فَأَخَذْتَ مِنْهُمْ وَاحِدًا وأَبْقَيْتَ سِتَّةً، وَكَانَتْ لِي أَطْرَافٌ أَرْبَعَةٌ فَأَخَذْتَ مِنِّي طَرَفًا وَأَبْقَيْتَ لِي ثَلَاثًا وَايْمُكَ لَئِنِ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ، وَلَئِنْ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ) (المرض والكفارات لابن أبي الدنيا).

الرضا عند الشدائد والمصائب:

هذا وقد علّمنا الله (عزّ وجلّ) كيفية استقبال ما ينزل بنا من شدائدَ أو مصائبَ ، فلا شك أن المصيبة هي الأمر الذي ينال الإنسان منه المشقة والألم، والمؤمن يستقبل المصيبة واثقًا أنها على قدر إيلامها يكون الثواب عليها، قال تعالى:{الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}[البقرة:١٥٦]، وقد قيل:{إنا لله}دليل على الرضا بما نزل به في الحال، وقوله:{وإنا إليه راجعون}دليل على الرضا في الحال بكل ما سينزل به بعد ذلك.

كيف نحقق الرضا واليقين ؟

تحقيق الرضا يكون باستقبال قَدَر الله (عز وجل) فينا على كل حال نعمة كانت أم نقمة على السواء بلا جزع ولا سخط، فقد سئلت رابعة العدوية (رحمها الله تعالى): متى يكون العبد راضيًا عن اللّه تعالى؟. فقالت: (إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة) (قوت القلوب).

إذن فالخير كله في الرضا على كل ما ينزل بنا ، وقد كتب عمر بن الخطّاب (رضى الله عنه) إلى أَبى موسى الأَشعرىِّ (رضى الله عنه): أَمّا بعد، فإِن الخير كلّه فى الرضا، فإِن استطعت أَن ترضى وإِلاَّ فاصبر. (فيض القدير).

وقد تعلم الصحابة ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وترجموه ترجمة واقعية مجسدة في حياتهم ، فعَنْ صُهَيْبٍ (رضى الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) (رواه مسلم)، وسئل أبو عثمان (رضى الله عنه) عن قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (أسألك الرضا بعد القضاء) ، فقال: لأن الرضا قبل القضاء هو عزم على الرضا، والرضا بعد القضاء هو الرضا (الإنسان بين علو الهمة وهبوطها).

وأما عن ثمرات الرضا فكثيرة ، منها : رضا الخالق سبحانه وتعالى ، فإذا رضي العبد عن ربه فيما أمره به وفيما قسمه وقدره له رضي عنه ربُّه عز وجل ، ومنها : محبة الله سبحانه وتعالى للراضين بقضائه ، كذلك من ثمرات الرضا الراحة النفسية والروحية للإنسان ، وتجنب الأزمات النفسية من القلق والتوتر ، فالرضا يثمر طمأنينة في القلب ويُنزلُ عليه السكينة ، فيثقُ القلبُ بموعودِ اللهِ (عز وجل)، ولسانُ حالِه : {هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيمًا}[الأحزاب: ٢٢]، وفوق كل ذلك الفوز بالجنة .

إفشــــاء الســـــلام

من الآداب الإسلامية الرفيعة التي أمرنا بها ديننا الحنيف وحثَّ على نشرها : إفشاء السلام ، حيث أمر بإفشائه ونشره بين الأفراد والمجتمعات ، وإفشاء السلام أي: إظهاره وانتشاره والمراد: نشر السلام بين الناس ، والدعاء بالسلامة من الآفات في الدين والنفس، فعن عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) قَال : سَمِعْتُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا والنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ) (رواه الترمذي).

فالسلام شعيرة من شعائر الدين ، جعله الله تحية المسلمين لترسيخ قيمة السلام في حياتهم ، وليتمكنوا من أداء مهامهم الدينية والدنيوية بأمن وسلام.

والسلام اسم من أسماء الله تعالى التي نتعبده بها على معنى: أنه المالك المسلم العباد من المهالك ، فعَنْ ثَوْبَانَ (رضي الله عنه) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاَثًا وَقَالَ: (اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ) (متفق عليه)، ومعنى (ومنك السلام) أي: ويرجى منك السلامة.

إن هذه التحيّة بين المسلمين تحمل معنى ساميًا وراقيًا من معاني التسامح والسلام بينهم ، فهو بمثابة عهد على صيانة دمائهم وأعراضهم وأموالهم، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) : (ثَلَاثٌ يُصَفِّينَ عَلَيْكَ

مِنْ وُدِّ أَخِيكَ : أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيتَهُ، وَتُوَسِّعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ، وَتَدْعُوَهُ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ) (رواه البيهقي).

فمن أراد أن يفتح الله له قلوب العباد وينال محبتهم فليكن سباقًا بالسلام مبتسمًا في وجه من لقيه ، لأن هذا من مقتضيات دخول الجنة، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَىْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ) (رواه مسلم)، وكلمة (تحابوا) أصلها : تتحابوا ، ويقصد بها : أن يحب بعضكم بعضا.

على أن الإسلام يحث على كل ما من شأنه أن يجمع شتات الناس وينشر الحب والود بينهم فتتوحد صفوفهم وتقوى شوكتهم ، فعن البراءِ بن عازبٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بِسَبْعٍ : (بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَنَصْرِ الضَّعِيفِ، وَعَوْنِ المَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلاَمِ، وَإِبْرَارِ المُقسِمِ) (متفقٌ عَلَيْهِ)، بل جعل الإسلام ردّ السلام من حق المسلم على أخيه المسلم ، فلا بد منه وإلا كان الانسان مقصرًا مضيعًا لحقوق المسلمين، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ أَوْ حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ) (رواه أَبُو داود)، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى

الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ) (متفق عليه)، فهذه الأمور التي ذكرت في الحديث الشريف تعد من أهم الأسباب التي تعين على وحدة المسلمين وجمع كلمتهم.

وقد جاءت نصوص أخرى كثيرة تحث على إفشاء السلام ، لأنها التحية التي اصطفاها الله لنا في الدنيا ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (خَلَقَ اللهُ آدَمَ ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكِ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ) (متفقٌ عَلَيْهِ).

والسلام تحية الملائكة للمؤمنين في الجنة ، قال تعالى:{وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد:٢٣ـ ٢٤]، وقال تعالى:{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}[الزمر: ٧٣].

ويكفي أن نعلم أن السلام هو تحية أهل الجنة اختارها الله تعالى لهم، فقال تعالى:{وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ}[إبراهيم:٢٣]، وقال تعالى:{تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ}[الأحزاب:٤٤]، وقال تعالى:{لاَ

يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا * إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا}[الواقعة:٢٦].

وقد جعله الإسلام حقا من حقوق الطريق ينبغي الحفاظ عليه ، فعن أَبي سعيد الخُدري (رضي الله عنه) عن النَّبيّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ في الطُّرُقَاتِ)، فقالوا يَا رَسُول الله : مَا لنا مِنْ مجالِسِنا بُدٌّ نتحدث فِيهَا. فَقَالَ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) : (فَإِذَا أَبَيْتُمْ إلاَّ المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ). قالوا: وما حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رسولَ الله؟. قَالَ: (غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأمْرُ بِالمَعْرُوفِ، والنَّهيُ عن المُنْكَرِ) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ).

على أن مفهوم إفشاء السلام أعم من مجرد إلقاء التحية ، فهو معنى شامل لكل معاني قيم السلامة والأمن والطمأنينة على النفس ، والمال، والأرض، والعرض، لذلك كانت له مظاهر متعددة حرص الإسلام على إقامتها ، وشدد على ضرورة المحافظة عليها ، منها :

إفشاء السلام قولاً : فقد حثَّنا عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) وجعله من أفضل الأعمال وأمرنا بإلقائه على من عرفنا ومن لم نعرف ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ : (تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) (متفقٌ عَلَيْهِ).

إفشاء السلام فعلاً : وهذا لا يتأتى إلا برعاية الحقوق والواجبات وكف الأذى عن الناس كافة بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم وأديانهم وعدم التعرض لهم بأي لون من ألوان الاعتداء ، يقول (صلى الله عليه

وسلم) : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى الله عَنْهُ) (مسند الإمام أحمد).

ومن أجل إفشاء السلام عمليًّا حرم الإسلام القتل وغلَّظ في عقوبته ، حتى ينعم الناس بالسلام والأمان على أنفسهم ودمائهم ، قال تعالى : {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[الأنعام: ١٥١]، وقال تعالى:{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء:٩٣] ، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا) (رواه البخاري) ، كذلك حرم الإسلام إزهاق أرواح غير المسلمين ممن لهم عهد وذمة ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا) (رواه البخاري).

إفشاء السلام في العالمين : فقد وجه الإسلام الدعوة لجميع الخلق للتعارف والتآلف فيما بينهم، نشرًا للسلام العالمي، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[الحجرات:١٣]، وقال عمار بن ياسر (رضي الله عنه): (ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ : الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ) (صحيح البخاري).

فإفشاء السلام عالميًّا أصل في العلاقات الدولية وفي علاقة الناس بعضهم ببعض، ولذلك نجد النبي (صلى الله عليه وسلم) يبدأ جميع

رسائله ومكاتباته إلى الملوك والأمراء بالسلام .

وجدير بالذكر أن إفشاء السلام عالميا هو صمام أمان للمجتمعات ، ترتفع به دعائمها وتعلو به رايتها ، ويعيش أبناؤها في أمن وأمان وسلم واستقرار، فيقوى اقتصادهم ، ويعيشون في سعة من العيش ورغد ورفاهية.

إن إفشاء السلام مطلب إنساني لجميع الخلق ، ولا غنى للبشرية عنه، وضرورة السلام في الإسلام تنبع من أنه دين يسوي بين الناس جميعًا في الحقوق والواجبات، فبدونه لن تستقيم الحياة ، ولن يتمكن الإنسان من أداء العبادات والتكليفات الشرعية، ولن يتحقق التقدم والرخاء ، ولن يأمن الناس على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ، بل حتى في ميدان الحربِ والقتالِ؛ قرر الإسلام أنه إذا ألقى العدوُّ السلام وجبَ الكفُّ عنه واعتبارُه مُتمتِّعًا بالسلام؛ عملاً بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} [النساء٩٤].

وفضائل إفشاء السلام متعددة منها:

١. أنه سبب للمحبة: فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَىْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ) (رواه مسلم)، والسلام كفيل بذلك.

٢. أنه سبب لدخول الجنة: فعن عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا

السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَم) (رواه الترمذي).

٣. أنه سبب لحصول البركة ، فعن أنس بن مالك (رضي اللَّه عنه) قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (يَا بُنَيَّ ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ ، فَسَلِّمْ ، يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ ، وعلى أَهْلِ بَيْتِكَ) (رواه الترمذي).

٤. إفشاء السلام سبب العلو ورفعة الدرجات ، فعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (أَفْشُوا السَّلاَمَ كي تعلوا) (رواه الطبراني)، وعن أَبي أُمَامَة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إنَّ أَوْلَى النَّاسِ باللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بالسَّلاَمِ) (رواه أَبُو داود)، وعن عِمْرَان بن الحصين (رضي الله عنهما) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) : (عَشْرٌ)، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: (عِشْرُونَ) ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: (ثَلاثُونَ) (رواه أَبُو داود والترمذي).

وللسلام آداب عديدة منها :

١. أن يكون التسليم بصوت معتدل مسموع يسمعه المستيقظ ولا ينزعج منه النائم ، فعن المِقْدَادِ (رضي الله عنه) قَالَ: (كُنَّا نَرْفَعُ للنَّبيِّ (صلى الله عليه وسلم) نَصِيبَهُ مِنَ اللَّبَنِ، فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لاَ يُوقِظُ نَائِماً، وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ) (رواه مسلم).

٢. أن يسلم القليل على الكثير ، والصغيرُ على الكبير ، والراكبُ على الماشي، والماشي على القاعد ، فعن أَبي هريرة (رضي الله عنه) أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ ، وَالقَليلُ عَلَى الكَثِيرِ) (متفقٌ عَلَيْهِ) ، وفي رواية للبخاري: (والصغيرُ عَلَى الكَبيرِ).

٣. أن يسلم على أهل البيت إذا دخل عليهم، قال تعالى:{فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[النور:٦١]، وهذا يشمل ما يلي: أن يسلم المسلم على أخيه إذا دخل بيته، وأن يسلم على أهل بيته إذا دخل عليهم، وأن يسلم على عباد الله الصالحين إن كان البيت خاليًا، فعَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: (إِذَا دَخَلَ الْبَيْتَ غَيْرَ الْمَسْكُونِ فَلْيَقُلِ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) (الأدب المفرد). وقال مجاهد : (إذا دخلت المسجد فقل : السلام على رسول الله، وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم ، وإذا دخلت بيتًا ليس فيه أحدٌ فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) (تفسير ابن كثير).

٤. السلام في بداية المجلس وعند نهايته أو مفارقته ، فعن أَبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إِذَا انْتَهى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقّ مِنَ الآخِرَةِ) (رواه أَبُو داود والترمذي).

٥. عدم الاكتفاء بالإشارة بالرأس أو اليد ، لأنه مخالف للسنة ، إلا إذا كان

المسلَّم عليه بعيدًا فإنه يسلم بلسانه مع الإشارة بيده، ولا يكتفي بالإشارة.

٦. أن يعيد إلقاء السلام إذا فارق أخاه ولو لوقت يسير ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ، أَوْ جِدَارٌ، أَوْ حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ) (رواه أَبُو داود).

٧. ومن عظمة الإسلام أنه لم يقصر السلام على الأحياء فحسب ، بل جعل للأموات منه نصيبًا، فشرع السلام على أهل المقابر عند زيارتهم أو المرور بهم، فعن بريدة (رضي الله عنه) قَالَ: كَانَ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى المَقَابِرِ أنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: (السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أهلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسلمينَ، وَإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ للاَحِقونَ، أسْألُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ) (رواه مسلم).

إن إفشاء السلام بين المسلمين لا يقتصر على من نعرفهم فقط، وإنما يشمل من نعرفهم ومن لا نعرفهم، لحديث عبد اللهِ بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أنَّ رَجُلاً سَأَلَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أيُّ الإسلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) (متفقٌ عَلَيْهِ).

الاستئذان

من الآداب الإسلامية والاجتماعية التي حث عليها الإسلام أدب الاستئذان ، فهو أدب رفيع ونزاهة في الأخلاق، وعفة في السلوك تمنح الناس حقهم في الخصوصية وعدم مفاجأة غيرهم لهم على حال لا يرغبون أن يطلع عليهم فيه أحد ، ويحافظ علي صيانة حرمات البيوت وعدم هتك أستارها.

والاستئذان: طلب الإذن في الدخول أو التصرف في محل لا يملكه المستأذن، وهو نوعان: منه ما هو من خارج البيت ، والآخر من داخله.

فالقسم الأول: الاستئذان من الخارج ممن يريد أن يدخل حتى يتهيأ أهل البيت لاستقبال الضيف، قال تعالى:{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً فَلا تَدْخُلُوها حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيها مَتاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما تَكْتُمُونَ}[النور٢٧- ٢٩]، يرشد الباري سبحانه وتعالى عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتًا غير بيوتهم بغير استئذان فبسبب ترك الاستئذان أو الإخلال به ، يقع البصر على العورات التي داخل البيوت ، ومعنى الاستئناس أبلغ من الاستئذان ، إذ هو بالإضافة إلى ما فيه من معنى طلب الإذن ، فيه أيضًا معرفة أنس أهل البيت ، واستعدادهم لاستقباله ، ورضاهم عن دخوله عليهم.

ومن عظمة الأدب والذوق في الإسلام أن الاستئذان يبدأ بالسلام، ليدخل الألفة والطمأنينة على من يريد أن يدخل عليه ، وأن يطلب الدخول بعد السلام ولا يدخل حتى يؤذن له ، فإن أذن له دخل وإن قيل له: ارجع رجع.

ومن عظمة الأدب والذوق في الإسلام أن الاستئذان يكون ثلاثةً وإلا رجع، فيبدأ المسلم بالاستئذان فإن لم يرد عليه أحد أعاد الاستئذان مرة ثانية، فإن أذن له دخل وإن قيل له : ارجع رجع، فإن لم يرد عليه أحد أعاد الاستئذان مرة ثالثة ، فإن أذن له دخل وإن قيل له: ارجع رجع، فإن لم يرد عليه أحد رجع كذلك وترك صاحبه ولم يقتحم عليه الباب، سواء أعلم أنه بالداخل أم ليس بالداخل.

وقد علمنا النبي (صلى الله عليه وسلم) الاستئذان وآدابه في عدة أحاديث، ففي السلام قبل الاستئذان حديث رِبْعِيِّ بن حِرَاشٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) وَهُوَ في بيتٍ، فَقَالَ: أَأَلِجُ؟ فَقَالَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لِخَادِمِهِ: (اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمهُ الاسْتِئذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلِ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟) فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُل ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبيُّ – صلى الله عليه وسلم– فدخلَ) (رواه أَبُو داود). وعَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: زَارَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي مَنْزِلِنَا فَقَالَ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ) فَرَدَّ سَعْدٌ رَدًّا خَفِيًّا، قَالَ قَيْسٌ: فَقُلْتُ: أَلَا تَأْذَنُ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: ذَرْهُ يُكْثِرُ عَلَيْنَا مِنَ السَّلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ)، فَرَدَّ سَعْدُ رَدًّا خَفِيًّا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ)، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَاتَّبَعَهُ سَعْدٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ تَسْلِيمَكَ وَأَرُدُّ عَلَيْكَ رَدًّا خَفِيًّا لِتُكْثِرَ عَلَيْنَا مِنَ السَّلَامِ...الحديث) (رواه أبو داود)، وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى (رضى الله عنه) كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ ، قُلْتُ اسْتَأْذَنْتُ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتُقِيمَنَّ عَلَيْهِ بِبَيِّنَةٍ أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: وَاللَّهِ لَا يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، فَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ فَقُمْتُ مَعَهُ، فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ ذَلِكَ. (متفق عليه)، ويوضح قتادة بن دعامة السدوسي (رحمه الله) فائدة الاستئذان ثلاثًا ، يقول: (الاستئذان ثلاثًا فمن لم يؤذن له فليرجع. أمّا الأولى: فليسمع الحيّ، وأمّا الثّانية فليأخذوا حذرهم، وأمّا الثّالثة: فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردّوا، ولا تقفنّ على باب قوم ردّوك عن بابهم. فإنّ للنّاس حاجات ولهم أشغال والله أولى بالعذر) (شعب الإيمان).

وقد رد النبي (صلى الله عليه وسلم) من اقتحم عليه دون استئذان، وأمره أن يرجع ويستأذن ثم يدخل إن أذن له وإلا رجع، وذلك في

تطبيق عملي لأدب الاستئذان، وفيه تنبيه على أهميته وزجر من لم يتأدب به، فعن عَمْرَو بْن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّ كَلَدَةَ بْنَ حَنْبَلٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ بَعَثَهُ بِلَبَنٍ وَلِبَإٍ وَضَغَابِيسَ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) والنبي (صلى الله عليه وسلم) بِأَعْلَى الْوَادِي قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): (ارْجِعْ فَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ)، ذَلِكَ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ صَفْوَانُ. (رواه الترمذي).

آداب الاستئذان:

١.الاخبار بالاسم : فالمسلم إذا استئذن في الدخول فرد عليه صاحب المكان طالباً معرفة من يريد الدخول، فالسنة في ذلك أن يخبر باسمه العلم المعروف، لما فيه من الأنس وزوال جهالة المستأذن بالنسبة لصاحب المكان، فإِذَا قيل للمستأذن: من أنت؟ فيقول: فلان، فيسمي نفسه بما يعرف به من اسم أَوْ كنية، وكراهة قوله: أنا ونحوها مما لا فائدة فيه، فعن أَبي ذرٍّ (رضي الله عنه)، قَالَ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَإِذَا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يَمْشِي وَحْدَهُ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظلِّ القمَرِ، فَالْتَفَتَ فَرَآنِي، فَقَالَ: (مَنْ هَذَا؟)، فقلتُ : أَبُو ذَرٍّ. (متفقٌ عَلَيْهِ). وعن أُمِّ هانئٍ (رضي الله عنها) قالت: أتيتُ النَّبيَّ (صلى الله عليه وسلم) وَهُوَ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ، فَقَالَ: (مَنْ هذِهِ ؟) فقلتُ: أنا أُمُّ هانئٍ) (متفقٌ عَلَيْهِ)، أما أن يقول المستأذن (أنا) وحدها دون تعريف فهذا مكروه، لأنه لم يحصل بقوله: (أنا) فائدة، بل الإبهام باقٍ، بل ينبغي أن يقول: فلان، باسمه، أو أنا فلان، أو أنا أبو فلان، أو القاضي فلان ، أو الشيخ فلان، إذا لم يحصل التعريف بالاسم لخفائه، فعن جابر (رضي الله عنه) قَالَ : أَتَيْتُ

النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) فَدَقَقْتُ البَابَ، فَقَالَ (مَنْ هَذَا؟)، فَقُلتُ: أَنَا، فَقَالَ: (أَنَا ، أَنَا !)كَأَنَّهُ كَرِهَهَا. (متفقٌ عَلَيْهِ).

٢. غض البصر قبل الإذن، لما قد يكون الناس عليه في بيوتهم وخلواتهم من الغفلة وعدم الإستعداد لدخول أحد عليهم، فيلزم منه الاطلاع على العورات وانتهاك خصوصية الناس بالتجسس، فيفضي للعداوة والبغضاء، فعن سهلِ بنِ سعدٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصَرِ) (متفقٌ عَلَيْهِ)، ولقد عدّ النبي (صلى الله عليه وسلم) هذا المقتحم ببصره معتدٍ ، وشرع للمسلم أن يدفع هذا العدوان بما يحافظ به على عورات نفسه وأهله، فلو طعنه بحديدة أو قذفه بحصاة ففقأ عينه لكان صاحب الدار محقًّا ، وكانت عين الناظر هدرا، لأنه مُسيء معتد بهذا النظر، ففي حَدِيث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: (أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجْرَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وَمَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِدْرًى يَحُكُّ بِهَا رَأْسَهُ ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : لَوْ أَعْلَمُ أَنَّك تَنْظُرُنِي لَطَعَنْت بِهِ فِي عَيْنِك، إنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ النَّظَرِ) (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (مَنِ اطَّلَعَ فِى بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنَهُ) (رواه مسلم).

٣. عدم الوقوف في مواجهة الباب لما قد يترتب عليه من وقوع نظره على عورات أصحاب الدار، فليقف عن يمين الباب أو عن يساره ، فعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ (رضى الله عنه) أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْبَابَ، فَقَالَ لَهُ

النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا تَسْتَأْذِنْ وَأَنْتَ مُسْتَقْبِلُ الْبَابَ) (رواه الطبراني)، وعن عَبْد اللَّهِ بْن بُسْرٍ أن النَّبِي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ إِذَا أَتَى بَابًا يُرِيدُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ لَمْ يَسْتَقْبِلْهُ ، جَاءَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَإِنْ أُذِنَ لَهُ وَإِلا انْصَرَفَ. (الأدب المفرد).

أما القسم الثاني للاستئذان: وهو الاستئذان لمَنْ هم داخل البيت في الدخول على بعضهم بعضًا فيتجلى في قوله تعالى:{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشاءِ ثَلاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُناحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلى بَعْضٍ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[النور:٥٨] ، حيث نظّم الإسلام التعامل داخل البيت فلا يجوز أن يدخل الخادم علي سيده بدون استئذان، أما الأطفال الذين هم في سن التمييز ودون البلوغ فلكثرة ترددهم علي والديهم حدد رب العزة أوقاتا معينة يكون عليهم الاستئذان فيها ، لأنها أوقات نوم وراحة، وهي قبل صلاة الفجر، ووقت القيلولة، وبعد صلاة العشاء، ربما يكون فيها الإنسان في وضع لا يحب أن يراه أحد، أما إذا كان الأطفال في سن البلوغ فيقول الحق تبارك وتعالى:{وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}[النور: ٥٩] فينطبق عليهم الحكم العام دون تحديد لوقت. لذلك ينبغي الاستئذان على جميع المحارم: الأم، والأخت، وغيرهما، فعن عطاء بن يسار أنّ رجلا قال

للنبي (صلى اللّه عليه وسلّم): أستأذن على أمّي؟، قال: (نَعَمْ)، قال: (إنها ليس لها خادم غيري أفأستأذن كلّما دخلت؟، قال: (أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟)، قال الرجل: لا ، قال: (فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا) (السنن الكبرى للبيهقي).
فهذه الأخلاق تعلمنا المحافظة على خصوصيات الناس، وعدم إيقاع الناس في المفاجآت والإحراج، وأن يكون الواحد منا آمنا في بيته لا يراه أحد علي صورةٍ لا يحب أن يطلع أحد عليها .

المسارعة إلى الخيرات

من الأخلاق التي تثمر الودّ والمحبة والترابط بين المؤمنين، وتجلب رضا المولى تبارك وتعالى : المسارعة إلى الخيرات.

والمسارعة مأخوذة من السرعة التي هى ضد البطء، والخيرات هي كل الخصال التي تنفع الفرد والمجتمع في الدين والدنيا والآخرة، وقد عبر الإمام البيهقي في شعب الإيمان عن المسارعة إلى الخيرات: بالمبادرة إلى الطاعات والسبق إليها والاستعجال في أدائها وعدم الإبطاء فيها أو تأخيرها.

دعوة القرآن إلى المسارعة إلى الخيرات:

لا شك أن الإسلام هو دين الخير والصلاح والسعادة والرخاء، دين يأمر بكل ما فيه صلاح الفرد والمجتمع وتحقيق سعادتهم، فأقرّ مبدأ المنافسة والمسارعة في الخير، وشجع على استغلال إمكانات الإنسان، ووجه إلى ما يستحق بذل الجهد فيه، وجعل في مقدمة ما يسعى إليه الإنسان وينافس فيه ما يسعده في دنياه وآخرته، يقول سبحانه:{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ}[القصص: ٧٧]، فالهدف من السعي هو الدار الآخرة مع التمتع بالحياة في الدنيا.

وقد دعانا الله (عزّ وجلّ) إلى المسارعة إلى الخيرات ، وحثنا عليها في كثير من الآيات القرآنية ، فقال تعالى:{وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ} [البقرة:١٤٨]، وقال تعالى:{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [المائدة:٤٨]، وقال تعالى:{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}[آل عمران:١٣٣]، وقال تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد:٢١]، وقال تعالى:{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ*عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ*يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ* خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}[المطففين:٢٢ـ ٢٦] ، وغير ذلك من الآيات القرآنية التي جعلت الوصول إلى الجنة طريقه المسارعة إلى الخيرات والأعمال الصالحة.

المسارعة بالخيرات في السنة النبوية المطهرة:

وكما رغبنا القرآن الكريم وحثنا على المسارعة إلى الخيرات ، رغبنا النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) عليها ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْظُرُونَ إِلاَّ فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى

وَأَمَرُّ) (رواه الترمذي)، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) (رواه مسلم)، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و سلم) لرجل و هو يعظه: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ) (رواه الحاكم).

مكانة المسارعة إلى الخيرات:

١. المسارعة إلى الخيرات خلق الأنبياء والمرسلين فقد ذكر الحق (تبارك وتعالى) عددا منهم في سورة الأنبياء ، ثم قال مادحا لهم ومثنيا عليهم: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[الأنبياء:٩٠].

٢. والمسارعة إلى الخيرات من علامات الصلاح والصدق في الإيمان، والخشية لله، والخوف من عقابه، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ*وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ*وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ* أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [الأنبياء:٥٧ـ٦١]، وقال تعالى:{لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَأُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ}[آل عمران: ١١٣ـ١١٤].

نماذج من مسارعته (صلى الله عليه وسلم)، والصحابة (رضي الله عنهم) إلى الخيرات:

لقد كان (صلى الله عليه وسلم) مثلًا أعلى في المسارعة إلى الخيرات، فعن عقبة بن الحارث (رضي الله عنه) قال: صليت وراء النبي (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة العصر، فسلّم، ثم قام مسرعًا، فتخطى رقاب الناس إلى بعض حُجر نسائه، ففزع الناس من سرعته ، فخرج عليهم، فرأى أنهم عجبوا من سرعته، فقال: (ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ) (رواه البخاري)، لقد خشي النبي (صلى الله عليه وسلم) أن تحبسه هذه الأمانة يوم القيامة ، فبادر إلى توزيعها ، والتصدق بها على الفقراء والمحتاجين.

وقد تمثل صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذا التسابق الشريف والمنافسة العظيمة على المستوى الفردي، وعلى المستوى الجماعي.

ومواقف الصديق (رضي الله عنه) في المسارعة إلى الخيرات أعظم من أن تحصى أو تعد، وذاك من علو همته (رضي الله عنه)، فعن أبى هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟) قال أبو بكر (رضى الله عنه): أنا، قال: (فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟) قال أبو بكر (رضى الله عنه): أنا، قال: (فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟) قال أبو بكر (رضى الله عنه): أنا ، قال: (فَمَنْ

عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟)، قال أبو بكر (رضى الله عنه): أنا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَا اجْتَمَعْنَ فِى امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ) (رواه مسلم)، فتنوعت مسارعته (رضي الله عنه) بالخيرات ليجمع بين حقوق الله وحقوق العباد، وهذا من فقهه (رضي الله عنه).

وهذا سيدنا أبو طلحة الأنصاري (رضي الله عنه) يسارع إلى الخيرات بالإنفاق في سبيل الله ، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: (كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بِيْرُ حَاءَ وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ فَلَمَّا نَزَلَتْ:{لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ}[آل عمران:٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : {لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ}وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بِيْرُ حَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ شِئْتَ ، فَقَالَ: بخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَائِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَائِحٌ قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا وَأَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ، قَالَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ) (متفق عليه).

وهذا عمير بن الحُمام (رضي الله عنه) ومسارعته للشهادة في سبيل الله، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) رغبّ الصحابة (رضي الله عنهم) في القتال يوم بدرٍ فقال: (قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ) ، فقال عمير بن الحمام : يا رسول الله

جنة عرضها السموات والأرض؟! قال: (نَعَمْ) ، قال: بخٍ بخٍ ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟) قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال: (فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا). فأخرج تمرات من قرنه ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل) (رواه مسلم).

ويرسم أبو الدحداح (رضي الله عنه) لوحة مشرفة في المسارعة والمسابقة بالخيرات ، فعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: لما نزلت: {مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[البقرة:٢٤٥]، قال أبو الدحداح: يا رسول الله إن الله يريد منا القرض؟ قال: (نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاح) قال: أرنا يدك ، قال: فناوله يده ، قال: قد أقرضت ربي حائطي، وحائطه فيه ست مائة نخلة، فجاء يمشي حتى أتى الحائط ، وأم الدحداح فيها وعيالها فنادى : يا أم الدحداح قالت: لبيك. فقال: اخرجي (من الحائط) فقد أقرضته ربي. (رواه أبو يعلى).

والإنسان العاقلُ هو الذي يُسارِعُ ويُبادرُ قَبْلَ العوائِقِ والعَوَارِض، فنَافِسْ مَا دُمْتَ في فُسْحَةٍ ونَفَس، فالصِّحْةُ يَفْجَؤُهَا السّقَم، والقوةُ يَعْتَرِيهَا الوَهَن، والشبابُ يَعْقُبُهُ الهَرَم، فعلى الإنسان أن يسارع ويبادر إلى فعل الخير ولا يؤجله فإنه لا يدري ماذا سيحدث غدًا.

ولله درّ القائل:

بَادِرْ بِخَيْـرٍ إذا ما كُنْتَ مُقْتَـدِرَا *** فَلَيْسَ في كُلِّ وَقْـتٍ أَنْتَ مُقْتَـدِرُ

فوائد المسارعة إلى الخيرات:

١. المسارعة إلى الخيرات فيها تشبّه بالأنبياء والصحابة والصالحين، ومن تشبّه بقوم حشر معهم.

٢. المسارعة إلى الخيرات فيها اغتنام للعمر وأوقاته ومراحله وفتراته.

٣. المسارعة إلى الخيرات فيها مأمن من الفتن وخصوصا في الدِّين.

٤. المسارعة إلى الخيرات فيها مغفرة الذنوب ، وستر العيوب ، وتكفير السيئات.

٥. المسارعة إلى الخيرات فيها رضا الله (عزّ وجلّ)، ومحبة الناس، ومغضبة للشيطان.

٦. المسارعة إلى الخيرات فيها تماسك وترابط المجتمع.

٧. طريق موصل للجنة وكفى به فائدة.

فهرس الموضوعات